

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
جامعة شندي
كلية الدراسات العليا
قسم الدراسات الإسلامية

أطروحة لنيل درجة الدكتوراة في الدراسات الإسلامية
تخصص : تفسير وعلوم القرآن

بغوان :

أسس الحياة الإنسانية الروحية في القرآن الكريم

إشراف :

بروفيسور / عمر يوسف حمزة

إعداد الطالب :

محمد الأمين عبد الرحمن الفكي

نوفمبر 2009م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة شندى
كلية الدراسات العليا
قسم الدراسات الإسلامية

أسس الحياة الإنسانية الروحية في القرآن الكريم

أطروحه لنيل درجة الدكتوراة في الدراسات الإسلامية
تخصص : تفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

محمد الأمين عبد الرحمن الفكي .

إشراف:

بروفيسور / عمر يوسف حمزة .

ربيع أول 1431هـ

مارس 2010م

الآية

قال تعالى:

" إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا "

[سورة: الإسراء - الآية: 9]

الإهداء :

إلى روح أبي و إلى أمي ، إلى مشايخي الأموات والأحياء،
إلى أساتذتي عبر المراحل الدراسية كلها إلى مشائخ القرآن ،
وأهل الأذكار إلى العلماء والدعاة والمصلحين.

(ب)

شكر وتقدير :

الشكر أولاً وآخرأ لله رب العالمين الذي وفقني لإتمام هذا البحث وإكماله ، وسخر لي هؤلاء الذين أود أن أشكرهم لمساعدتي في هذا البحث .

فالشكر موصول لإدارة جامعة شندي أن هيئت لي فرصة التحضير لهذا الدرجة العلمية " الدكتوراه " .والشكر الجزيل إلي شيخنا وأستاذنا البروفيسور / **عمر يوسف حمزة** ، الذي قام بتصحيح وتصويب هذا البحث ، واستفدت كثيراً من إرشاداته ونصائحه .كما لا يفوتني أن أشكر البروفيسور / **مبارك رحمة** ، عميد كلية أصول الدين بجامعة أم درمان الإسلامية - سابقاً الذي خصني بعنوان هذه الرسالة . وأقدم الشكر الوافر لهؤلاء الأساتذة الذين ساعدوني في إعداد خطة البحث وهم : البروفيسور / **زكريا بشير إمام** - مدير جامعة جوبا سابقاً .والدكتور /**محجوب الكردي** - عميد كلية القرآن ، سابقاً .والدكتور / **الشريف مدثر القطبي** - رئيس قسم الحديث والسنة بجامعة القرآن - سابقاً . والبروفيسور / **يحي فضل الله** - وكيل جامعة شندي ، عميد كلية الدراسات العليا بها .وكما أود أن أشكر هؤلاء الأساتذة الذين استفدت منهم كثيراً خاصة في تخريج الأحاديث وهم : الدكتور / **هويدا خلف الله** - رئيس قسم الشريعة - جامعة شندي - كلية القانون والدكتور / **ابراهيم إدريس حجاى** - الأستاذ المساعد بجامعة شندي سابقاً والرباط الوطني حالياً .والشكر الجزيل لأهل الفضل والإحسان / **مركز الملك فيصل** للبحوث والدراسات الإسلامية - السعودية - الرياض الذي مدني بكثير من المراجع والمصادر والدوريات لهذا البحث . وأخيراً أشكر الطالب المجتهد/ **صديق بابكر التلب** ومن معه ، الذين قاموا بطباعة هذا البحث وإخراجه فى ثوبه الجميل الآن

" الباحث "

ملخص الدراسة :

صدرت موضوعي هذا بمدخل من فقرتين : الأولى بعنوان : سر الخلق والإيجاد وبينت فيها أن الله عز وجل لم يخلق الخلق عبثاً ، ولم يتركهم سدىً بل خلقهم ليدعونا الله بالعبودية ، لأدراك حكمة الخلق والإيجاد ، الهائلة الضخمة وهي " العبادة" بمفهومها الشامل . أما الثانية : وهي حكمة : ابتعث الرسل فذكرت فيها الحكمة من ابتعائهم وهي : هداية الناس ، وبيان ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، لأن هؤلاء الرسل هم الوسطة بين الله وخلقهم ، وهم القدوة و القادة الذين يجب أن نفتدي بهم في كمال الإيمان ، وحسن الأخلاق .

وبعد هذا المدخل ، تحدثت في الفصل الأول الذي هو بعنوان : القرآن نظام معرفي لهداية البشر . أن القرآن كتاب هداية وإعجاز ، وأنه اشتمل على كل شيء من أمور الدين والدنيا ، بصريح العبارة ، أو الإشارة ، أو بتوجه الخطاب للأمة للبحث والتقصي لإدراك حقائق الأشياء والانتفاع بها . وذلك لتقوية الإيمان الذي هو : اعتقاد ، وتصديق ، وعملٌ بالجوارح ، وقول باللسان والصدق . كما بينت في هذا الفصل أهمية وفضل الذكر ، خاصة في زماننا هذا ، الذي انشغلنا فيه بالماديات ، وطغت المادة علينا ، أكثر من الروحانيات فالذكر نور ، وطمأنينة للنفس وسبب للهداية ، وسد لمسالك الشيطان . كما ذكرت في الفصل فوائد التقوى في الدنيا والآخرة ، وإنما سبب لسعادة الفرد والمجتمع . وخاصة لو اجتمعت معها الخصال النبيلة ، كالصدق ، والإخلاص ، والصبر ، والأمانة ، والعدل ، فيصير المسلم قرآناً يمشي بين الناس . وفي الفصل الثاني : حكم وأسرار العبادات وكيف تؤدي إلى حياة كريمة بينت فيه أن العبادات كلما ارتبطت بأسرارها وحكمها ، كان إيقاع العبادة وأثرها في النفس كبير ، فمعرفة فضائل الأعمال تشجع على العبادات والإخلاص في أدائها ، لنيل الثواب من الله تعالى ، والإخلاص فيها لله تعالى .

وفى الفصل الثالث : الإنسان خليفة الله في الأرض . ذكرت فيه أن الأمة لو أرادت الرجوع إلى مجدها المشرق فلا بد من تحقيق الخلافة ، وهذه الخلافة لا تتحقق إلا بتحقيق شروطها وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بشروطه و أركانه وآدابه لا بد من تحققه والقيام به ، بالعلم والمعرفة والصدق والنصح لله تعالى لا بالتشهير والتجسس . كما بينت فى هذا الفصل أهمية التعاون على البر والتقوى ، بين أفراد المجتمع ، فى ضرورة تحقيق معاني الإيثار والايحاء ، وأن التعاون بين أفراد الأمة يعزز فيها معاني الوحدة والإتحاد ، ويحيى فيها النشاط بالتسابق على الخير ، ويمحو من القلوب الحسد والحقد والكراهية بين أفراد المجتمع . كما تحدثت فى هذا الفصل أن الشيطان كان وما زال هو العدو الأول لبني آدم منذ بدء الخلق . وذكرت أن الشيطان له طرق وسبل لغواية بني آدم، فيجب معرفتها وسد تلك الطرق والسبل ، بالتحصين والذكر والإيمان ، كما بينت فى هذا الفصل مفهوم الهجرة إلى الله ، وأنها الهجرة من المعاصي بتركها ، والهجرة بأنوار الدين من شر الحاسدين ، حتى لا يفسدوا ديننا الذي هو مقدم على حبنا لأوطاننا . وأن الهجرة تجب وتشرع بشروط ذكرتها في هذا البحث . فمتى خرج المسلم وفر بدينه فإذا قويت شوكته عاد لجهاد أعداء الله ، لإعزاز الدين ونصرة الحق والمظلومين . وأخيراً تحدثت في هذا الفصل عن شروط التمكين ، فمتى تحققت هذه الشروط مكننا الله فى الأرض واستخلفنا فيها ، لتعميرها والسير بها نحو الله وإسعاد البشرية فى الدنيا والآخرة . ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها عدد من النتائج أهمها:

أ- خلو معظم كتب الفقه قديماً وحديثاً من الحكم والأسرار التي من أجلها شرعت

العبادات ، خاصة كتب سادتنا المالكية .

ب- انحسار شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند السواد الأعظم من

المسلمين.

كما ذكرت فى الخاتمة عدداً من التوصيات أهمها :

أ- أن يرتبط تأليف الكتب والرسائل بحكم وأسرار العبادات ، خاصة الكتب والرسائل

المختصرة الموجهة إلى العامة .

ب- إنشاء جمعيات شعبية تطوعية تقوم بدور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من ذوي

العلم والمعرفة والورع والصدق ، تحت إشراف سلطان الدولة ، ومرجعية علمية عليا من

كبار العلماء والمختصين فى شؤون المجتمع والأسرة . ثم ذيلت البحث بعدد من

الفهارس بطريقة علمية سهلة وميسرة .

والله الموفق ،،،،

محمد الأمين عبد الرحمن الفكي - الباحث

الم (و)

الموضوع	الصفحة
---------	--------

أ	* الآية
ب	* الإهداء
ج	* شكر وتقدير
د-و	* ملخص الدراسة
ز-ل	* المحتويات
5-1	* المقدمة
	* تمهيد
11-6	* حكمة الخلق والإيجاد
15-12	* حكمة ابتعاث الرسل
	* الفصل الأول : القرآن نظام معرفي لهداية البشر
	* المبحث الأول : الحجاج في القرآن الكريم
19-16	* المطلب الأول : معني الحجاج ومرادفاته في اللغة والأصطلاح
23-20	* المطلب الثاني : طريقة القرآن في الجدل والمناظرة والمحاجة
27-24	* المطلب الثالث : حجاج وجدال الأنبياء لأقوامهم
30-28	* المطلب الرابع : حجاج القرآن للمشركين لإثبات دلائل التوحيد
33-31	* المطلب الخامس : حجاج القرآن للمشركين في تثبيت أمر النبوة
	* المبحث الثاني : القرآن منهج حياة كامل
35-34	* المطلب الأول : معنى القرآن لغة واصطلاحاً
40-36	* المطلب الثاني : تعظيم القرآن وفضل تلاوته وآداب التلاوة
42-41	* المطلب الثالث : فضل حفظ القرآن وتعليمه والعمل به
44-43	* المطلب الرابع : مقاصد القرآن
47-45	* المطلب الخامس : إعجاز القرآن
51-48	* المطلب السادس : شمول القرآن
	* المبحث الثالث : الإيمان و أثره في الحياة
54-52	* المطلب الأول : تعريف الإيمان في اللغة والاصطلاح
58-55	* المطلب الثاني : أركان الإيمان

61-59	* المطب الثالث : زيادة الإيمان ونقصانه والأدلة على ذلك
64-62	*المطب الرابع : الخصال والأفعال التي تزيد الإيمان وتقصه
67-65	* المطب الخامس : الأدب مع الله ورسوله من كمال الإيمان
	* المبحث الرابع : الذكر وفوائده
70-68	* المطب الأول : الذكر فى القرآن ومنزلته
73-71	* المطب الثاني : فضيلة الذكر جملة وتفصيلا
76-74	* المطب الثالث : آداب وفوائد الذكر
78-77	* المطب الرابع : فضيلة مجالس الذكر
81-79	* المطب الخامس : مراتب الذكر ودرجاته
83-82	* المطب السادس : فضيلة التهليل والتسبيح والتحميد وبقية الأذكار
86-84	* المطب السابع : أذكار اليوم والليلة
	* المبحث الخامس : التقوى سبيل لسعادتي الدنيا والآخرة
88-87	* المطب الأول : تعريف التقوى لغة واصطلاحاً
91-89	* المطب الثاني : مقامات التقوى والمراد منها
93-92	* المطب الثالث : التقوى وصية الله للأولين والآخرين
96-94	* المطب الرابع : صفات المتقين
98-97	* المطب الخامس : فوائد التقوى فى الدنيا
101-99	* المطب السادس : فوائد التقوى فى الآخرة
	* المبحث السادس : الخصال النبيلة وفوائدها
104-102	* المطب الأول : القرآن منبع الأخلاق
	* المطب الثاني : فضيلة الصدق
105	* المسألة الأولى : معنى الصدق فى اللغة والاصطلاح
107-106	* المسألة الثانية : منزلة الصدق و أنه من شعب الإيمان
108-107	* المسألة الثالثة : فضل الصدق
109-108	* المسألة الرابعة : حقيقة الصدق
110-109	* المسألة الخامسة : درجات الصدق
	* المطب الثالث : الأمانة صفة الكمال

112-111	* المسألة الأولى : تعريف الأمانة ومدلولها
113-112	* المسألة الثانية: الحث على الأمانة والترهيب من الخيانة
113	* المسألة الثالثة: الأمانة من شعب الأيمان
115-113	* المسألة الرابعة: ضروب الأمانة
	* المطلب الرابع : الصبر مفتاح الفرج
116	* المسألة الأولى: تعريف الصبر فى اللغة والأصطلاح
117	* المسألة الثانية : فضل الصبر
119-118	* المسألة الثالثة : أنواع الصبر ودرجاته ومقاماته
120-119	* المسألة الرابعة : آداب الصبر وفوائده
	* المطلب الخامس : العدل أساس استقرار الحياة
121	* المسألة الأولى : تعريف العدل فى اللغة والشرع
123-122	* المسألة الثانية : حث الشارع على العدل والتحذير من الظلم
124-123	* المسألة الثالثة : شمول العدل جميع الأعمال الإرادية
	* الفصل الثانى: حكم و أسرار العبادات
	* المبحث الأول: حكم و أسرار الصلاة
	* المطلب الأول: الحكم والأسرار فى الطهارة والنجاسة وما يتبعهما
126-125	* المسألة الأولى: عناية الإسلام بالنظافة والطهارة
127-126	* المسألة الثانية : طهور ماء البحر وحل ميئته
128-127	* المسألة الثالثة : آداب قضاء الحاجة
129-128	* المسألة الرابعة : سنن الفطرة
130-129	* المسألة الخامسة : حكمة الاستنجاء
131-130	* المسألة السادسة : حكمة النهى عن الأكل فى أنية الذهب والفضة
132-131	* المسألة السابعة : الحكمة والعلة فى نجاسة سؤر الكلب
	* المطلب الثانى : الحكم والأسرار فى الوضوء والغسل وما يتبعهما
133	* المسألة الأولى : أسرار السواك
135-133	* المسألة الثانية : أسرار الوضوء وفوائده
136-135	* المسألة الثالثة : أسرار وفوائد الغسل والسر فى حرمة الجماع فى الحيض
	* المطلب الثالث : الحكم والأسرار فى فريضة الصلاة
137	* المسألة الأولى : الحكم والأسرار فى الأذان والإقامة
139-138	* المسألة الثانية : حكمة تشريع الصلاة
140-139	* المسألة الثالثة : آداب الصلاة وصلاة أهل القرب
142-140	* المسألة الرابعة : حكم و أسرار الصلاة من خلال عرض لأفعالها
	* المطلب الرابع : الحكم والأسرار فى صلاة الجمعة والجماعة

143	* المسألة الأولى : آداب و أسرار صلاة الجمعة
145-144	* المسألة الثانية : فضل و أسرار صلاة الجماعة
	* المبحث الثاني : حكم و أسرار شعيرة الزكاة
148-146	* المطلب الأول : معنى الزكاة ومنزلتها وحكمة مشروعيتها
152-149	* المطلب الثاني : أسرار الزكاة من خلال عرض لشروطها و أنواعها ومستحقيها
155-153	* المطلب الثالث : دور الزكاة فى علاج المشكلات الاقتصادية
157-156	* المطلب الرابع : حكمة زكاة الفطر
	* المبحث الثالث : حكم و أسرار الصوم
159-158	* المطلب الأول : تعريف الصوم وفضله وخصوصيته
161-160	* المطلب الثاني : التهيئة والبشارة برمضان
165-162	* المطلب الثالث : الحكم والأسرار من الصيام
168-166	* المطلب الرابع : آداب الصيام
170-169	* المطلب الخامس : مراتب الصيام ومقامات الصائمين
173-171	* المطلب السادس : قمة الشهر ليلة القدر وفرحة العيد
	* المبحث الرابع : حكم و أسرار الحج
175-174	* المطلب الأول : تعريف الحج وفضله وفضل البيت
178-176	* المطلب الثاني : آداب الحج
	* المطلب الثالث : حكم و أسرار الحج من خلال عرض لأركانه وواجباته وما يتبعهما
180-179	* المسألة الأولى : حكم و أسرار الإحرام وما يتبعه
181-180	* المسألة الثانية : حكم و أسرار الطواف وما يتبعه
182-181	* المسألة الثالثة : حكم و أسرار السعي وما يتبعه
183-182	* المسألة الرابعة : حكم و أسرار ركن الحج الأعظم وما يتبعه
184-183	* المسألة الخامسة : حكم و أسرار رمى الجمار وقصة النحر وفضله
186-185	* المطلب الرابع : فضل المدينة والحكم والأسرار من زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم
	* الفصل الثالث : الإنسان خليفة الله في الأرض
	* المبحث الأول : أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
188-187	* المطلب الأول : وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
189	* المطلب الثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سفينة النجاة
193-190	* المطلب الثالث : أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
195-194	* المطلب الرابع : أقسام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
197-196	* المطلب الخامس : مراتب النهي عن المنكر
200-198	* المطلب السادس : شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآداب الأمر بالمعروف
202-201	* المطلب السابع : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شعب الإيمان
204-203	* المطلب الثامن : الفرق بين المتطوع والمحتسب والعلاقة بين الحسينية وأحكام القضاء

	* المبحث الثاني : التعاون علي البر والتقوى
207-205	* المطلب الأول : معاني ودلالات البر والتقوى والإثم والعدوان في اللغة والاصطلاح
211-208	* المطلب الثاني : الأدلة من القرآن والسنة والعقل علي أهمية التعاون والتكافل
213-212	* المطلب الثالث : دلالة قوله تعالي (وتعاونوا علي البر والتقوى ولا تعاونوا علي الإثم والعدوان)
217-214	* المطلب الرابع : من صور التعاون علي البر والتقوى : الإيثار والمؤخاة
220-218	* المطلب الخامس : أثر العبادات الجماعية في التعاون علي البر والتقوى
	* المبحث الثالث : محاربة عدو الإنسان (الشیطان)
222-221	* المطلب الأول : تعريف الشيطان في اللغة والاصطلاح والأدلة علي وجوده
225-223	* المطلب الثاني : الإنسان وإبتلاء الشيطان
227-226	* المطلب الثالث : مداخل الشيطان علي الإنسان
229-228	* المطلب الرابع : مكائد الشيطان التي يكيد بها لابن آدم
232-230	* المطلب الخامس : سبل الشيطان في التسليط علي ابن آدم والأضرار التي يسببها له
234-233	* المطلب السادس : أولياء الرحمن وأولياء الشيطان
236-235	* المطلب السابع : طرق الوقاية من كيد الشيطان ومكره
	* المبحث الرابع : الهجرة إلي الله
239-237	* المطلب الأول : معني الهجرة ومفهوم الهجرة الواجبة
241-240	* المطلب الثاني : الاستثناء من الهجرة الواجبة
243-242	* المطلب الثالث : الهجرة من سنن الأنبياء والمرسلين
245-244	* المطلب الرابع : هجرات أصحاب الرسول صلي الله عليه وسلم
248-246	* المطلب الخامس : الهجرة توجب النصر والولاية
249	* المطلب السادس : شرح حديث (لا هجرة بعد الفتح)
251-250	* المطلب السابع : شروط الخروج من بلد الفتنة
	* المبحث الخامس : أهمية الجهاد في الدعوة إلي الله ورد الظلم والعدوان
254-252	* المطلب الأول : معاني الجهاد ومدلولاته
257-255	* المطلب الثاني : شروط الجهاد والحرب
260-258	* المطلب الثالث : الأمر بجهاد الكفار وذكر وجوبه والوعيد لمن تركه
263-261	* المطلب الرابع : أسباب الحرب وأهدافها
265-264	* المطلب الخامس : حكم الجهاد
267-266	* المطلب السادس : فضل الجهاد والمجاهدين وعناية الله بهم
270-268	* المطلب السابع : مراحل تشريع الجهاد وأنه من شعب الإيمان
272-271	* المطلب الثامن : دور المرأة في الجهاد
275-273	* المطلب التاسع : الإسلام والسلام والمهادنة
	* المبحث السادس : الحكم والتمكين في الأرض
279-276	* المطلب الأول : ماهية الإمامة وحكمها وعقدها

282-280	* المطلب الثاني : حكومة الرسول صلي الله عليه وسلم
285-283	* المطلب الثالث : من يختار الإمام وشروط الإمامة ووظائف الإمام
288-286	* المطلب الرابع : قواعد الحكم في الدولة الإسلامية
291-289	* المطلب الخامس : وظائف الدولة الإسلامية وحقوق السلطان علي الرعية
294-292	* المطلب السادس : وعد الله للمؤمنين بالتمكين في الأرض وحقيقة الاستخلاف
296-295	* الخاتمة (النتائج والتوصيات)
307-297	* المصادر والمراجع
314-308	* فهرس الآيات
319-315	* فهرس الأحاديث
320	* فهرس الأعلام

تمهيد وفيه:

*حكمة الخلق والإيجاد.

*حكمة إبتعات الرسل.

الفصل الأول: القرآن نظام معرفي لهداية البشر:

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الحجاج في القرآن الكريم .

المبحث الثاني: القرآن منهج حياة كامل .

المبحث الأول: الإيمان وأثره في الحياة.

المبحث الرابع : الذكر وفوائده .

المبحث الخامس: التقوى سبل لسعادتي الدنيا والآخرة.

المبحث السادس: الخصال النبيلة أساس متين لاستقامة الحياة.

المبحث الأول : الحجاج في القرآن الكريم

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: معنى الحجاج ومرادفاته والمناظرة في اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني: طريقة القرآن في الجدل والمناظرة والمحااجة .

المطلب الثالث: حجاج و جدال الأنبياء لأقوامهم.

المطلب الرابع: حجاج القرآن الكريم للمشركين لإثبات دلائل التوحيد.

المطلب الخامس: حجاج القرآن الكريم للمشركين في تثبيت أمر النبوة .

المبحث الثاني: القرآن منهج حياة كامل:

وفيه ستة مباحث:

المطلب الأول: معنى القرآن لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعظيم القرآن وفضل تلاوته وآداب تلاوته .

المطلب الثالث: فضل حفظ القرآن وتعليمه والعمل به.

المطلب الرابع: مقاصد القرآن .

المطلب الخامس: إعجاز القرآن.

المطلب السادس: شمول القرآن

المبحث الثالث: الإيمان وأثره في الحياة:

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الإيمان في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: أركان الإيمان.

المطلب الثالث: زيادة الإيمان ونقصانه والأدلة على ذلك.

المطلب الرابع: الخصال والأفعال التي تزيد الإيمان وتنقصه.

المطلب الخامس: الأدب مع الله ورسوله من كمال الإيمان .

المبحث الرابع: ألا بذكر الله تطمئن القلوب:

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الذكر في القرآن ومنزلته.

المطلب الثاني: فضيلة الذكر جملةً وتفصيلاً.

المطلب الثالث : آداب وفوائد الذكر.

المطلب الرابع: فضيلة مجالس الذكر.

المطلب الخامس: مراتب الذكر ودرجاته.

المطلب السادس : فضيلة التهليل والتسبيح والتحميد وبقية الأذكار .

المطلب السابع: أذكار اليوم والليلة.

المبحث الخامس: التقوى سبيل لسعادتي الدنيا والآخرة

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التقوى لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مقامات التقوى والمراد منها.

المطلب الثالث: التقوى وصية الله للأولين والآخرين.

المطلب الرابع: صفات المتقين.

المطلب الخامس: فوائد التقوى في الدنيا .

المطلب السادس: فوائد التقوى في الآخرة.

المبحث السادس: الخصال النبيلة وفوائدها :

و فيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: القرآن منبع الأخلاق.

المطلب الثاني: فضيلة الصدق .

المطلب الثالث: الأمانة صفة الكمال .

المطلب الرابع: الصبر مفتاح الفرج .

المطلب الخامس: العدل أساس استقرار الحياة .

المطلب الثاني: فضيلة الصدق:

و فيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: معنى الصدق لغة واصطلاحاً.

المسألة الثانية: منزلة الصدق وأنه من شعب الإيمان.

المسألة الثالثة: فضل الصدق.

المسألة الرابعة: حقيقة الصدق .

المسألة الخامسة: درجات الصدق .

المطلب الثالث: الأمانة صفة الكمال :

وفيه أربع مسائل :

المسألة الأولى: تعريف الأمانة ومدلولها.

المسألة الثانية: الحث على الأمانة والتحذير من الخيانة.

المسألة الثالثة: الأمانة من شعب الإيمان.

المسألة الرابعة: ضروب الأمانة .

المطلب الرابع: الصبر مفتاح الفرج:

وفيه أربع مسائل :

المسألة الأولى: تعريف الصبر في اللغة والاصطلاح.

المسألة الثانية: فضل الصبر .

المسألة الثالثة: أنواع الصبر ودرجاته ومقاماته.

المسألة الرابعة: آداب الصبر وفوائده.

المطلب الخامس: العدل أساس استقرار الحياة:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعريف العدل في اللغة والشرع.

المسألة الثانية: حث الشارع على العدل والتحذير من الظلم.

المسألة الثالثة: شمول العدل جميع الأعمال الإرادية

الفصل الثاني: حكم وأسرار العبادات :

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: حكم وأسرار الصلاة.

المبحث الثاني: حكم وأسرار الزكاة.

المبحث الثالث: حكم وأسرار الصوم.

المبحث الرابع: حكم وأسرار الحج.

المبحث الأول: حكم وأسرار الصلاة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الحكم والأسرار في الطهارة والنجاسة وما يتبعها.

المطلب الثاني: الحكم والأسرار في الوضوء والغسل وما يتبعهما.

المطلب الثالث: الحكم والأسرار في فريضة الصلاة .

المطلب الرابع: الحكم والأسرار في صلاة الجمعة والجماعة.

المطلب الأول: الحكم والأسرار في الطهارة والنجاسة وما يتبعهما .

وفيه سبع مسائل:

المسألة الأولى: عناية الإسلام بالنظافة والطهارة.

المسألة الثانية: طهور ماء البحر وحل ميتته .

المسألة الثالثة: آداب قضاء الحاجة .

المسألة الرابعة: سنن الفطرة.

المسألة الخامسة: حكمة الاستنجاء.

المسألة السادسة: حكمة النهي عن الأكل في آنية الذهب والفضة.

المسألة السابعة: الحكمة والعلة في نجاسة سؤر الكلب.

المطلب الثاني: الحكم والأسرار في الوضوء والغسل وما يتبعهما:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: أسرار السواك.

المسألة الثانية: أسرار الوضوء.

المسألة الثالثة: أسرار وفوائد الغسل والسر في حرمة الجماع في الحيض.

المطلب الثالث: الحكم والأسرار في فريضة الصلاة:

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: الحكم والأسرار في الأذان والإقامة.

المسألة الثانية: حكمة تشريع الصلاة.

المسألة الثالثة: آداب الصلاة وصلاة أهل القرب.

المسألة الرابعة: حكم وأسرار الصلاة من خلال عرض لأفعالها.

المطلب الرابع: الحكم والأسرار في صلاة الجمعة والجماعة:

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: آداب وأسرار صلاة الجمعة.

المسألة الثانية: فضل وأسرار صلاة الجماعة.

المبحث الثاني: حكم وأسرار شعيرة الزكاة:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معني الزكاة ومنزلتها وحكمة مشروعيتها.

المطلب الثاني: أسرار الزكاة من خلال عرض لشروطها وأنواعها

ومستحقيها.

المطلب الثالث: دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية.

المطلب الرابع: حكمة زكاة الفطر.

المبحث الثالث: حكم وأسرار الصوم:

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الصوم وفضله وخصوصيته.

المطلب الثاني: التهيئة والبشارة برمضان.

المطلب الثالث: الحكم والأسرار من الصيام.

المطلب الرابع: آداب الصيام.

المطلب الخامس: مراتب الصيام ومقامات الصائمين.

المطلب السادس: قمة الشهر ليلة القدر وفرحة العيد.

المبحث الرابع: حكم وأسرار الحج:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الحج وفضله وفضل البيت:

المطلب الثاني: آداب الحج.

المطلب الثالث: حكم وأسرار الحج من خلال عرض لأركانه وواجباته

وما يتبعهما.

المطلب الرابع: فضل المدينة، والحكم والأسرار من زيارة قبر النبي

صلي الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: حكم وأسرار الحج من خلال عرض لأركانه ووجباته وما يتبعها:

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: حكم وأسرار الإحرام وما يتبعه.

المسألة الثانية: حكم وأسرار الطواف وما يتبعه.

المسألة الثالثة: حكم وأسرار السعي وما يتبعه.

المسألة الرابعة: حكم وأسرار ركن الحج الأعظم " عرفة " وما يتبعه.

المسألة الخامسة: حكم وأسرار رمي الجمار وقصة النحر وفضله.

الفصل الثالث: الإنسان خليفة الله في الأرض .

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لاستقامة

الحياة.

المبحث الثاني: التعاون على البر والتقوى وأثر وتنمية المجتمع .

المبحث الثالث: محاربة عدو الإنسان "الشیطان".

المبحث الرابع: الهجرة إلى الله.

المبحث الخامس : أهمية الجهاد في الدعوة إلى الله ورد الظلم

والعدوان.

المبحث السادس: الحكم والتمكين في الأرض.

المبحث الأول: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لاستقامة

الحياة:

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سفينة النجاة.

المطلب الثالث: أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الرابع: أقسام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الخامس: مراتب النهي عن المنكر.

المطلب السادس: شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وآداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب السابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شعب الإيمان.

المطلب الثامن: الفرق بين المتطوع والمحتسب والعلاقة بين الحسبة

وأحكام القضاء.

المبحث الثاني: التعاون علي البر والتقوى وأثره في تنمية المجتمع:

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معاني ودلالات البر والتقوى والإثم والعدوان في اللغة

والاصطلاح

المطلب الثاني: الأدلة من القرآن والسنة والعقل علي أهمية التعاون والتكافل

.

المطلب الثالث : دلالة قوله تعالى : "وتعاونوا علي البر والتقوى ولا

تعاونوا علي الإثم والعدوان"

المطلب الرابع: من صور التعاون علي البر والتقوى الإيثار والمواخاة.

المطلب الخامس: اثر العبادات الجماعية في التعاون علي البر والتقوى .

المبحث الثالث: محاربة عدو الإنسان " الشيطان "

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الشيطان في اللغة والاصطلاح والأدلة علي وجوده.

المطلب الثاني: الإنسان وابتلاء الشيطان.

المطلب الثالث: مداخل الشيطان علي الإنسان.

المطلب الرابع: مكائد الشيطان التي يكيد بها لابن ادم.

المطلب الخامس: سبل الشيطان في التسليط علي ابن ادم والأضرار التي

يسببها له.

المطلب السادس: أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

المطلب السابع: طرق الوقاية من كيد الشيطان ومكره.

المبحث الرابع: الهجرة إلى الله.

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: معنى الهجرة ومفهوم الهجرة الواجبة.

المطلب الثاني: الاستثناء من الهجرة الواجبة.

المطلب الثالث: الهجرة من سنن الأنبياء والمرسلين.

المطلب الرابع: هجرات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

المطلب الخامس: الهجرة توجب النصرة والولاية.

المطلب السادس: شرح حديث " لا هجرة بعد الفتح ولكن ...

المطلب السابع: شروط الخروج من بلد الفتنة.

المبحث الخامس: أهمية الجهاد في الدعوة إلى الله ورد الظلم والعدوان

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: معاني الجهاد ومدلولاته.

المطلب الثاني: شروط الجهاد والحرب.

المطلب الثالث: الأمر بجهاد الكفار وذكر وجوبه والوعيد لمن تركه.

المطلب الرابع: أسباب الحرب وأهدافها " فلسفة الجهاد".

المطلب الخامس: حكم الجهاد.

المطلب السادس: فضل الجهاد والمجاهدين وعناية الله بهم.

المطلب السابع: مراحل تشريع الجهاد وأنه من شعب الإيمان.

المطلب الثامن: دور المرأة في الجهاد.

المطلب التاسع: الإسلام والسلام والمهادنة.

المبحث السادس: الحكم والتمكين في الأرض وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: ماهية الإمامة وحكمها وعقدتها.

المطلب الثاني: حكومة الرسول - صلي الله عليه وسلم -

والخلاف حول الإمامة وأثره.

المطلب الثالث: من يختار الإمام وشروط الإمامة ووظائف الإمام .

المطلب الرابع: قواعد الحكم في الدولة الإسلامية.

المطلب الخامس: وظائف الدولة الإسلامية وحقوق السلطان علي الرعية.

المطلب السادس: وعد الله للمؤمنين بالتمكين في الأرض وحقيقة الاستخلاف.

المقدمة:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهديه الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، نصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلي الله عليه سلم عبده ورسوله ، وصفيه ، وخليئه ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وتركنا علي المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها ، إلا هالك .

وبعد :

فأنه من دواعي السرور و الغبطة ، و التوفيق من عند الله تعالي ، أن أكتب في هذا الموضوع : أسس الحياة الإنسانية الروحية في القرآن الكريم فما أحوجنا جميعاً أن نجتهد غاية الاجتهاد في تزكية النفس واستكمال فضائلها الجمة ، حتى يغلب على طابع نفوسنا الجانب الروحي المفعم بالإيمان ، وجميل الخصال ، بهدي القرآن ونوره في زمن طغت المادة على الروح ، و أصبح من الضروري ترويض النفس ، حتى تبلغ كمال الإيمان بالمعرفة والإخلاص والطاعة ، فتترقى النفوس في درجات العلو إلى مراتب الإيمان والإحسان ، فيرتاح الضمير ، وتعم الفرحة والبهجة القلوب والوجود ، فيصير الكون كله في أمن واستقرار .

أسباب اختيار الموضوع :

1. أهمية الموضوع نفسه ، لتعلقه واستمداده من القرآن الكريم .
2. التعرف على أسس الحياة الروحية في القرآن الكريم والاستفادة منها في قيام وتكوين حياة إنسانية مستقرة وأمنة سائرة في درب الله لعمارة الكون .

3. الاستفادة من هذه الأسس التي ذُكرت في القرآن الكريم لتطوير وانفتاح وتعايش الإنسانية بسلام ،

وأمن ، واستقرار ، بدفع الناس بعضهم بعضاً على هدي القرآن وتعاليمه .

4. عدم وجود دراسة علمية متخصصة في ذات الموضوع ، فيما أعلم .

الصعوبات التي واجهت الباحث :

1. عدم التفرغ التام للبحث ، مما يقلل ساعات الإطلاع وجمع المعلومات وطول المدة .

2. فقر مكتبة الجامعة من المراجع والمصادر الأصلية ، مع صعوبة الحصول علي المرجع

المراد لعدم التنظيم الدقيق للكتب والمراجع ، مما يستدعي السفر لمكتبات الجامعات

بالعاصمة ، وهذا يؤدي لزيادة الإرهاق البدني والنفسي والمادي للباحث وهذا له تأثيره علي

البحث .

3. عدم وجود المشرف مع الطالب في جامعة واحدة مما يقلل عدد مقابلات الطالب مع

المشرف ، وهذا ربما يؤدي لوجود بعض الهنات .

أهمية الدراسة :

تتبع أهمية هذه الدراسة والتي هي بعنوان أسس الحياة الإنسانية الروحية في القرآن الكريم

لكونها نابعة ومستمدة من الكتاب الخالد الذي هو من عند الله الخبير العليم بشؤون عباده ، فما

أحوج الإنسانية لقيم القرآن الروحية من كمال الإيمان وجميل الخصال كالصدق ، والأمانة ، والعدل ،

والحكم بالعدل ، والقسطاس المستقيم ، حتى تصفو حياة الناس ، ويعم الأمن والاستقرار أرجاء

المعمورة .

منهج البحث :

1. منهجي في هذا البحث مبني علي الاستقراء والاستقصاء ، لآيات القرآن الكريم وقد جمعت كل آية فيها أسس من أسس الحياة الإنسانية الروحية ، ودعمت ذلك بالأحاديث النبوية الشريفة وأقوال العلماء كما اعتمدت أيضاً علي المنهج الوصفي التحليلي ، بإيراد المعلومة مدعومة بالأقوال من أدلة الكتاب والسنة وأقوال العلماء وحكم الصالحين .
2. اعتمدت في بحثي هذا علي أمهات المصادر والمراجع الأصلية ، التي تتعلق بالموضوع مع دعمها ببعض المؤلفات حديثاً التي احتوت علي معلومات معاصرة .
3. تطرقت في بحثي هذا بالشرح والتحليل للألفاظ الغريبة والصعبة .
4. كما قمت بتخريج الأحاديث الواردة في البحث ، وكذا الآيات القرآنية ، وعملت لها فهرساً في آخر البحث بطريقة علمية سليمة .
5. ترجمت لجمٍ غفيرٍ من الأعلام غير المشهورين عند كثير من الناس ، وعملت لهم فهرساً في آخر البحث .
6. عند كتابة المراجع أشير بكلمة "بدون" إذا خلا المصدر من مكان الطبع أو تاريخه أو الاثنين معاً .

خطة البحث :

الفصل الأول : القرآن نظام معرفي لهداية البشر وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : الحجاج في القرآن الكريم .

المبحث الثاني : القرآن منهج حياة كامل .

المبحث الثالث : الإيمان و أثره في الحياة .

المبحث الرابع : ألا بذكر الله تطمئن القلوب .

المبحث الخامس : التقوى سبيل لسعادتي الدنيا والآخرة .

المبحث السادس : الخصال النبيلة أساس متين لاستقامة الحياة .

الفصل الثاني : حكم وأسرار العبادات وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : حكم وأسرار الصلاة .

المبحث الثاني : حكم وأسرار الزكاة .

المبحث الثالث : حكم وأسرار الصوم .

المبحث الرابع : حكم وأسرار الحج .

الفصل الثالث : الإنسان خليفة الله في الأرض وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المبحث الثاني : التعاون علي البر والتقوى .

المبحث الثالث : محاربة عدو الإنسان "الشیطان" .

المبحث الرابع : الهجرة إلي الله .

المبحث الخامس : أهمية الجهاد لرد الظلم والعدوان .

المبحث السادس : الحكم والتمكين في الأرض .

* الخاتمة : وفيها النتائج والتوصيات

* الفهارس : المصادر والمراجع .

الآيات ، الأحاديث ، الأعلام .

*حكمة الخلق والإيجاد.

قال تعالى : "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (1)

قيل إن هذا خاص فيمن سبق في علم الله أنه يعبده فجاء بلفظ العموم ، ومعناه الخصوص .
والمعني وما خلقت أهل السعادة من الجن والإنس ، إلا ليوحدون .

وقال الإمام علي رضي الله عنه : أي وما خلقت الجن والإنس إلا لآمرهم بالعبادة . (2)

وقال بعضهم : وما خلقت السعداء من الجن والإنس ، إلا لعبادتي ، والأشقياء منهم ، إلا لمعصيتي . وقال آخرون : بل معني ذلك . وما خلقت الجن والإنس ، إلا لئذعنوا لي بالعبودية ، ويعترفوا بها ، ومن هؤلاء ابن عباس رضي الله عنهما . (3)

وقيل معناها : إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم ، وليقرو بعبادتي طوعاً أو كرهاً . (4)

وقال العلامة أحمد الصاوي في حاشيته في معني هذه الآية :

ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين ، لأن الغاية لا يلزم وجودها ، كما في قولك : برئت هذا القلم لأكتب به ، فإنك قد لا تكتب به ، فاللام للغاية والعاقبة ، لا للعة الباعثة ، والمعني الصحيح : أن يقال إن الله تعالى خلق الخلق وجعلهم مهيين صالحين للعبادة ، بأنه رغب فيهم عقلاً وحواس ،

1 سورة الذاريات / 56 .

2 "القرطبي" أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، تحقيق عبد الرازق المهدي ، ج 17 ، ص 50 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة ، 1423 هـ - 2003 م .

3 "الطبري" أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري المسمي جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق هاني الحاج ، عماد زكي البارودي ، خيري سعيد ، ج 15 ، ص 13 ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر ، 2004 م .

4 "ابن كثير" الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، ج 6 ، ص 425 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1385 هـ ، 1966 م ، والطبعة الثانية ، 1389 هـ - 1970 م .

وجعلهم قابلين للعبادة والطاعة ، وبعد ذلك أختار لعبادته وطاعته ، من أحب ، فلا يلزم من
الصلاحية للعبادة وقوعها منهم بالفعل . (1)

مفهوم العبادة :

لقد كان المفهوم الصحيح عند أسلافنا ، أن العبادة هي غاية الوجود الإنساني كله "وَمَا

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (2)

لم يقتصروا أبداً مفهوم العبادة في دائرة الشعائر التعبدية وحدها ، أو في جانب من جوانب
الحياة . إن العبادة في الإسلام تشمل الصلاة ، وجميع النُسك ، كما تشمل مع هذا كله ، الحياة من
لحظة التكليف إلي لحظة لقاء الله . قال تعالى : "قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ" (3)

لقد تعودنا في العصور المتأخرة أن ننظر إلي الشعائر التعبدية ، من صلاة ، وصوم ،
وزكاة ، و حج ، علي أنها هي كل العبادة المطلوبة من المسلم ، وهذا تبديل للصورة الشاملة للعبادة
 . وكان يقين المسلم الأول أن طلب الرزق الحلال عبادة ، وطلب العلم عبادة ، والعمل في التجارة
عبادة ، وعمارة الأرض عبادة ، والزواج لتحسين نفسه عبادة ، وكل نشاط جسده وعقله وروحه
عبادة .

إن انحسار مفهوم العبادة ، أدي إلي شرٍ كبيرٍ في واقع الحياة ، فقد أصبحنا نري البعض
من المسلمين ، يؤدي في المسجد الصلاة ، ويحافظ عليها ، ثم يكذب ، ويغش ، ويخون الأمانة ،
ويُخلف الوعد ، ويتقلت من قيود الأخلاق ، التي هي جزء من العبادة المفروضة علي المسلم .

1 "الصاوي" العالم العلامة العارف بالله الشيخ أحمد الصاوي المالكي ، حاشية الصاوي علي تفسير الجلالين ، ج 4 ، ص 129 ، دار إحياء
الكتب العربية ، بدون .
2 سورة الذاريات / 56 .
3 سورة الأنعام / 162 .

إن النشاط اليومي للمسلم يجب أن يدخل في مفهوم العبادة سواء كان نشاطاً اجتماعياً أم اقتصادياً أم سياسياً أم ميدانياً أم محلياً أم عالمياً أم جهادياً .⁽¹⁾

الأصل عدم انحصار العبادة في مكان معين ، أو زمان معين ولما انعدمت الوساطة بين العبد وربّه ، انعدمت معها بحسب الأصل المكانية والزمانية ، فالأمكنة والأزمنة ، كلها بالنسبة إلي الله عز وجل سواء ، وكل مكان في الأرض اليابسة ، أو البحر المائج ، أو الجو السامق ، أو الجبل الشاهق ، أو الغور السحيق ، كل ذلك صالح لعبادة الله فيه ، قال الله عز وجل "يَعْبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ"⁽²⁾ لكن اقتضت حكمة توحيد جهة المؤمنين تحديد مكان قبلتهم . واقتضت حكمة تجمع كلمة المؤمنين ، وقلوبهم ، تفضيل المساجد - التي هي بيوت الله - عبادة الله عز وجل ، واقتضت الحكمة في بعض المناسك ، تحديد أمكنة وأزمنة لها ، أما تخصيص بعض الأزمنة لبعض العبادات ، فقد اقتضته حكمة تنظيم عبادات الناس في أوقات مخصوصة ، مع حكم أُخري .⁽³⁾

عند ذكر العبادة أو عبادة الله ينصرف الذهن إلي الصلاة والصيام والزكاة والحج والعمرة فقط ، بينما "العبادة" لفظ شامل لكل عمل يقوم به الإنسان ، ويُظهِر فيه التذلل والخضوع والطاعة لمعبوده .⁽⁴⁾ وما يمكن الاستدال به علي شمول لفظ العبادة ما أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "العبودية" فيقول : "العبادة هي أسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة ، و الزكاة ، والصيام ، و الحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر

1 محمد عبد الله الخطيب ، مفاهيم تربوية ، ج 5 ، ص 75-76 ، دار المنار الحديثة ، بدون .

2 سورة العنكبوت / 56 .

3 عبد الرحمن حسن حنيفة الميداني ، ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة ، ص 286-287 ، دار القلم ، دمشق ، بدون .

4 نقلاً من مقال بعنوان "العبادة" بقلم أبو حذيفة ، مجلة المجتمع ، ص 45-46 ، العدد 214 ، 2 شعبان ، 20 أغسطس 1974م ، تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتماعي ، شارع المغرب ، الروضة ، الكويت .

والوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان للجار ، واليتيم والمسكين ، وابن السبيل ، والمملوك وحب الله ورسوله و.....
وأمثال ذلك ، هي من العبادة لله ، وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له ، والمرضية له ، التي خلق الخلق لها ، كما قال تعالى "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (1) " (2) .

فهذه الآية تُحدد غاية الخلق ، كما تبين الحكمة الشرعية الدينية من خلق الجن والإنس ، والتي هي وجوب عبادة الله وحده لا شريك له ، وإفراده بتلك العبادة . و"العبادة" اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال ، والأعمال الباطنة والظاهرة ، والعبادة بهذا المفهوم لا تكون إلا لله وحده ، وليس لأحد سواه ، قال تعالى "إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ" (3)

ولهذا جاءت آيات القرآن الكريم تذكر الناس بالعبادة لله ، موضحة لهم نعم الله عليهم قال تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" (4) .

ومن هنا كان النداء في كل رسالة هو العبادة ، وتذكير الناس بهذه الحقيقة ، وإزالة ما تراكم علي معدن الفطرة السليمة ، من ضلال الوثنية وغبار الغفلة ، وترهات الملاحدة . قال تعالى "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ" (5)

1 سورة الذاريات / 56 .
2 "ابن تيمية" تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية ، العبودية ، ص 38 ، مكتبة المدني ومطبعتها ، جدة ، 1398 هـ - 1978 م .
3 سورة الأنبياء / 92 .
4 سورة البقرة / 21-22 .
5 سورة النحل / 36 .

فالله سبحانه وتعالى لم يخلق الناس عبثاً ولا لعباً ، إنما خلقهم لهذه الغاية ، قال تعالى "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ" (1) " (2) .

اقتران الخلق والرزق :

قال تعالى "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ" (3) .

فليس المراد من هذه اللام العلة ، وإنما هي لام المقارنة ، والمعني: وما خلقت الجن والإنس إلا مقرونين بفروض العبادة . ويستحيل الغرض في الفعل كالخلق ، والإماتة ، والرزق ، لأن الغرض يحتاج إليه الناقص ليكتمل به، وقد وجب لله تعالى الكمال، واستحال عليه النقص . (4)

فالخلق والرزق مقترنان ، قال تعالى "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِثْلَ مَا تَعَالَىٰ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ" ⁵ أي كما سلمتم الله بأنه الخالق من غير دعوى منكم للخالقية معه ، فلذلك سلموا له أنه الرازق ولا تدعوا ذلك معه ، أي كما انفرد فيكم بالخلق والإيجاد ، كذلك هو المنفرد بالرزق والإمداد ، فقرنهما للاحتجاج علي العباد ونهياً لهم أن يشهدوا رزقاً من غيره ، وإحسانه من خلقه ، وأنه تعالى كما خلق من حيث لا وسائط ولا أسباب ، كذلك هو الرازق من غير أن يتوقف رزقه علي واسطة ، أو وجود سبب فالرزق ، قد أمضي شأنه

1 سورة المؤمنون / 115 .

2 نقلاً من مقال بعنوان "العبادة في الدين الإسلامي" للأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح ، من مجلة الوعي الإسلامي ، ص 46-47، العدد 199، رجب 1401هـ - مايو 1981م ، تصورها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.

3 سورة الذاريات / 56-57 .

4 العلامة المرحوم الشيخ عبد الكريم الرفاعي ، المعرفة في بيان عقيدة الميمل ، تقديم فضيلة الدكتور الشيخ محمد عوض وفضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، ص 66- مكتبة الغزالي ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، 1411هـ - 1991م .

5 سورة الروم / 40 .

وأُبرم أمره وليس للقضاء فيه أمر يتجدد في الأحيان ، ولا يتعاقب بتعاقب الزمان ، وإنما يتجدد ظهوره

لا ثبوته .¹

*حكمة ابتعاث الرسل :

1 الشيخ الإمام سيدي أحمد بن عطا الله السكندري ، التنوير في إسقاط التدبير ، تحقيق : محمد أحمد ، ص 93- المكتبة التوفيقية ، أمام الباب الأخضر ، سيدنا الحسين ، بدون .

قال تعالى "وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (1).

لقد كان هذا الدين يعد البشرية للرشد العقلي ويؤهلها لاستخدام هذه الأداة العظيمة استخداماً كاملاً في إدراك الحق الذي تنبت آياته في صفحات الوجود ، وقد اقتضى هذا الأمر تربية طويلة ، وجانب من تلك التربية وهذا التوجيه يتمثل في بيان وظيفة الرسول ، وحقيقة دوره في الرسالة ، فالرسول بشر يرسله الله ليبشر وينذر ، وهنا تنتهي وظيفته ، فمن آمن وعمل صالحاً فلا خوف عليه، ومن كذب بآيات الله التي جاء بها الرسول يمسه العذاب بسبب كفرهم (2)

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تقطع حجج البشر وأعدارهم . منها قوله تعالى "رَسُولًا مَّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرِّسَالِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" (3)

"رَسُولًا مَّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ" أي مبشرين لأهل الطاعات ومنذرين لأهل المعاصي "لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرِّسَالِ" أي معذرة يعتذرون بها كما في قوله تعالى "وَلَوْ أَنَا أَهْلُكُنَا هُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى" (4) وسميت المعذرة حجة مع أنه لم يكن لأحد من العباد علي الله حجة ، تنبيهاً علي أن هذه المعذرة مقبولة لديه ، تفضلاً منه ورحمة ، ومعني قوله "بعد الرسل" بعد إرسال الرسل "وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" لا يغالبه مغالب ، حكيماً في أفعاله من جعلتها إرسال الرسل . (5)

1 سورة الأنعام / 48 .
2 سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج 3 ، ص 219-220 . الطبعة السادسة
3 سورة النساء / 165 .
4 سورة طه / 134 .
5 الشوكاني محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير ، الجزء الأول ، ص 538 ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، بدون .

فإنه عز وجل يقول : أرسلت رسلي إلي عبادي مبشرين ومنذرين لئلا يحتج من كفر بي
وعبد الأنداد من دوني ، أو ضل عن سبيلي ، بأن يقول إن أردت عقابه "لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا
فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى" (1) فقطع حجة كل مبطل ألد في توحيده ، وخالف أمره ،
بجميع معاني الحجج القاطعة ، عذره اعذاراً منه بذلك إليهم ، لتكون لله الحجة البالغة عليهم ، وعلي
جميع خلقه . (2)

فالرسل عليهم السلام ، وظيفتهم البشارة لمن آمن ، والندارة لمن كفر ، وليسوا قادرين علي إيجاد نفع
أو ضرر ، وإنما جعلهم الله سبباً لذلك . (3)

ومن حكمة إبتعات الرسل "العبادة" ولعبادة الله وحده من غير إشراك ، ولا طغيان ، ولذلك
أرسل الله الرسل ، ونزل إليهم الكتب قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ" (4) و قال تعالى: "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ
...." (5) فكان حال أناس في كل زمان وفترة فريقين ، فريق آمن بالله بواسطة رسله ، وفريق كفر
بالله ، بعد إبلاغه بالدعوة وإنذاره بواسطة رسل الله .

ولما كان العقل البشري وحده لا يكفي للتعريف بين الخير والشر ، وكانت هناك بعض
الأمر الغيبية العظيمة ، التي لا يمكن للإنسان معرفتها ، إلا عن طريق الوحي ، وعن طريق الشرع
كالإيمان بالله تعالي ، وصفاته العلية ، والإيمان بالملائكة ، وبالبعث والنشور ، إلي غير ذلك من
الأمر الغيبية .

1 سورة طه / 134 .
2 الطبري المسمي جامع البيان في تأويل القرآن ، ج 4 ، جزء 6 ، ص 33-34 .
3 الصاوي، حاشية الصاوي علي تفسير الجلالين ، ج 2 ، ص 16 .
4 سورة الأنبياء / 25 .
5 سورة النحل / 36

لذلك فقد اقتضت حكمة الباري جلّ وعلا ، أن يبعث إلي الخلائق الأنبياء الكرام ، ليقطع علي البشر معاذيرهم ، ولئلا يبقى لإنسان حجة عند الله يوم القيامة كما قال سبحانه: "رَسُولًا مَّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" (1) وليكون هؤلاء الرسل قدوة للناس ، يتأسون بهم في أقوالهم ، وأفعالهم وسجاياهم الحميدة ، قال تعالى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ" (2) ولا بد للإنسان كي يسلك الطريق المستقيم من داع يدعوه إلي الخير ، أو مرشد يرشده إلي نور الهداية والعرفان ، ولهذا بعث الله الرسل ليكونوا منارات للهدى وأعلاماً للفضيلة ، ولينشروا النور والضياء في أرجاء المعمورة . (3)

الأبوة الروحية لخاتم الأنبياء والمرسلين :

أما الأبوة الروحية فهي أبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي عامة وخاصّة ، فالعامة هي الشاملة لجميع أفراد العالم ، وأجناسه ، وأشباحه ، وأرواحه ، من بني آدم ، والملائكة ، والجن ، وغيرهم من سائر المخلوقات ، وسواءً في ذلك المؤمن والكافر ، وإنما يتفاوت ظهورها في الخلق ، وظهورها في العقلاء أتم من غيرهم . وأما الأبوة الخاصّة فهي أبوة الإيمان ، لأن الإيمان هو المقصد الأعلى ، من جميع الخلق ، ولأجله خُلقت بنو آدم وغيرهم بالنسبة لما في بساط الحكمة ، وفيه يقول تعالى : "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (4) قال بعض العارفين: أي ليعرفوني ، والمراد بالعبادة المعرفة ، إلا أن الخلق متفاوتون في هذه الخصوصية ، وهذه الأبوة هي المخصوصة بولاية الله تعالى ، في قوله تعالى: "ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ" (5) ومن خصائص هذه الأبوة ، أن الأب فيها أولي بالابن من نفسه ، ومن هذا القبيل ورد قوله تعالى ، قال

1 سورة النساء / 165 .

2 سورة الأنعام / 90

3 محمد علي الصابوني ، النبوة والأنبياء ، ص 35 ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الرابعة ، 1409 هـ - 1989 م .

4 سورة الذاريات / 56 .

5 سورة محمد / 11 .

تعالى: "النَّبِيِّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ..."⁽¹⁾ وانسحب حكم هذه الأولوية علي الروح والجسد ، فأما الروح فلأنها تستمد نور إيمانها من مشكاة نور إيمانه صلي الله عليه وسلم ، من غير انفصال عنه صلي الله عليه وسلم ، وهو لها كالروح للجسد ، بل هو صلي الله عليه وسلم صورة ذلك الإيمان وجوهره ، بالنظر إلي الحقيقة. وأما الجسد فلأنه إنما جعل مطية للروح تركب عليه لتؤدي به التكاليف الشرعية التي هي فروع الإيمان ، ثم إنه لا تكتمل أبوة الإيمان إلا لمن شهد شهادة الحق واليقين التام ، بنبوته صلي الله عليه وسلم ، بل وعلو مكانته فوق كل الأنبياء والملائكة. ولهذه الأبوة الروحانية حق: وهو تقديم الشارع علي النفس ، وترك الأهوية لهواه ، وهذا التقديم للشارع وموافقة هواه هما الموجبات للقيام بأداء حق الأبوة الحسية ، لأن هوي الشارع: هو التكاليف الشرعية .⁽²⁾

علو مكانة الأنبياء عليهم السلام : جاء في كتاب " أصول العقيدة الإسلامية " ما نصه : " ولا نفضل أحد من الأولياء علي أحد من الأنبياء ، عليهم السلام ، ونقول : نبي واحد أفضل من جميع الأولياء ، إذ أن مقام النبوة هو أعلي المقامات باتفاق أهل السنة " .⁽³⁾

المطلب الأول: معني الحجاج ومرادفاته في اللغة والاصطلاح:

الحجاج لغةً ، من حَاجَ ، حاجته أحاجه حجاجاً ومحاجةً حتى حجته أي غلبته بالحُجج

التي أدليت بها، وحآجه محآجة وحجاجاً نازعه الحُجة ، والحجة الدليل والبرهان.⁽¹⁾

1 سورة الأحزاب / 6 .
2 السيد محمد بن السيد المختار الشريف الحسني ، الواردات ، ص 50-52 ، بدون .
3 أبو جعفر أحمد سلام الأزدي الطحاوي ، أصول العقيدة الإسلامية ، ص 198 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى (1407هـ - 1987م).

والحجاج الجدل وأحججته بعثته للحج ، والحُجج بضمّتين ، الطرق المحفّرة والجراح المبسورة ،
والحُجج ، المصيّبات. (2)

أما معني الجدل : شدة الفتل وجدلتُ الحبل أجده جَدَلًا ، إذا شددت فتله وفتلته فتلاً محكماً ،
ومنه قيل لزمّام الناقة الجديل ابن سيده ، جدل الشيء يجدله ويجدله جَدَلًا ، أحكم فتله ، ومنه
جارية مجدولة الخلق حسنة الجدل والجديل ، الزمام الجدول. (3)

أما في الإصطلاح فعرفه ، محمد الطاهر بن عاشور ، عند تفسير قوله تعالى : "أَلَمْ تَرَ
إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِيِّهِ ...". (4) فمعني حَاجَّ خاصم ، وهو فعل جاء علي زنة المفاعلة ، ولا
يُعرف لحَاجَّ في الاستعمال فعل مجرد دال علي وقوع الخصام ، ولا تعرف المادة التي أُشتق منها.
ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى ، مع أن حَاجَّ لا يستعمل غالباً إلا
في معني المخاصمة ، وأن الأغلب أنه يفيد الخصام بباطل. (5)

وقال في شأن الجدل عند تفسير قوله تعالى: "وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا". (6) والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة علي الخصام والحجة فيه،
وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك (7) ، وقال في موضع آخر المجادلة : المخاصمة بالقول ،
وإيراد الحجة عليه، فتكون في الخير كقوله تعالى:

1 "ابن منظور" محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ج11، ص 103، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، بدون مادة (ح، ج، د).
2 محمد المقتضي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج1، ص 3567، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان 1306هـ، مادة (ح، ج، د).
3 ابن منظور لسان العرب، ج2، ص 226، مادة (ج، د، ل).
4 سورة البقرة / 258.
5 "ابن عاشور" محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص 31 - 32، الدار التونسية للنشر والتوزيع والإعلان، بدون.
6 سورة النساء / 107.
7 "ابن عاشور"، التحرير والتنوير، ج5، ص 194.

".... يُجَادِلُنَا فِي قَوْمٍ لُوطٍ" (1) وتكون في الشر كقوله تعالى ".... وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ..."

(2) أن الجامع بين معني اللفظين هو المخاصمة ، لكنها في الحجاج قائمة علي الباطل عادةً ، في

حين أن الجدل منه ما هو حق ومنه ما هو باطل. (3)

وقد شاعت بين الناس ألفاظ إن لم تكن واحدة في المفهوم ، فهي قريبٌ بعضها من بعض ، ولكنها

تدل علي الحجاج والجدال ، كالمناظرة ، والمحاورة ، والمناقشة ، والمباحثة ، لأنها ترجع في نهاية

أمرها إلي طريقة البيان والتبيين ، التي أودعها الله في بني الإنسان جبلةً وطبيعةً ، وقد توجد بينها

فروق ، بينها قواعد الجدل وأدب البحث والمناظرة ، إذ يري البعض أن الجدل: يراد منه إلزام

الخصم ومغالته. أما المناظرة: فهي تردد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله ،

وإبطال قول صاحبه ، مع رغبة كل واحد منهما في ظهور الحق . والمحاورة هي المراجعة

في الكلام ، ومنه التحاور والتجاوب وهي ضرب من الأدب الرفيع. (4) ومهما يكن من أمر فإن

الحجاج والجدل يكثر ورودهما مترادفين في اصطلاح القدماء ، ويفردون له باباً خاصاً يسمونه "

جدل القران " واستمر ترادف الحجاج والجدل حتى في الدراسات العربية الحديثة ، وخالصة الأمر أن

الحجاج أوسع من الجدل ، فكل جدل حجاج ، وليس كل حجاج جدلاً. (5)

وللحجاج والجدال فوائد منها: أولاً: رد الخصم إلي الصواب بطريق يعرفه ، لأن رده بغير ما يعرفه

من باب تكليف ما لا يطاق. فلا بد من رجوعهما إلي دليل يعرفه الخصم المجادل. (6)

¹ سورة هود / 74.

² سورة البقرة / 197.

³ ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج5 ، ص 195.

⁴ د. زاهر عواض الألمعي ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، ص 29 – 30 ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، الطبعة الأولى 1399هـ .
والثانية 1400هـ والثالثة 1404هـ.

⁵ عيد الله صولة ، الحجاج في القران ، ص 15 – 17 دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 2001 والثانية 2007م.

⁶ " الشاطبي " إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ، الموافقات في أصول الشريعة ، تحقيق وشرح ، الشيخ عبد الله دراز ، ج4 ، ص 335 ، دار الحديث ، القاهرة ، 1427 هـ ، 2006م.

ثانياً: إبطال حُجَجِ المعاندين المكابرين من كفرة أو ملحدين قال تعالى: " لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ".⁽¹⁾

ثالثاً: إقامة الحُجَّةِ علي المخالفين ، حتى تنقطع أَعذارهم وَيُبَلِّغُوا الحق. ⁽²⁾ وما ورد في ذم الجدل والحجاج . المقصود منه ، الجدل والحجاج بغير علم ومعرفة ، ودفع الحق بالباطل قال النووي:

الحجاج. المقصود منه ، الجدل والحجاج بغير علم ومعرفة ، ودفع الحق بالباطل قال تعالى: " وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ " ⁽³⁾ وقال تعالى: " وَقَالُوا أَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ " ⁽⁴⁾ وقال صلي الله عليه وسلم : " إن أبغض الرجال إلي الله تعالى الألد الخصم " ⁽⁵⁾ وقال صلي الله عليه وسلم: " المرء في القرآن كفر " ⁽⁶⁾ والمرء : هو الطعن في كلام الغير وإظهار مزيتك عليه ، وهذا تعريف الإمام الغزالي. ⁽⁷⁾ وقيل المرء: هو الشك وقيل الجدل المُشكَّك فيه ، وقيل هو : الجدل الذي يفعله يفعله أهل الأهواء في آيات القدر ونحوها. ⁽⁸⁾

¹ سورة الأنبياء / 22

² الإمام محمد أبو زهرة ، تاريخ الجدل ، ص 55 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1424 هـ ، 2003 م.

³ سورة البقرة / 204.

⁴ سورة الزخرف / 58

⁵ "البخاري" محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح المختصر ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، ج 2 ، ص 867 ، رقم الحديث ، (2325) ، كتاب المظالم ، باب أثم من خصم في باطل وهو يعلمه ، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1407 هـ - 1987 م .

⁶ "أبوداؤود" سليمان بن الأشعث السجستاني ، سنن أبي داؤود ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ج2، ص 610 ، رقم الحديث (4603) ، كتاب السنة ، باب النهي عن الجدل في القرآن ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، بدون .

⁷ "الذهبي" الإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، الكباير ، تحقيق : محمود بن الجُميل ، ص 261 مكتبة الصفا ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1422 هـ - 2001 م.

⁸ "النووي" أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي ، التبيان في آداب حملة القرآن ، تحقيق : عبد القادر الارناؤوط ، ص 134 ، دار الرشاد ، جدة ، الطبعة الثانية 1408 هـ - 1987 م.

المطلب الثاني: طريقة القرآن في الجدل⁽¹⁾ والمناظرة والمحااجة:-⁽²⁾

القرآن احتج علي الكفار بالعموميات العقلية ، والعموميات المتفق عليها كقوله تعالى: "قُلْ

لَمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ"⁽³⁾ فاحتج عليهم بإقرارهم بأن

ذلك لله علي العموم ، وجعلهم إذ أقروا بالربوبية لله في الكل ثم دعواهم الخصوص مسحورين لا

عقلاء وقال تعالى: "وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى

¹ وردت لفظة الجدل وما تصرف منها في القرآن الكريم في سبعة وعشرين موضعاً هي : البقرة /107/197، النساء/109/الأنعام 125/25، الأعراف/71، الأنفال/6، هود/74/32، الرعد/13، النمل /125/111، الكهف/ 56/54 ، الحج/68/8/3، العنكبوت/46، لقمان/20، غافر/69/56/35/5/4، الشورى/35، الزخرف/58، المجادلة/ 1

² ورد لفظ الحجّة وما تصرف منها في القرآن الكريم في تسعة وعشرين موضعاً هي : البقرة /76/ القصص / 27، غافر / 47، الشورى/16/15، الجاثية/ 25.

³ سورة المؤمنون 84/85.

يُؤْفَكُونَ" (1) يعني كيف يُصرفون عن الإقرار بأن الرب هو الله ، بعد ما أقروا فيدعون الله شريكاً ، وقال تعالى: "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكُوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ " (2) وأشبه ذلك مما ألزموا أنفسهم فيه بالإقرار بعمومه ، وجعل خلاف ظاهره علي خلاف المعقول. ولو لم يكن عند العرب الظاهر حجةً غير مُعترف عليها لم يكن في إقرارهم بمقتضي العموم حجةً عليهم لكن الأمر علي خلاف ذلك. فدل علي أنه ليس مما يُعترض عليه. (3)

وقد اشتمل القرآن الكريم علي جميع أنواع البراهين والأدلة في إقامة الحجة علي الغير، فما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير ، تبني منه كليات المعلومات العقلية والسمعية ، إلا وكتاب الله نطق به ، لكن أورده علي عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين:

أحدهما : بسبب ما قاله الله تعالى " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " (4)

والثاني : أن المائل إلي دقائق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة ، بالجليل من الكلام ، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلي الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون ، ولم يكن ملغزاً ، فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجلي صورة ليفهم العامة من جليها ما يقنعهم وتلزمهم الحجة، وتفهم الخواص من أنبائها ما يربي علي ما أدركه فهم الخطباء (5)

فبراهين القرآن وأدلته في المناظرة والمحاجة وردت بعدة أوجه وطرق منها :

¹ سورة العنكبوت / 61.

² سورة الزمر / 5.

³ الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة ، ج 4 ، ص 326 ، 327.

⁴ سورة إبراهيم / 4 .

⁵ السيوطي " جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، وبهامشه : إعجاز القرآن للعلامة القاضي أبي بكر الباقلائي ، ج 1 ، ص 135 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، بدون .

أحدهما: ما ردَّ الله به علي الخصوم من الحجج والبراهين ، وما ساقه من الأدلة لتثبيت العقائد ، وتقرر قواعد الملة ، مما جاء علي السنة رسله وأنبيائه ، وما ألهمه الله عبادة الصالحين من قول الحق ودفع الباطل وهذا جدل بالحق بل هو أمر ضروري لتبليغ رسالة الله ، أهل الأرض.

ثانيها: ما ورد في القرآن بطريق الحوار ، والقصد منه الاسترشاد وحب الاستطلاع والنظر إلي العظة والاعتبار ، أو الترجي والدعاء ، وهذا من قبيل جدل إبراهيم عليه السلام حيث قال: " ... رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْمِئِنَّ قَلْبِي ... " . (1)

ثالثها: ما يأتي علي السنة الكفار من الاعتراضات والشبه والدعاوي الباطلة التي حكاها القرآن الكريم ، وبين بطلانها ، وما تنطوي عليه من مفسد ، وهذا يدخل تحت عنوان الجدل بالباطل قال تعالى: " ... وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ... " (2) فبراهين القرآن وحججه شملت جميع أصول الشريعة وفروعها. (3)

"فأسلوب القرآن في الجدل والمناظرة قريب التناول في الإدراك لكل الناس ، يفهمها الخاصة ويفهمها العامة ، وإن تفاوت الفهم بمقدار الإدراك ، وسعة الأفق ، وهي واضحة للجميع ، وإن تفاوتت مداركهم ، ومشاربهم ، وتعددت أهواؤهم ، فمنهم من يصدق بالبرهان ولا يرضيه إلا قياس تام (4) ، أو ما يجري مجراه ، وهؤلاء هم من غلبت عليهم الدراسات العقلية والنزعات الفلسفية ، وهؤلاء قلة من الناس ، ومثال جدال القرآن معهم قوله تعالى: " إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " (5) وكأن المعني هو ، إذا كان الخلق من غير أبٍ مُّبْرَرًا لاتخاذ عيسى

¹ سورة البقرة / 260

² سورة الكهف / 56 .

³ د. زاهر عواض الالمعي ، مناهج الجدل في القرآن الكريم ، مصدر سابق ، ص 25 – 26.

⁴ أو قياس إضماري وهو القياس الذي تخذف منه المقدمات ، الإمام أبو زهرة ، المعجزة الكبرى (القرآن) ، ص 365 ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، بدون .

⁵ سورة آل عمران / 59.

إلاها فأولي أن يكون الخلق من غير أب ولا أم مبررا لاتخاذ آدم إلهاً ولا أحد يقول بذلك .ومنهم من غلب عليه مذهب ديني ، أو غير ديني قد استأثر بلبه وسد عليه مسام الإدراك وهؤلاء لا يد لهم من طريقة جدلية تزيل ما لبس الحق عليهم ، وهؤلاء أكثر من الأول ولكنهم ليسوا بأغلبية ، وهؤلاء أمرنا تعالي بجدالهم بالتي هي أحسن قال تعالي: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ..."⁽¹⁾ وقال تعالي: "وجادلهم بالتي هي أحسن"⁽²⁾ أما الجمهور الأعظم من الناس فليسوا هؤلاء ولا أولئك ، بل هو في تفكيره اقرب إلي الفطرة ، فيه سلامتها وفيه سذاجتها ، وفيه أخلاقها وبراعتها ، فهؤلاء يُخاطبون بما يليق بوجدانهم ، من تبيان الحق الواضح والمنتدبر للقرآن الكريم والمدقق في أسلوبه ، يجد فيه ما يُعلم الجاهل ، ويُنبه الغافل ، ويُرضي نهمة العالم ، ومثاله قوله تعالي: "بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ"⁽³⁾ وهذا نوع من الاستدلال بأمر بدهية معروفة لا تحتاج إلي كثير عناء في فهمها "⁽⁴⁾.

¹ سورة العنكبوت/ 46.

² سورة النحل/ 125.

³ سورة الأنعام / 101 – 103.

⁴ الإمام أبو زهرة ، المعجزة الكبرى (القران) ، ص 364 – 384.

المطلب الثالث: حجاج وجدال الأنبياء لأقوامهم:-

أول من سن الجدال والحجاج : الملائكة صلوات الله عليهم حيث قالوا في قوله تعالى : "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ

لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (1) وجدال الملائكة لم يكن من قبيل الاعتراض علي

حكم الله تعالى وتدبيره ، إنما كان من قبيل الاسترشاد ومعرفة الحكمة فيما لم تظهر لهم فيه . وأول

رسول جادل قومه هو سيدنا نوح عليه السلام ، قال تعالى : "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ

مَبِينٌ * أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا

نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدَائِنَا وَإِنَّا لَكُم بِأَعْيُنِنَا فَمَنْ ظَنَّ

نَفْسَهُ كَادِبِينَ " (2) وأجابهم نوح عليه السلام بالحجة العظمي فقال تعالى: "قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ

¹ سورة البقرة / 30
² سورة هود/ 25 - 27.

عَلَى بَيْتِهِ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعَمَّمَتِ عَلَيْهِمْ أَنْزَلَ مُكُومَهَا وَأَنْزَلْنَا لَهَا كَارِهُونَ ⁽¹⁾ "إلي هنا هي الحجة العظمي ، وهذه الحجة العظمي هي التي أضافها الله عز وجل إلي نفسه في قوله تعالى: "وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ" ⁽²⁾ ومن شقاوتهم وعدم تحملهم الحجج والبراهين قالوا: " قَالُوا يُنُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" ⁽³⁾ فأغرقهم الله جميعاً إلا القليل ⁽⁴⁾

أما جدال سيدنا إبراهيم عليه السلام فله ثلاثة مقامات:

الأول: مع نفسه ، والثاني مع أبيه ، والثالث مع نمرود وقومه.

فالأول: رأي كوكبا قال تعالى: "فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ

الْآفِلِينَ" ⁽⁵⁾

والثاني : مع أبيه قال تعالى: "وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ

لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ

فَاتَّغْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا" ⁽⁶⁾

والثالث: مع النمرود وقومه ، قال تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ

الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" ⁽⁷⁾ فجدال إبراهيم مع

¹ سورة هود / 28.

² سورة الأنعام / 83 .

³ سورة هود / 32 .

⁴ الإمام ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم – كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم- ص 65- 67.

⁵ سورة الأنعام / 76 .

⁶ سورة مريم / 41 – 44.

⁷ سورة البقرة / 258 .

نفسه ليهدم معتقدات قومه في الكواكب التي يعبدونها من دون الله، ولا يجوز لمسلم أن يعتقد أن إبراهيم عليه السلام لم يعرف ربه ، حتى قال بأن الكواكب ربه ، كيف وقد امتن الله علي إبراهيم عليه السلام بأمر عظيمة ، ومنها أثاره رشده كما قال تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ" (1) أما جدال إبراهيم عليه السلام مع أبيه فلأجل هدايته. (2) أما الحوار مع ملك زمانه- نمرود بن كنعان- فإن سياق الآية لم يذكر اسمه لأن ذكر اسمه لا يزيد من العبرة التي تمثلها الآية شيئاً ، فإن هذا الملك الذي حآج إبراهيم في ربه لم يكن منكراً لوجود الله أصلاً ، إنما كان منكراً في الألوهية والربوبية ، ولتصريفه في الكون وتدبيره لما يجري فيه وحده ، وكذلك كان منكراً أن الحاكمية لله وحده ، وإنما ينكر ويتعنن لسبب أن الله أثاره الملك وجعل في يده السلطان ، وإنما عبر بقوله ألم تر للتشنيع والتفطيع ، فالعلة منكرة حقاً: أن يأتي الحجاج والجدال بسبب النعمة والعطاء ، وأن يدعي عبد لنفسه ما هو من اختصاص الرب ، وأن يستمد حاكم يحكم الناس بهواه دون أن يستمد قانونه من الله . وما كان إبراهيم أن يسترسل في جدل حول معني الأحياء والإماتة مع رجل يماري في تلك الحقيقة الهائلة ، حقيقة منح الحياة وسلبها ، هذا السر الذي لم تدرك منه البشرية حتى اليوم شيئاً. عند ذلك عدل عن هذه السنة الكونية الخفية إلي سنة أخرى ظاهرة مرئية ، عن طريق التحدي وطلب تغيير سنة الله لمن ينكر ويجادل في الله تعالى، قال تعالى: " فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " (3) فبهت الذي كفر فالتحدي قائم والأمر ظاهر ، ولكن الكبر منعه من الرجوع إلي الحق "وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"

2- سورة الأنبياء/ 51.

2- الإمام ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم - كتاب استخراج الجدل من القرآن الكريم- ص 65 - 67 .

1 سورة البقرة / 258.

(1) ويعني هذا الجدل الذي عرضه الله تعالى علي نبيه- صلي الله عليه وسلم- علي الجماعة

المسلمة مثلا للضلال والعناد ، وتجربةً يتزود بها أصحاب الدعوة في مواجهة المنكرين. (2)

أما جدال موسى عليه السلام فقد ذُكر في القرآن كثيراً، خاصة مع الطاغية فرعون قال

تعالى: (فَأْتِيَٰ فِرْعَوْنَ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا

وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا

وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ

تَمَنَّيْتُهَا عَلَيْيَ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ * قَالَ إِنَّ

رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَنْبِ

اتَّخَذتَّ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مَبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ

مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) (3) ولما كانت آيات موسى عليه السلام حسية

ومعجزاته مرئية لم يخاطبهم بالحجة العظمي لأنها عقلية، ولما هموا بقتله هم الله سبحانه وتعالى

مؤمن من آل فرعون بالحجة العظمي فقال: (... أَنْقُلُونِ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ...) (4) فنجي الله

موسى ومن معه وأغرق فرعون وقومه الضالين. (5)

2 سورة البقرة / 258.

3 سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج 1 ، ص 35- 39.

3 سورة الشعراء / 16- 32 .

4 سورة غافر / 28.

5 الإمام ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم ، كتاب استخراج الجدل من القرآن الكريم ، ص 69 – 70.

المطلب الرابع: حجاج القرآن الكريم للمشركين لإثبات دلائل التوحيد:

قال تعالى: "قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ * كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّا تُؤْفَكُونَ * قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ " (1)

أمر سبحانه وتعالى نبيه - محمداً صلي الله عليه وسلم- أن يُقيم الحجة علي المشركين وبيطل ما هم عليه من الإشراك بأسئلة ثمانية ، أجاب المشركون عن الخمسة الأولي، وأجاب رسول

الله - صلي الله عليه وسلم - عن الاثنين بعدها بتعليم الله له، وجواب الأخير لم يذكر للعلم به.⁽¹⁾

وبين سبحانه وتعالى الحجج علي الاستفهام وتفويض الجواب إلي المسؤولين ليكون أبلغ في إلزام الحجة ، وأوقع في النفوس ، فقال " قل " يا محمد للمشركين احتجاجاً لاحقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الشرك " من يرزقكم من السماء والأرض " من السماء بالمطر ، ومن الأرض بالنبات والمعادن ، فإن اعترفوا حصل المطلوب ، وإن لم يعترفوا فلا بد أن يعترفوا بأن الله هو الذي خلقها " أم من يملك السمع والإبصار " أم هي المنقطعة ، وفي هذا انتقال من سؤالٍ إلي سؤال ، وخص السمع والبصر بالذكر ، لما فيهما من الصفة العجيبة ، والقدرة الباهرة العظيمة، أي من يستطيع ملكهما وتسويتها علي هذه الصفة العجيبة.ثم انتقل إلي حجة ثالثة فقال: " ومن يخرج الحي من الميت " الإنسان من النطفة والطير من البيضة ، والنبات من الحبة ، والمؤمن من الكافر، ويخرج الميت من الحي " أي النطفة من الإنسان والكافر من المؤمن ، والمراد من هذا الاستفهام عمن يحي ويميت . ثم انتقل إلي حجة رابعة فقال: " ومن يدبر الأمر " أي يقدره ويقضيه ، فسيقولون الله ، أي سيكون قولهم في جواب هذه الاستفهامات ، أن الفاعل لهذه الأمور هو الله سبحانه وتعالى ، إن أنصفوا وعملوا علي ما يوجبه الفكر الصحيح والعقل السليم " أفلا تتقون " والاستفهام للاستتكار ، أي تعلمون ذلك . ثم انتقل إلي حجة خامسة " قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده " أمر نبيه صلي الله عليه وسلم أن يقولها لهم وهم وإن كانوا يعترفون بالمعاد لكنه لما كان أمراً ظاهراً بيناً وقد أقام الأدلة عليه في هذه السورة علي صورة لا يمكن دفعها عند من انصف ولم يكابر كان كالمسلم عندهم الذي لا جدد له ولا إنكار فيه ، ثم أمره أن يقول لهم " قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأني يوفكون " أي هو الذي يفعل ذلك لا غيره ، وهذا القول الذي قاله النبي صلي الله عليه وسلم عن أمر

¹ "الصاوي" ، حاشية الصاوي علي تفسير الجلالين ، ج 2 ، ص 187 .

الله سبحانه له ، هو نيابة عن المشركين في الجواب ، إما علي طريق التلقين لهم وتعريفهم كيف يجيبون ، وإما لكونه هذا المعني قد بلغ في الوضوح إلي غاية لا يحتاج معها إلي إقرار الخصم ومعرفة ما لديه ، وإما لكون المشركين لا ينطقون بما هو الصواب فراراً أن تلزمهم الحجة. ثم أمره سبحانه وتعالى أن يرد عليهم حجة سادسة فقال " قل هل من شركائكم من يهدي إلي الحق " والاستفهام للاستنكار ، أي قل لهم هذا من شركائكم من يرشد إلي دين الإسلام ، ويدعوا الناس إلي الحق ؟ فإذا قالوا لا ، فقل لهم "الله يهدي للحق" دون غيره ، والاستفهام في قوله "أفمن يهدي إلي الحق احق أن يتبع أمن لا يهدي" . للتقرير وإلزام الحجة ، فما لكم كيف تحكمون هذا تعجيب من حالهم ⁽¹⁾ ، أما السؤال السابع ، فأصله السؤال الثالث " ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي " جعله الشوكاني ، سؤالاً واحداً وجعله الصاوي سؤالين إما الثامن فقوله تعالى "أفمن يهدي إلي الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي" ولم يذكر جوابه للعلم به. "وما يتبع أكثرهم إلا ظناً" يفيد أن الأقل يعرفون أن الله منزه عن كل نقص ، متصف بكل كمال ، غير أنهم يكفرون عناداً . وختم الآية بقوله " إن الله عليم بما يفعلون" هذا تهديد علي ما وقع منهم من الأفعال الشنيعة والأحوال القبيحة . ⁽²⁾

¹ الشوكاني-فتح القدير الجامع ، ج2 ص 443 - 445
² الصاوي - حاشية الصاوي علي تفسير الجلالين - ج2 - ص 188.

المطلب الخامس: حجاج القرآن للمشركين في تثبيت أمر النبوة:

قال تعالى: "وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ" (1)

لما فرغ سبحانه وتعالى من دلائل التوحيد وحججه ، في الآيات السابقة لهذه الآيات شرع في تثبيت أمر النبوة ، بدحض شبه وحجج المشركين التي أثاروها حول القرآن الكريم ، لأن التشكيك في القرآن الكريم تشكيك فيمن أنزل عليه وهو - صلي الله عليه وسلم - فتحداهم الله سبحانه أن يأتوا بسورة مثله ، وهم أفصح العرب لساناً ، فعجزوا لأن هذا القرآن " تصديق الذي بين يديه " وهو معجزة مستقلة ولكنهم عادوا للعناد والمكابرة المجردة عن الحجة ، ولهذا قال تعالى: " بل كذبوا بما لم

¹ سورة يونس 37 - 40 .

يحيطوا بعلمه ... " فقد سارعوا إلي تكذيب القرآن قبل أن يتدبروه ويفهموا معانيه فلو فهموه لعلموا أنه من عند الله ، ولكن " كذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ.... " أي مثل ذلك التكذيب كذب من قبلهم من الأمم السابقة ، فحاق بهم من سوء العاقبة بالخسف والمسح ونحو ذلك من العقوبات التي حلت بهم " ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به " أي من هؤلاء الذين كذبوا بالقرآن من يؤمن به في نفسه ويعلم أنه صدق وحق ، ولكنه كذَّبَ به عناداً ومكابرةً ، ومنهم من لا يؤمن به في نفسه ولا يصدقه ، بل كذبه به جهلاً وجحوداً ، وربك أعلم بالمفسدين ، فيجازيهم بأعمالهم .⁽¹⁾

ومن حُجَّجهم الواهية التي حكاها عنهم القرآن قولهم: " وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسُمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ " ⁽²⁾ فقالوا هذا سحر ، فإن كان حقاً فهلا نزل علي عظيم . ⁽³⁾ من أحدي هاتين القريتين مكة أو الطائف . فرد الله عليهم "أهم يقسمون رحمة ربك" بين خلقه فيجعلون كرامته لمن شاء ، وفضله لمن أراد ، أم الله الذي يقسم ذلك ، فيعطيه من أحب ويحرمه من شاء. ⁽⁴⁾

ومن حيلهم وشبههم لتكذيب القرآن ، والتشكيك في أمر النبوة قولهم: " وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَاً لَفُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ " .⁽⁵⁾ اقترحوا هلا أنزل عليه ملك ، قال ابن عباس : لو رأوا الملك علي صورته لماتوا إذ لا يطيقون رؤيته ، لأن الله أجري سنته بأن من طلب آية فأظهرت له فلم يؤمن ، أهلكه الله في الحال، " ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً... " أي لا يستطيعون

¹ الشوكاني - فتح القدير - ص 445 - 447 .

² سورة الزخرف / 31 - 32 .

³ قيل أن الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي من أهل الطائف وقيل الوليد بن المغيرة وابن مسعود من الطائف وقيل الوليد وعتبة بن ربيعة من أهل مكة ، وأولي الأقوال بالصواب أن يقال كما قال جل شأنه إذ ولم يبين الذين عنوا في كتابه ولا علي لسان رسوله صلي الله عليه وسلم ، الطبري ، تفسير الطبري ، ج 14 ، ص 68 .

⁴ الطبري ، تفسير الطبري ، ج 14 ، ص 68 .

⁵ سورة الأنعام/ 8 .

أن يروا الملك في صورته إلا بعد التجسيم بالأجسام الكثيفة ، لأن كل جنس يأنس بجنسه وينفر من غير جنسه فلو جعل الله الرسل إلي البشر ملكاً لنفروا من مقاربتهم ، ولما آنسوا به ، ولداخلهم الرعب من كلامه فلا تعم المصلحة ولو نقله عن صورة الملائكة إلي مثل صورتهم ليأنسوا به لقالوا: لست ملكا وإنما أنت بشر فلا نؤمن بك ، وعادوا إلي مثل حالهم ولو جعلناه رجلاً التبس عليهم فيقولون : هذا ساحر مثلك فلا يؤمنوا . (1)

ومن شدة عنادهم ومكابرتهم وعدم اعترافهم بالقرآن ، ذكر الله لنبيه – صلي الله عليه وسلم – أمراً محسوساً ملموساً ، بأن ينزل عليهم القرآن مكتوباً في قرطاس معلقاً بين السماء والأرض ويلمسوه بأيديهم ، ويقلبوا صفحاته جساً بأيديهم ، ليرتفع كل ارتياب عنهم ، لعاندوا فيه وكفروا به ، وقالوا سحر مبین، قال تعالي: "وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِيْنَ كَفَرُوا إِنَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ" (2) وهذه الآية جواب لقولهم : " حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ " (3) فأعلم الله بما سبق في علمه من أنه لو نزل لكذبوا به . (4)

¹ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج 6 ، ص 362-363 .

² سورة الأنعام / 7 .

³ سورة الإسراء / 93 .

⁴ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج 6 ، ص 361-362 .

المطلب الأول: معني القرآن لغة واصطلاحاً:

القرآن لغة: التنزيل ، قرأه وبه كنصره ومنعه ، قرأ وقراءةً وقرآناً ، فهو قارئ ، من قرأه وقرأه

وقارئين ، تلاه كاقتراه ، وأقرأته أنا ، وصحيفة مقروءة ومقرية. (1)

أما القرآن اصطلاحاً فهو : كلام الله المعجز ، وقيل اللفظ المنزل علي النبي - صلاة الله

وسلامه عليه - من أول الفاتحة إلي آخر الناس . وقيل كلام الله المعجز المنزل علي النبي صلي

الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته. (2)

وحده ابن خلدون بقوله: هو كلام الله المنزل علي نبيه المكتوب بين دفتي المصحف. (3)

وعرفه ابن حزم بقوله: فالقرآن كلام الله المسموع الملفوظ حقيقةً لا مجازاً ، فالمصحف كلام

الله ، والمستقر في الصدور قرآناً ، هو كلام الله تعالي . وبرهاننا علي ذلك قوله -صلي الله عليه

وسلم- " استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيلاً في صدور الرجال من النعم في عقلها " (4) والتقصي:

التقلت. وكلام الله نزل غير مخلوق. (5)

وحده الشوكاني في كتابه " إرشاد الفحول " وبين محترزات التعريف فقال:

¹ الفيروزبادي - القاموس المحيط - ج 1 - ص 24 - دار العلم للجميع - بيروت ، لبنان - بدون ، مادة قرأ .
² الزرقاني - محمد عبد العظيم الزرقاني - مناهل العرفان - ج 1 - ص 7 - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - بدون.
³ ابن خلدون " عبد الرحمن بن محمد بن خلدون - مقدمة ابن خلدون وهي مقدمة الكتاب المسمي كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ص 347 - دار الكتب العلمية - بيروت - بدون.
⁴ البخاري الجامع الصحيح ، ج 4 ، ص 1921 ، رقم الحديث (4744) ، كتاب فضائل القرآن ، باب استذكار القرآن وتعاهده .
⁵ ابن حزم " أبي محمد علي بن احمد المعروف بابن حزم الظاهري - الفصل في الملل والأهواء والنحل - تحقيق د. محمد إبراهيم نصر ود. عبد الرحمن عميرة - ج 3 - ص 14 - 15 ، دار الجيل - بيروت - بدون.

القرآن هو كلام الله المنزل علي الرسول -صلي الله عليه وسلم- المكتوب في المصاحف المنقول إلينا نقلاً متواتراً . فخرج بقوله " المنزل علي الرسول المكتوب في المصاحف "سائر الكتب والأحاديث القدسية والأحاديث الشاذة " . وقيل هو: اللفظ العربي المنزل للتدبر والتذكر المتواتر . أي لفظ جنس يعم الكتب السماوية وغيرها " والعربي " يخرج غير العربي من الكتب السماوية وغيرها " المنزل" يخرج ما ليس بمنزل من العربي ، وقوله:"للتدبر والتذكر" ، لزيادة التوضيح " المتواتر" يخرج ما ليس بمتواتر كالقراءات الشاذة والأحاديث القدسية . واستحسن الشوكاني تعريف القرآن الآتي : "هو كلام الله المنزل علي نبيه محمد المثلو المتواتر" . لإيجازه وشموله.⁽¹⁾

¹ الشوكاني " محمد بن علي بن محمد الشوكاني . إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول . وبهامشه : شرح الشيخ احمد ابن قاسم العبادي الشافعي علي شرح جلال الدين المحلي الشافعي ، علي الورقات في الأصول إمام الحرمين الجويني الشافعي - ص 29 - 30 - دار المعرفة - بيروت - لبنان - بدون .

المطلب الثاني: تعظيم القرآن وفضل تلاوته وأداب التلاوة:

قال تعالى: " إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ " (1) قال ابن القيم : سمعت شيخ الإسلام - يعني ابن تيمية - يقرر " الاستدلال بالآية علي أن المصحف لا يمسه المحدث بوجهٍ آخر: فقال هذا من باب التنبيه والإشارة ، إذا كانت الصحف التي هي في السماء لا يمسه إلا المطهرون ، وكذلك الصحف التي بأيدينا من القرآن لا ينبغي أن يمسه إلا طاهر . والحديث مشتق من هذه الآية ، قوله صلي الله عليه وسلم ، " لا تمس المصحف إلا وأنت طاهر " (2) فهذا يدل علي تعظيم القرآن وتفخيمه (3) ، ومن تعظيم القرآن قوله: -" صلي الله عليه وسلم - الدين النصيحة ، قلنا لمن يا رسول الله : قال الله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم " (4) قال العلماء رحمهم الله النصيحة لكتاب الله تعالي هي الأيمان بأنه كلام الله تعالي وتنزيله ، لا يشبهه شئ من كلام الخلق ، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته ، وتحسينها ، وإقامة حروفه ، والتصديق بما فيه ، والعمل بحكمه ، والتسليم لمتشابهه ، وأجمع المسلمون علي وجوب تعظيم القرآن العزيز علي الإطلاق ، وتنزيهه وصيانته ، وأجمعوا علي أن من جحد منه حرفاً ، أو زاد حرفاً ، وهو عالم بذلك فهو كافر ، ومن تعظيم القرآن أن لا يستخف به أو بشئ منه ، أو لعن المصحف ، أو سبه ، ومن

¹ سورة الواقعة / 77 - 79 .

² "الحاكم " أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري - المستدرك علي الصحيحين - تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا - ج 1 - ص 198 - رقم الحديث (466) - كتاب القبلة - باب ما جاء في خروج النساء إلي المساجد - دار الكتب العربية - بيروت - الطبعة الأولى - 1411هـ - 1990م .

³ ابن القيم " الإمام شس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي - التبيان في أقسام القرآن - ص 152 - 153 - عالم الكتب - بيروت - لبنان . بدون .

⁴ "مسلم" أبو الحسن مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ج 1 ، ص 74 ، رقم الحديث (55) ، كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، بدون .

تعظيمه أن لا يُماري في القرآن ، قال صلي الله عليه وسلم " المرء في القرآن كفر" ⁽¹⁾ ومن تعظيم القرآن أن لا يُقرأ بخلاف جميع الأحرف والوجوه التي أنزل عليها ، وإن كان ما قرأه لغة للعرب ، أو لبعضها ، ولا يجوز القراءة بالفارسية ونحوها ، إلا من كان متمماً أو نحوه.

قال عبد الله بن عمر: "من قرأ القرآن فقد اضطربت النبوة بين جنبه فلا ينبغي لصاحب القرآن أن يلعب مع من يلعب ، ولا يرفُث مع من يرفُث ، ولا يتبطل مع من يتبطل ، ولا يجهل مع من يجهل" ⁽²⁾ وهذا تعظيم منه لشأن القرآن وأهله بيّن شديد. ⁽³⁾

أما ما ورد في فضل تلاوته ، فالقرآن والسنة فيهما من الأدلة الكثير الوافر ولكن نذكر نذراً يسيراً منهما: قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُؤَفِّيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ " ⁽⁴⁾ هذه آية القراء العاملين ، العالمين ، الذين يقيمون الصلاة الفرض والنفل وكذا الإنفاق ، فإن الله "يزيدهم من فضله" ، قيل : الزيادة الشفاعة في الآخرة. ⁽⁵⁾ وقد أثنى الله سبحانه وتعالى علي من أكثر من تلاوة كتابه ، قال تعالى " يتلون آيات الله أناء الليل" ⁽⁶⁾ وفي المسند من حديث أبي عمر "لا حسد إلا في اثنتين : رجل أتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار" ⁽⁷⁾ وروي الترمذي من حديث ابن مسعود"من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها" ⁽⁸⁾

¹ سبق تخريجه .
² "الحاكم" المستدرک علي الصحيحين - ج 1 - ص 738 - رقم الحديث (2028) كتاب فضائل القرآن الكريم جملة.
³ الباقلائي - " القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلائي - الانتصار للقران - تحقيق : د. محمد عصام القضاة - ج 1 - ص 66- 93 - دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - بدون.
⁴ سورة فاطر / 29 - 30 .
⁵ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج 14 - ص 300.
⁶ سورة آل عمران / 113 .
⁷ الإمام احمد بن حنبل أبو عبد الله احمد بن حنبل الشيباني - المسند - تحقيق شعيب الارناؤوط . ج 2 ، ص 152 - رقم الحديث (6403) - مسند بن عمر مؤسسة فرطية - القاهرة - بدون.
⁸ الترمذي " أبو عيسى محمد بن عيسى - الجامع الصحيح سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، ج 5 ، ص 175 ، رقم الحديث (2910) ، كتاب فضائل القرآن ، باب فيمن قرأ حرفاً ماله من أجر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون .

وقال صلي الله عليه وسلم " اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه" . (1)

وقد كان للسلف في قدر القراءة عادات ، فأكثر ما ورد في كثرة القراءة ، من كان يختم في اليوم واللييلة ثماني ختمات ، ويليه من كان يختم في اليوم أربعاً ، ويليه ختمتين وختمة ، ويلي ذلك من كان يختم في ليلتين ، ويليه من كان يختم في ثلاث ، وهو حسن ، أما ما قبله فقد ذمته عائشة رضي الله عنها.

وقال النووي : المختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص ، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر علي قدر يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ ، وكذلك من كان مشغولاً بنشر العلم ، أو فصل الحكومات ، أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح ، العامة فليقتصر علي قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له ، ولا فوات كماله ، ومن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليكثر ما أمكنه من غير خروج إلي حد الملل أو الهزيمة في القراءة (2)

فهذه التلاوة تحتاج إلي آداب وهي كثيرة نذكر بعضاً منها:-

ينبغي لقارئ القرآن أن يكون علي وضوء، مستعملاً للأدب، مطرقاً غير مترجع ولا متكئ، ولا جالس على هيئة المنكبر، وأفضل الأحوال: أن يقرأ في الصلاة قائماً، وأن يكون في المسجد، واستحب بعضهم إذا ختم بالنهار ، أن يختم في ركعتي الفجر ، أو بعدهما، وإذا ختم بالليل أن يختم في ركعتي المغرب أو بعدهما، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من ختم القرآن فله دعوة مستجابة.

(3)

¹ مسلم ، صحيح مسلم ، ج 1 - ص 553 رقم الحديث (804) كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.
² السيوطي " جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، قدم له : الأستاذ محمد شريف سكر ، راجعه الأستاذ مصطفى القصاص ، ج 1 - ص 288 - 291 - مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، 1407 هـ ، 1987 م .
³ الإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي - مختصر منهاج القاصدين - اعتنى به و خرج أحاديثه : إبراهيم محمود ، ص 46 - 47 - دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع - الرياض - 1426 هـ - 2005 م.

قال الزركشي في كتابه " البرهان " متحدثاً عن آداب التلاوة : وليستحضر من أفعاله ، أن يكون القرآن حجةً له لا عليه ، لأن القرآن مشتمل على طلب أمور ، والكف عن أمور ، وذكر أخبار قوم قامت الحجة عليهم ، فصاروا عبرةً للمعتبرين ، وليحذر من علم حالهم أن يعصى ، فيصير مآله مآلهم ، فإذا استحضر صاحب القرآن علو شأنه ، بكونه طريقاً لكتاب الله تعالى ، وصدوره مصحفاً له ، انكفنت نفسه عند التوقيف عن الرذائل ، وأقبلت على العمل الصالح الهائل . وأكبر معين علي ذلك حسن ترتيله وتلاوته قال تعالى لنبيه - صلي الله عليه وسلم - " ... وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً " (1) فحق علي كل مسلم قرأ القرآن ، أن يرثله ، وكمال ترتيله ، تفخيم ألفاظه والإبانة عن حروفه ، والإفصاح لجميعة بالتدبر حتى يصل بكل ما بعده ، وأن ينتقل قلبه بالتفكير في معني ما يلفظ بلسانه فيعرف من كل آية معناها . فإن قرأ آية رحمة ، وقف عندها وفرح ، وإن قرأ آية عذاب وقف عندها وتأمل معناها ، وأن يتذكر أفعاله في نفسه فيما بينه وبين غيره من الظلمات والغبية وغيرها ، فيستغفر ويتوب عند آيات الاتعاظ ، وإن مر علي المتشابه الذي تفرد الله بتأويله فليعتقد الأيمان به ، كما أمر الله تعالى . (2)

وذكر الإمام الغزالي في كتابه " الأربعين في أصول الدين " آداب التلاوة وقسمها إلي ظاهرة

وباطنة ، فالظاهرة ، قد ذكرنا منها ما يكفي ، أما الباطنة فمنها :

الأول : أن تستشعر في أول قراءتك عظمة الكلام ، باستشعار تعظيم المتكلم ، فتحضر في قلبك العرش والكرسي ، والسماوات والأرض وما بينهما ، من الملائكة والجن والأنس وغيرهم ، وتتذكر أن

¹ سورة المزمل / 4 .

² الزركشي " بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - البرهان في علوم القرآن - تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - ج 1 - ص 439 - 459 - مكتبة دار التراث - القاهرة - بدون .

الخالق لجميعها واحد ، وأن الكل في قبضته وقدرته ، وأنك تريد أن تقرأ كلامه وتتنظر به إلي صفة ذاته ، وتطالع جمال علمه وحكمته.

الثاني: أن تقرأ بتدبير معانيه إن كنت من أهله ، وكل ما يجري لسانك به في غفلة فأعده ، ولا تعده من عملك لأن الترتيل في الظاهر للتمكن من التدبير.

الثالث: أن تجتني في تدبرك ثمار المعرفة من أغصانها ، فيما يتعلق من القرآن بالله تعالى وبصفاته وأفعاله ، فاقتبس منه معرفة الجلال والعظمة ، وما يتعلق بإهلاك الأعداء فاقتبس منه معرفة العزة والاستغناء والقهر والتجبر ، وما يتعلق بأحوال الأنبياء ، فاقتبس منه معرفة اللطف والنعمة والفضل والكرم ، وكذلك في كل صنف ما يليق به.

الرابع: أن تتخلي عن موانع الفهم ، وهي الحُجُب التي تمنع من الفهم، من الشك والجحود ، والشهوات المستغرقة للقلب.

الخامس: أن لا تقتصر علي اقتباس الأنوار، بل تضيف إليها اقتباس الأحوال والآثار، وذلك أن لا تقرأ آية إلا وأنت تصير بصفتها ، فعند ذكر الرحمة والمغفرة تستبشر كأنك تطير من الفرخ ، وعند ذكر الغضب وشدة العقاب ، كأنك تموت من الفرع ، وهكذا.⁽¹⁾

المطلب الثالث: فضل حفظ القرآن وتعليمه والعمل به:-

¹ الغزالي " أبي حامد محمد بن محمد الغزالي - كتاب الأربعين في أصول الدين - ص 36 - 39 - دار الجيل - بيروت - 1408 هـ ، 1988 م.

قال -صلي الله عليه وسلم- : " إن الذي ليس في جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب " (1)

وقال -صلي الله عليه وسلم-: " يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها" (2)

وقال -صلي الله عليه وسلم-: " إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين. (3) وينبغي إكرام أهل القرآن والنهي عن إيذائهم ، قال -صلي الله عليه وسلم- : إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط . (4)

قال ابن عباس : كان القراء أصحاب مجلس عمر - رضي الله عنه - ومشاورته كهولاً كانوا أو شباباً " (5) وكان -صلي الله عليه وسلم- " يقدم في اللحد من كان أكثر أخذاً للقرآن " (6) و(7)

أما ما جاء في فضل تعليم القرآن ، فقله - صلي الله عليه وسلم - " خيركم من تعلم القرآن وعلمه" (8) وينبغي لمعلم القرآن أن لا يقصد به توصلاً إلي غرض من أغراض الدنيا ، من مالٍ ، أو رئاسةٍ ، أو وجاهةٍ ، أو ارتفاعٍ علي أقرانه. أو ثناءٍ عند أقرانه، أو صرف وجوه الناس إليه، أو نحو ذلك، قال - صلي الله عليه وسلم- " من تعلم علماً مما يُبتغي به وجه الله تعالى، لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من أغراض الدنيا، لم يجد عُرف الجنة يوم القيامة" (9)

¹ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج5 ، ص 177 ، رقم الحديث (2913) ، كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء فيمن قرأ حرف من القرآن ماله من الأجر.

² الترمذي ، سنن الترمذي ، ج5 ، ص 177 ، رقم الحديث (2914) ، كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء فيمن قرأ حرف من القرآن ماله من الأجر.

³ مسلم ، صحيح مسلم ، ج1 ، ص 559 ، رقم الحديث (817) ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب من يقوم بالقرآن ويعلمه أو فضل من تعلم حكمة من فقهه أو غيره.

⁴ أبو داؤود ، سنن أبي داؤود ، ج2 ، ص 677 ، رقم الحديث (4843) ، كتاب الأدب ، باب في تنزيل الناس منازلهم.

⁵ البخاري ، الجامع الصحيح ، ج4 ، ص 1702 ، رقم الحديث (4366) ، كتاب التفسير ، باب سورة الأعراف.

⁶ البخاري " الجامع الصحيح ، ج 1 ، ص 450 ، رقم الحديث (1278) ، كتاب الجنائز. باب الصلاة علي الشهيد

⁷ النووي " التبيين في آداب حملة القرآن ، ص 19.

⁸ البخاري ، الجامع الصحيح ، ج4 ، ص 1919 ، رقم الحديث (4739) ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

⁹ أبو داؤود ، سنن أبي داؤود ، ج2 ، ص 346 ، رقم الحديث (3664) ، كتاب العلم ، باب في طلب العلم لغير الله تعالى.

وينبغي لمعلم القرآن أن يتخلق بالمحاسن التي ورد الشرع بها والخلال الحميدة. ⁽¹⁾ وينبغي تعليمه علي التأليف المعهود ، فإنه توقيفي " لا مجال ولا اجتهاد فيه" ولو علمه بأجرةٍ جائز كما في صحيح البخاري ، قال -صلي الله عليه وسلم- : " إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله " ⁽²⁾ وتعليم القرآن فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقيين ، وكذلك حفظه واجب علي الأمة. ⁽³⁾ والعمل بالقرآن من أفضل الأعمال والفُرات ، قال -صلي الله عليه وسلم- : " من قرأ القرآن وعمل بما فيه ، ألبس الله والديه تاجاً يوم القيامة ، ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا فما ظنكم بالذي عمل بهذا" ⁽⁴⁾

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: " ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفطرون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون ، وببكاؤه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، ولا ينبغي أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا صخاباً ولا حديداً. ⁽⁵⁾

المطلب الرابع: مقاصد القرآن الكريم:

¹ النووي ، التبيين في آداب حملة القرآن ، 26 – 29 .
² البخاري ، الجامع الصحيح ، ج2 ، ص 795 ، رقم الحديث (5405) ، كتاب الإجارة ، باب هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب.
³ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج1 ، ص 455 ، 456 .
⁴ أبو داؤود ، سنن أبي داؤود ، ج1 ، ص 460 ، رقم الحديث (1453) ، كتاب سجود القرآن، باب في ثواب قراءة القرآن.
⁵ ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين ، ص 46.

القرآن الكريم: آخر كتاب أنزله الله هدايةً للناس أجمعين، قال تعالى: "الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ" (1) وقال تعالى: " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ " (2) ومقاصد القرآن الكريم تدور حول نواحٍ ثلاث: ناحية العقيدة ، و ناحية الأخلاق ، و ناحية الأحكام. **فالعقائد:** تطهر القلوب من بذور الشرك والوثنية ، وهي تشمل ما يجب الإيمان به من جانب صفات الجلال والكمال ، وما يجب الإيمان به في جانب الوحي والرسالات ، من الملائكة والكتب والرسل والنبیین والإيمان باليوم الآخر.

والأخلاق: تهذب النفس وتزكيها ، وترفع من شأن الفرد والجماعة، وتقوي عُري التآخي والتعاون بين بني الإنسان ، وتشمل: الصدق والصبر والوفاء بالعهد وغيرها.

أما الأحكام: فهي ما بينها الله تعالى في كتابه ، وبين أصوله من النظم التي يجب اتباعها ، من تعظيم الإنسان بربه ، وعلاقته بأخيه الإنسان ، وتشمل: أحكام الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، واليمين والنذر ، وما إلي ذلك ، مما يدخل في دائرة العبادات ، وتشمل أيضاً: أحكام الزواج والطلاق وأحكام الأسرة ، والسلم والحرب وغيرها. (3)

إن مقاصد القرآن ، من إصلاح الفرد والجماعة ، وإدخالهم في طور الرشد ، وتحقيق أخوتهم الإنسانية ووحدهم ، وترقية عقولهم ، وتزكية أنفسهم: منها ما يكفي بيانه لهم في الكتاب مرة ، أو مرتين ، أو مرات قليلة ، ومنها ما يكفي بيانه تكراراً ، أي لا تحصل الغاية منه إلا بتكراره مرات كثيرة ، لأجل أن يجتث من أعماق الأنفس الخلال الذميمة ، كآيات التوحيد التي تهدم الشرك ، والتقاليد والعادات القبيحة الضارة ، ويغرس في مكانها أضرادها، من الإيمان بالله والتصديق بربوبيته

¹ سورة إبراهيم / 1.

² سورة الإسراء / 9.

³ الإمام الأكبر محمود شلتوت ، إلي القرآن الكريم ، ص 11 - 12 ، مطبعة سبهر ، طهران ، بدون.

، وألوهيته ، وأنه المتصرف في هذا الكون ، وتثبيت أمر النبوة والرسالة ، والخصال الحميدة ، ويتعاهد هذا الغرس بما ينميه ، حتى يؤتي أكله، ويبدو صلاحه ، ويبين ثمره ، ومنها ما يجب أن يبدأ بها كاملة، ومنها ما لا يمكن كماله إلا بالتدرج ، كما حصل في تحريم الخمر والربا، ومنها ما لا يمكن وجوده إلا في المستقبل، فيوضع له بعض القواعد العامة، ومنها ما يكفي فيه الفحوى والكتابة . والقرآن كتاب تربية عملية وتعليم، لا كتاب تعليم فقط، ومقاصده شملت شتى مناحي الحياة ، وإصلاح النفوس في جانب العقيدة وأركان الإيمان، والعبادات والمعاملات والأخلاق. (1)

المطلب الخامس: إعجاز القرآن:

القرآن معجزة خالدة ، وأن نبوة نبينا محمد صلي الله عليه وسلم مبنية علي دلالة معجزة القرآن ، ووجه الدلالة أن القرآن المتلو المحفوظ والمرسوم في المصاحف ، هو الذي جاء به النبي صلي الله عليه وسلم وتحدي الله به العرب علي أن يأتوا بمثله ، فلم يستطيعوا ، قال تعالي: "وَإِن

¹ محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص 162 - 164 ، طبع المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة العاشرة ، 1405 هـ - 1985 م.

كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " (1) وقال تعالى: " أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَضَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " (2) فجعل عجزهم عن الإتيان بمثله دليلاً على وحدانيته، بل تحداهم الله جميعاً - الإنس والجن - علي أن يأتوا بمثله، قال تعالى: " قُلْ لَنْ أَجْتَمَعْتُمُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً " (3) فتحداهم إليه وتحداهم أنهم لم يأتوا بمثله ، فإذا ثبت الإعجاز ، وأن الخلق لا يقدر أن يأتوا بمثله ، ثبت أن الذي أتى به وأنزله غيرهم ، وهو الله تبارك وتعالى ، وإذا ثبت ذلك ثبتت نبوة النبي صلي الله عليه وسلم وأن القرآن معجزة له . (4) وللقرآن ثلاثة أوجه:-

أحدهما: أنه يتضمن الإخبار عن الغيوب ، وذلك بما لا يقدر عليه البشر ، ولا سبيل لهم إليه ، فمن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه صلي الله عليه وسلم انه سيظهر دينه علي الأديان ، قال تعالى: "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ " (5) ففعل ذلك وكان أبوبكر الصديق رضي الله عنه إذا غزا جيوشه عرفهم ما وعدهم الله من إظهار دينه ليقبوا بالنصر ويستيقنوا بالنجاح ، وكذا كان يفعل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وسائر خلفاء النبي -صلي الله عليه وسلم- من بعده. (6) فالقرآن تضمن من أخبار الغيوب، وذكر ما سيحدث ويكون .

(7)

¹ سورة البقرة / 23.

² سورة هود / 13.

³ سورة الإسراء / 88.

⁴ " الباقلائي " القاضي أبي بكر الباقلائي ، إعجاز القرآن ، ص 17 ، 19 ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى 1993م.

⁵ سورة التوبة / 33.

⁶ الباقلائي ، إعجاز القرآن ، ص 33 .

⁷ الباقلائي ، الانتصار للقرآن ، ص 67.

وذكر ابن حزم في كتابه - الفصل في الملل والنحل - أن إعجاز القرآن في نظمه وإخباره

بالغيوب وبلاغته . (1)

والوجه الثاني: أنه كان معلوماً من حال النبي -صلي الله عليه وسلم- أنه كان أمياً، ولم يكن يعرف

شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وسيرهم ، ثم أتى بجملة ما وقع وحدث من عظيمات الأمور

ومهمات السير ، من حين خلق آدم عليه السلام وابتداء خلقه ، وما صار إليه أمره من الخروج من

الجنة ، وما انتهى إليه أمره ، ثم ذكر قصة نوح عليه السلام وسائر الأنبياء ، وهذا مما لا سبيل إليه

عن تعلم ، إلا بتأييد من جهة الوحي (2) ، مع العلم بنشوء النبي صلي الله عليه وسلم في مقامه

وظعنه ، وأنه لم يكن يتلو قبل ذلك كتاباً ، ولا يخط بيمينه ، ولا ممن يعرف مداخلة أهل السير ،

وملابسات أصحاب الآثار، وحفاظ الكتب والأخبار . (3)

الوجه الثالث: أنه بديع النظم عجيب التأليف ، متناهي في البلاغة ، إلي الحد الذي يعلم عجز

الخلق عنه (4) . وكل كلمة قائمة المعني نعلم أنها إن تليت من القرآن فإنها معجزة لا يقدر أحد علي

المجئ بمثلها أبداً . (5) فالقرآن بديع الوزن والرصف المخالف لجميع أوزان العرب ونظومه ، وأنه لا

قدرة لأحد من الخلق علي التأليف مثله ، ونظم مثل سورة منه ، أو آية ، ولو كان في فصاحة يُعرب

وقحطان ومعد بن عدنان . (6)

¹ ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج3 ، ص 31.

² الباقلائي ، إعجاز القرآن ، ، ص ، 34.

³ الباقلائي ، الانتصار للقرآن ، ص 67.

⁴ الباقلائي ، إعجاز القرآن ، ص 35.

⁵ ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ص 31.

⁶ الباقلائي ، الانتصار للقرآن ، ص 66

المطلب السادس: شمول القرآن:-

قال تعالى: "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي

الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ" (1)

فالمراد بالكتاب هنا قولان: القول الأول المراد منه الكتاب المحفوظ في العرش وعالم

السموات. والقول الثاني أن المراد منه القرآن ، وهذا أظهر ، لأن الإلف واللام إذا دخلا علي الاسم

المفرد انصرف إلي المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن، فوجب

¹ سورة الأنعام / 38.

أن يكون المراد من الكتاب في هذه الآية ، القرآن. إذا ثبت هذا ، فلنائل أن يقول: كيف قال تعالى: " ما فرطنا في الكتاب من شيء " مع أنه ليس فيه تفاصيل علم الطب ، وتفاصيل علم الحساب ، ولا تفاصيل كثير من المباحث والعلوم ، وليس فيه تفاصيل مذاهب الناس، ودلائلهم في علم الأصول والفروع؟ الجواب: أن قوله تعالى: " ما فرطنا في الكتاب من شيء " : يجب أن يكون مخصوصاً ببيان الأشياء التي يجب معرفتها والاحاطة بها وبيانه من وجهين:

الأول : إن لفظ التفريط لا يستعمل نفيًا وإثباتًا ، إلا فيم يجب أن يُبين لأن أحداً لا ينسب التفريط والتقصير في أن لا يفعل ما لا حاجة إليه ، وإنما يذكر هذا اللفظ فيما إذا قصر فيما يحتاج إليه .
والثاني : إن جميع آيات القرآن أو الكثير منها دالة بالمطابقة ، أو التضمن ، أو الالتزام ، علي إن المقصود من إنزال هذا الكتاب ، بيان الدين ، ومعرفة الله ، ومعرفة أحكام الله ، وإذا كان هذا التقيد معلوماً من كل القرآن ، كان المطلق هاهنا محمولاً علي ذلك المقيد، فالقرآن يحوي كل العلوم والمعارف ، صراحةً ، أو ضمناً أو إشارةً ، عن طريق بيان أصولها ، أو داخل العموميات ، التي يؤخذ منها الأحكام .⁽¹⁾

فالقرآن شامل لجميع أنواع المعارف والعلوم ، كما أشرنا ، كما أنه يشمل جميع نواحي الحياة

، فمن شموله:

أولاً: شمول الرؤية القرآنية للكون المادي والمعنوي:

يشبه الكون الكبير الذي نعيش فيه ، بل إن اعتبار القرآن كوناً معنوياً يضارع الكون المادي

الذي خلقه الله سبحانه وتعالى، وقد أقسم الله تعالى بعظمة الكون ، علي عظمة القرآن قال تعالى: "

¹ الرازي " الإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري ، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ج11 ، ص 225 - 227 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1401هـ - 1981م.

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (1) إنه يقسم بعظمة أحد الكونين علي عظمة الآخر ، فشمولية القرآن ، كشمولية الكون ، لا يتجزأ ، وما أصاب هذه الشمولية القرآنية الآن من انحراف ، كان بسبب الاضمحلال العلمي للأمة الإسلامية ، والانحراف الذي أصاب الثقافة الإسلامية . (2)

ثانيا: القرآن الشهود التاريخي والشهود الحضاري: لقد عرض القرآن التجربة البشرية من لدن آدم - عليه السلام- إلي الرسول الخاتم -صلي الله عليه وسلم- من خلال القصص القرآني، بما يمكن أن نطلق عليه : الشهود التاريخي ... أي حقق شهوداً تاريخياً للأمة المسلمة ، لرحلة البشرية ، ليكون ذلك رصيذاً لا بد منه للأمة الوارثة التي انتهت إليها القيادة الدينية التعبدية ، وتبني عليه بما يمكن أن نطلق عليه:الشهود الحضاري : فالقرآن مصدق للكتب السماوية ، ومهيمن عليها ، كما أن القرآن دعا للسير في الأرض لمعايشة الحاضر، ودعا للتبصير بأحوال الأمم السابقة ، لتكوين الحكمة عند المسلم ، التي تجعله ينتفع بتجارب الآخرين . (3)

ثالثا: القرآن والإصلاح الإنساني الاجتماعي السياسي الوطني: جاء الإسلام والبشر أجناس متفرقون ، يتعادون في الأنساب والألوان ، واللغات والأوطان ، والأديان والمذاهب ، والمشارب والشعوب والقبائل ، والحكومات والسياسات ، فدعاهم الإسلام إلي الوحدة ، وفرضها عليهم ، ونهاهم عن التفرق ، والتعادي قال تعالي: "إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون" (3) وبين لهم وحدة الدين بإتباع رسول واحد ، وبين لهم القرآن وحدة التشريع ، بالمساواة بين الخاضعين لأحكام الإسلام ، في

¹ سورة الواقعة / 75 - 80 .

² محمد الغزالي - كيف نتعامل مع القرآن- في مدارسها الأستاذ / عمر عبيد حسنة ، ص 84 - 88 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، هيرتون ، فيرجينيا ، الولايات المتحدة ، الطبعة الأولى ، 1411 هـ - 1991م ، دار الوفاء ، القاهرة ، الطبعة الثانية (1412 هـ - 1992م) والطبعة الثالثة ، 1413 - 1992م.

³ محمد الغزالي ، كيف نتعامل مع القرآن، ص 214 ، 219 .
سورة الانبياء/92

الحقوق المدنية والتأديبية ، بالعدل المطلق ، بين المؤمن والكافر ، وبالبر والفاجر ، والملك والسوقة ، والغني والفقير ، كما بين لهم الإسلام وحدة الجنسية السياسية الدولية بأن تكون جميع البلاد الخاضعة للحكم الإسلامي متساوية في الحقوق العامة ، كحماية أهلها ، والدفاع عنهم ، إلا حق الإقامة في الحرمين، فإنه خاص بالمسلمين. ومن أجل الإصلاح الإنساني السياسي الاجتماعي بين لهم القرآن أهمية وحدة اللغة ، وأنه لا يمكن الاتحاد والإخاء بين الناس إلا بوحدة اللغة ، فيها يتم التعاون والتآلف ، ومناهج التعليم ، والأدب ، والاشتراك في العلوم والفنون ، والمعاملات الدنيوية ، وهذه حقها الإسلام ، بجعل لغة الدين والتشريع والحكم لغة جميع المؤمنين ، وأنها واجبة التعليم (1) .

رابعاً: خلود القرآن: من المسلّمات عند المسلمين - من خلفٍ وسلفٍ - أن القرآن هو كتاب الله الخالد ، المجرد عن حدود الزمان والمكان ، وأنه خطاب عالمي إنساني شامل ، نزل ليرسم الطريق الصحيح للبشرية ، ويعالج مشكلاتها ، ويضع حلولاً لها في كل زمانٍ ومكانٍ ، ومعني خلود القرآن : أن القرآن قادر علي الاستجابة لكل الحالات ، وفي الظروف كلها ، وكما أن الآيات خالدة ، فإن المشكلات خالدة ، حتى يكون هنالك توازن بين المشكلات والآيات ، وتبقي الحاجة للقرآن قائمة فيما تنتقل به البشرية من كفرٍ ، ونفاقٍ، وهبوطٍ ، وصعودٍ ، وما إلي ذلك.(2)

¹ محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص 257 - 262 .
² محمد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ، ص 77 - 78 .

المطلب الأول: تعريف الإيمان في اللغة والاصطلاح:

الإيمان لغة: ضد الكفر ، والإيمان بمعنى التصديق ، وأمين ، والأمان ، والأمن ، ضد الخوف ، والأمانة ، ضد الخيانة . (1)

وفي مختار الصحاح : الإيمان : التصديق ، والله تعالى " المؤمن " لأنه " آمن " عباده من أن يظلمهم ، وأصل آمن ، أؤمن ، بهمزتين لينت الثانية . والأمن ضد الخوف . (2)

أما الإيمان اصطلاحاً: فلا إطلاقه حالتان:

الأولي: أن يطلق علي الأفراد غير مقترن بذكر الإسلام ، فحينئذ يراد به الدين كله ، القول والعمل .

¹ ابن منظور ، لسان العرب ، ج13 ، ص 21 مادة (أ ، م ، ن) .
² محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، ص 26 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1967م مادة " أ ، م ، ن " .

والثانية: أن يطلق مقروناً بالإسلام وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة ، كما في حديث جبريل وما في معناه ، كقوله تعالى " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... " (1) وفي كثير من الآيات ، وكقوله صلي الله عليه وسلم " اللهم من أحببته منا فأحبه علي الإسلام ومن توفيته منا فتوفه علي الإيمان " (2) وذلك أن الأعمال بالجوارح إنما يُتَمَكَّن منها في الحياة ، أما عند الموت ، فلا يبقى غير قول القلب وعمله. أما أمثلة الحالة الأولى (3) فمنها قوله تعالى: " اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ " (4) وقوله تعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ " (5) وقوله صلي الله عليه وسلم " الإيمان بضع وسبعون شعبةً فأعلاها قول لا اله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذي عن الطريق . (6)

فالإيمان اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ ، وأن الأعمال كلها داخله في مسمي الإيمان ، وهذا المعني هو الذي قصده السلف ، كما نقله الشافعي ، رحمه الله عن الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم ممن أدركهم إجماعاً . وهو أيضاً الذي أراد البخاري إثباته في كتاب الإيمان وعليه بوب أبوابه كلها فقال " باب أمور الإيمان " " و باب الصلاة من الإيمان " " و باب الزكاة من الإيمان " الخ

وقال الثوري : (7) في التفرقة بين العمل والإيمان : هو رأي محدث أدركننا الناس علي غيره .

(1)

¹ سورة محمد / 2

² ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله ، المصنف في الأحاديث والآثار ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، ج 2 ، ص 488 ، رقم الحديث (11356) ، باب ما قالوا في الصلاة علي الجنائز وما ذكر في ذلك من الدعاء له ، مكتبة الرشد ، الرياض ، 1409 هـ .

³ قدم المؤلف الحالة الثانية عليه لان الحالة الأولى وقع فيها الخلاق بين الفرق والعلماء في حقيقة الإيمان ،

⁴ سورة البقرة / 257 .

⁵ سورة الأنفال / 2 - 4 .

⁶ البخاري " أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، الأدب المفرد ، تحقيق : محمد فواد عبد الباقي ، ج 1 ، ص 209 ، رقم الحديث (598) ، باب

الحياء ، دار بشارت الإسلامية ، بيروت ، الطبعة الثانية 1409 هـ ، 1989 م .

⁷ أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري - رضي الله عنه- ، مسلم له في الإمامة ، ومثبت به الرعاية ، العلم حليفه والزهد أليفه ، قال عنه سفيان بن عيينة : أئمة الناس ثلاثة بعد أصحاب الرسول صلي الله عليه وسلم- ابن عباس في زمانه ، والشعبي في زمانه ، وسفيان في زمانه ،

وعرفه ابن أبي زيد القيرواني في كتابه "الرسالة"، بقوله: إن الإيمان قول باللسان ، وإخلاص بالقلب ، وعمل بالجوارح ، يزيد بزيادة الأعمال ، وينقص بنقصها ، ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل . (2)

فالإيمان مبني علي ركنين: الركن الأول: التصديق اليقيني بوحداية الله تعالي ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره . والركن الثاني: الإتيان بما بني الإسلام عليه وهي شهادة أن لا اله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا . (3)

وكان يقال له عالم الأمة وعابدها ، مات بالبصرة ، "الاصبهاني" أبي نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ج 6 ، ص 355-370 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1387 هـ ، 1967 م .
¹ الشيخ حافظ بن احمد ال حكي ، مختصر معارج القبول ، بشرح سلم الوصول إلي علم الأصول في التوحيد ، تحقيق أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد ال عقدة ، ص 177 – 179 دار الصفة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1411 هـ ، 1991 م .
² ابن أبي زيد القيرواني ، متن الرسالة ، ص 8 ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل سليم عيسى البايي الحلبي وشركاه ، مصر ، بدون .
³ الشيخ الحاج ابوبكر زيد الفتوي ، مفتاح السعادة الابدية في مطالب الاحمدية ، ص 8 ، مكتبة النهضة الإسلامية ، امدرمان ، بدون .

المطلب الثاني: أركان الإيمان:

ورد ذكر أركان الإيمان في حديث جبريل المشهور وفيه قال: " فأخبرني عن الإيمان ، قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت...⁽¹⁾ فأركان الإيمان ستة هي:

الركن الأول:

الإيمان بالله : أي الإيمان بألوهيته وربوبيته ، والإيمان بماله من صفات الكمال ، مما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله -صلي الله عليه وسلم- من الأسماء الحسني ، والصفات العلي ، وإمرارها كما جاءت ، بلا تمثيل ، ولا تحريف ، ولا تعطيل ، وأن كل ما سمي الله تعالى ووصف به نفسه ووصفه به رسول - صلي الله عليه وسلم - الكل حق علي حقيقته علي ما أراد الله وأراد رسوله - صلي الله عليه وسلم - وعلي ما يليق بجلال الله وعظمته⁽²⁾ . فالإيمان بالله عند العارفين بالله تعالى يعنون به نفي الحول والقوة عن الشخص وإثباتها لله تعالى وحده ، وقال العارف بالله الشيخ أحمد الطيب بن البشير في كتابه " الحكم " نفي الحول والقوة منك عنك بالكلية فإنما أعني به أن من أراد الله أن يطهر باطنه ويجعله بيت وحدته ، لا يري لنفسه قولاً ولا فعلاً ، ولا حركةً ولا

¹ مسلم ، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 40 ، رقم الحديث (10) ، كتاب الإيمان ، باب الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله .
² الشيخ حافظ بن أحمد ال حكي ، مختصر معارج القبول ، ص 189 .

سكوناً إلا من الله ، فإذا داوم علي ذلك فإنه يغيب عن الآثار برؤيا المؤثر⁽¹⁾ فيجب الإيمان بأن الله موجود وأنه متصف بما يليق به من صفات الكمال والجلال .⁽²⁾

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة: والملائكة جمع ملك ، وهم نوع من خلق الله عز وجل أسكنهم سماواته ، ووكلمهم بشؤون خلقه ، ووصفهم في كتابه ، بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، فيجب علينا الإيمان بما ورد في حقهم من صفات وأعمال في الكتاب والسنة ، والإمساك عما وراء ذلك ، فإن هذا من شؤون الغيب التي لا نعلم منها إلا ما علمنا الله ورسوله⁽³⁾.

الركن الثالث: الإيمان بالكتب المنزلة:

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا"⁽⁴⁾ ومعني الإيمان بالكتب : التصديق الجازم بأن كلها منزل من عند الله علي رسله إلي عباده بالحق والهدى ، وأنها كلام الله عز وجل لا كلام غيره ، وأنه تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء وعلي الوجه الذي أراد، فمنها المسموع منه وراء حجاب بدون واسطة، ومنها ما يسمعه الرسول الملكي ويؤمر بتبليغه إلي الرسول البشري ، والإيمان بكل ما فيها من الشرائع ، وأن من كذب بشيء منها ، أو أبي الانقياد لها مع تعلق خطابه به يكفر بذلك.⁽⁵⁾ والمعلوم لنا منها صحف إبراهيم، والتوراة ، التي أنزلت علي سيدنا موسي عليه السلام ، والزبور الذي أنزل علي سيدنا داود عليه السلام ،

¹ الشيخ احمد الطيب بن البشير ، كتاب الحكم المسمي " بالنفس الرحماني في الطور الإنساني وشرحه المسمي بالجواهر الفريد في علم الوحدة والتوحيد ، ص 74 ، مكتبة القاهرة لصاحيها علي يوسف سليمان ، بدون .

² محمد بن محمد المبارك الفتحى المراكشي المالكي ، شرح ابن عاشر المسمي الحبل المتين علي نظم المرشد المعين، ص 19 ، المصطفي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2005م.

³ محمد خليل هراس ، شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ، تعليق وتصحيح : الشيخ إسماعيل الأنصاري ، ص 17 – الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، 1402 هـ - 1820م.

⁴ سورة النساء / 136.

⁵ الشيخ حافظ بن احمد ال حكي ، مختصر معارج القبول ، ص 195.

والإنجيل الذي أنزل علي سيدنا عيسي عليه السلام، والقرآن الكريم الذي هو آخرها نزولاً، وهو المصدق لها والمهيمن عليها ، والمنزل علي سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم ، وما عداها يجب الإيمان به أجمالاً .⁽¹⁾

الركن الرابع: الإيمان بالرسول:

والرسل جمع رسول ، والرسول: هو من أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه . وعلينا أن نؤمن تفصيلاً بمن سمّي الله في كتابه منهم وهم خمسة وعشرون ، ذكرهم الشاعر في قوله:

في " تلك حجتنا " ⁽²⁾ منهم ثمانية * من بعد عشر ويبقي سبعة وهم

إدريس، هود، شعيب، صالح، كذا * ذو الكفل،ادم، بالمختار قد ختموا

وأما ما عدا هؤلاء من الرسل والأنبياء ، نؤمن بهم أجمالاً، علي معني الاعتقاد بنبوتهم ورسالاتهم ، دون أن نكلف أنفسنا البحث عن عدتهم اسمائهم .⁽³⁾ وهؤلاء الرسل نصدق بأن الله أرسلهم إلي الخلق لهدايتهم وتكميل معاشهم الحسي والمعنوي .⁽⁴⁾

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

وهو يوم القيامة ، وما فيه من أحداث يجب الإيمان بها، كالبعث: وهو عبارة عن إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع أجزاءهم الأصلية. والحشر: هو سوق الناس جميعاً إلي الموقف الذي يقفون فيه بين يدي الله عز وجل . والوزن والميزان: هو وزن أفعال العباد بميزان واحد علي الراجح وهو حقيقي لا مجازي ، قال تعالي: " وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ

¹ محمد خليل هراس ، شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ، ص 18.

² أي الآيات من 83 – 86 / الأنعام.

³ محمد خليل هراس ، شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ، ص 18.

⁴ محمد بن محمد المبارك الفتحي المراكشي ، شرح ابن عاشر ، ص 19.

شَيْئاً... " (1) وكذا السؤال والحوض والصراط: وقد دلت الأدلة السمعية عليها، فالصراط: هو جسر ممدود علي متن جهنم أدق من الشعرة ، وأحد من السيف ، يعبره أهل الجنة وتنزل به أقدام أهل النار ، قال تعالى: " وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا " (2) ، والحوض: هو حوض نبينا محمد صلي الله عليه وسلم، وهو الكوثر ، فمن شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً . (3)

الركن السادس:

الإيمان بالقدر خيره وشره: وهو تصديقك بفعل القدر عليك من خيرٍ أو شرٍ علي أن تكون راضياً به ، وذلك من أدلة الذوق في توحيد الأفعال (4) ، فلا يكْمُلُ إيمان المرء إلا بذلك (5) . والمراد بالقدر خيره وشره: أن الله علم مقادير الأشياء وأزمانها أزلاً، ثم أوجدها بقدرته ، ومشيتته علي وفق ما علمه منها ، وأنه كتبها قبل إحداثها في اللوح المحفوظ . (6)

¹ سورة الأنبياء / 47.

² سورة مريم / 71.

³ العلامة الشيخ / عبد الكريم الرفاعي ، المعرفة في بيان عقيدة المسلم ، تقديم: الشيخ محمد عوض والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، ص 91 ، 93 ، مكتبة الغزالي ، دمشق ، الطبعة الثالثة 1411 هـ - 1991 م.

⁴ هو أن لا يرى الإنسان لنفسه أو لغيره فعلاً ، غير فعل الله عز وجل ، الشيخ احمد الطيب بن البشير ، كتاب الحكم ، ص 105.

⁵ الشيخ / أحمد الطيب بن البشير ، كتاب الحكم ، ص 24.

⁶ محمد خليل هراس- شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ، ص 20.

المطلب الثالث: زيادة الإيمان ونقصانه والأدلة علي ذلك:

الإيمان عند أهل السنة والجماعة في الاصطلاح كما عرفناه هو: الإيمان بالإخلاص لله بالقلوب ، وشهادة الألسنة ، وعمل الجوارح. وبهذا التعريف فإن الإيمان يزيد وينقص ، بخلاف من قال: أن الإيمان لا يزداد وإنما الازدياد من اليقين، لأنهم عرفوا الإيمان بقولهم: الإيمان بالقلوب والألسنة ، وأما الأعمال فإنها هي تقوي وبر. والصحيح والذي عليه السلف ، أن الإيمان يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي وبهذا القول كان يأخذ سفيان والأوزاعي ومالك بن أنس ، ويرون أعمال البر جميعاً من الازدياد في الإسلام ، لأنها كلها عندهم منه . (1) وبعضهم قال: (2) إن الإيمان إذا ذهب بعضه ذهب كله، فهذا ممنوع، وهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان ، فإنهم ظنوا أنه متي ذهب بعضه ذهب كله لم يبق منه شيء. فيخلد في النار . وبعضهم قال : (3) لا تُذهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة شيئاً من الإيمان ، إذ لو ذهب شيء منه لم يبق منه شيء فيكون شيئاً واحداً يستوي فيه البر والفاجر . (4)

ومن الأدلة علي زيادة الإيمان ونقصانه قوله تعالى : " ... فَرَادَهُمْ إِيمَانًا ... " (5) وقال تعالى: " لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ... " (6) وقال تعالى: " الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ " (7) وقال تعالى: " ... وَمَا زَادَهُمْ

¹ الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيببة العبسي، كتاب الإيمان، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ص 72، نشر وتوزيع دار الأرقم، الكويت، بدون.

² يقصد الخوارج والمعتزلة.

³ يقصد فرقة المرجئة.

⁴ ابن تيمية، الإيمان، ص 210، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى، 1381هـ والثانية 1392هـ والثالثة 1399هـ.

⁵ سورة آل عمران / 173.

⁶ سورة الفتح / 4.

⁷ سورة آل عمران / 173.

إِلَّا إِيْمَانًا وَتَسْلِيمًا...⁽¹⁾ فهذه الآيات تبين أن الإيمان يزيد وينقص وذلك بتأثير الطاعات في القلب ، ونقصه بعدم تأثيرها فيه بل بتأثير أثرها ، وهي النقطة السوداء في القلب ، وهذا لا يدركه إلا من راقب أحوال نفسه في أوقات المواظبة علي العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور ، وإدراك التفاوت في السكون إلي عقائد الإيمان في هذه الأحوال ، حتى يزيد عقده استعصاء علي من يريد حله بالتشكيك ، بل من يعتقد في اليتيم معني الرحمة إذا عمل بموجب اعتقاده فمسح رأسه وتلطف به أدرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل. وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملاً مقبلاً أو ساجداً لغيره، أحس من قلبه بالتواضع عند إقدامه علي الخدمة ، وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ، ثم يعود دائر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها⁽²⁾

أما الأدلة من السنة وأقوال الصحابة والسلف فكثيرة نذكر منها:

قال صلي الله عليه وسلم: " الإيمان بضع وسبعون شعبة فأدناها إمطة الاذي عن الطريق، وأعلاها قول لا اله إلا الله " .⁽³⁾ وروي مسلم عن حنظلة الأسيدي⁽⁴⁾ قال: " وكان من كتاب رسول الله صلي الله عليه وسلم، قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه- فقال: كيف أنت يا حنظلة ؟ قال: قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله -صلي الله عليه وسلم- ، يذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي العين، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلي الله عليه وسلم، عافسنا⁽⁵⁾ الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيراً. قال أبو بكر رضي الله عنه فوالله إنا لنلقي مثل

¹ سورة الأحزاب / 22.

² الغزالي ، قواعد العقائد ، تحقيق : موسي محمد علي ، ص 262 - 263 ، عالم الكتب ، بيروت الطبعة الثانية 1405 هـ - 1985م

³ سبق تخريجه.

⁴ حنظلة بن الربيع ، يقال ابن ربيعة ، والأكثر بن الربيع بن صيفي الكاتب الاسيدي التميمي ، يكن أبا ربيعي ، من بني أسد بن عمرو بن تميم ، وهو ابن أخ أكنم بن صيفي حكيم العرب ، ويعرف بحنظلة الكاتب شهيد القادسية وهو ممن تخلف عن علي في قتال أهل البصرة يوم الجمل ، جل حديثه عن أهل الكوفة . مات حنظلة في إمارة معاوية ولا عقب له . " ابن عبد البر " ابي عمر بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي ، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، ج 1 ، ص 431 ، 432 ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1422 هـ - 2002م.

⁵ من المعافسة أي المداعبة والممارسة ، بن منظور ، لسان العرب ، ج 4 ، ص 3013 ، مادة " عفس".

هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا علي رسول الله -صلي الله عليه وسلم- قلت: نافق حنظلة يا رسول الله . فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً. فقال رسول الله -صلي الله عليه وسلم- : " والذي نفسي بيده أن لو تدومون علي ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة علي فرشكم وفي طرقكم لكن يا حنظلة ساعة وساعة " (1) ثلاث مرات.

وعلي هذا إجماع الائمة المعتد بإجماعهم أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص ، وإذا كان ينقص بالفترة عن الذكر فلأن ينقص بفعل المعاصي من باب أولي . (2)

قال ابن عمر وغيره رضي الله عنهم: تعلمنا الإيمان ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً. وكان ابن مسعود يقول في دعائه: اللهم زدنا إيماناً و يقيناً وفقهاً.

وقال مالك بن دينار: (3) الإيمان يبدو في القلب ضعيفاً ضئيلاً كالبقلة ، فإن صاحبه تعاوده فسقاه بالعلوم والأعمال الصالحة ، أماط عنه الدغل ، وما يضعفه ويوهنه ، أو شك أن ينمو ويزداد ، ويصير له أصل وفروع وثمره وظل إلي ما لا يتناهى ، حتى يصير أمثال الجبال ، وإن صاحبه أهمله ولم يتعاوده جاءه عنز فنفتتها، أو صبي فذهب بها ، وأكثر عليها الدغل فأضعفها ، أو أهلكها ، أو أيبسها ، كذلك الإيمان. وقيل لبعض السلف: يزداد الإيمان وينقص؟ قال: نعم يزداد حتى يصير أمثال الجبال ، وينقص حتى يصير أمثال الهباء . (4)

¹ مسلم ، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، ج4 ، ص 2106 ، رقم الحديث (2750) ، كتاب التوبة ، باب في فضل الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك .

² الشيخ حافظ بن أحمد ال حكي ، مختصر معارج القبول ، ص 320 - 321.

³ مالك بن دينار البصري ، أبو يحيى: من رواة الحديث ، كان ورعا ، يأكل من كسبه ، ويكتب المصاحف بالأجرة ، توفي بالبصرة سنة 131 هـ - 748م.الزركلي ، خير الدين الزركلي ، الاعلام ، ج5 ، ص260 ، دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان ، الطبعة السابعة 1986م

⁴ ابن تيمية ، الإيمان ، ص 212-213 .

المطلب الرابع: الخصال والأفعال التي تزيد الإيمان وتنقصه:

أولاً : محبة الخير للناس: قال -صلي الله عليه وسلم-: " والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير " (1)

ثانياً : إكرام الضيف ، واحترام الجار وحفظ اللسان: قال - صلي الله عليه وسلم - : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت " . (2)

ثالثاً : الصلاة في ميقاتها وبر الوالدين : " سئل رسول الله -صلي الله عليه وسلم-: "أي الأعمال أفضل قال: الصلاة في ميقاتها وبر الوالدين" (3) ، ويوبه مسلم في صحيحه : باب كون الإيمان بالله تعالي أفضل الأعمال . (4)

رابعاً : الحياء من الإيمان: مر رسول الله -صلي الله عليه وسلم- برجل من الأنصار ، وهو يعظ أخاه في الحياء ، فقال رسول الله - صلي الله عليه وسلم - : " دعه فإن الحياء من الإيمان " . (5)

خامساً : حب الأنصار من الإيمان: قال -صلي الله عليه وسلم-: " لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، من أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله " . (6)

سادساً : البذاذة (7) من الإيمان: قال - صلي الله عليه وسلم - : " إن البذاذة من الإيمان " . (8)

1 الإمام أحمد بن حنبل ، المسند، ج3 ، ص 206 رقم الحديث (13169) ، مسند أنس بن مالك.
2 أبوداؤود ، سنن أبي داؤود ، ج2 ، ص 76 ، رقم الحديث (5154) ، كتاب الأدب ، باب في حق الجوار.
3 الترمذي ، سنن الترمذي، ج4 ، ص 310 ، رقم الحديث (1998) ، كتاب البر وصلة الرحم .
4 " ابن مندة " الحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن مندة ، كتاب الإيمان ، تحقيق : د . علي بن محمد بن ناصر الفقيهي- ج2 ، ص 441 - 543 ، المجلس العلمي إحياء التراث الإسلامي ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى 1410 هـ ، 1981م.
5 البخاري - الجامع الصحيح - ج 1 - ص 17 - رقم الحديث (24) - كتاب الإيمان - باب الحياء من الإيمان.
6 البخاري ، الجامع الصحيح ، ج 3 ، ص 1397 ، رقم الحديث (3572) ، كتاب فضائل الصحابة ، باب حب الأنصار من الإيمان.
7 التواضع في اللباس والرضا بالدون من الثياب، ابن الجوزي ، كتاب الترغيب والترهيب، ج 1 ، ص 67 .
8 " ابن ماجة " أبو عبيدة محمد بن عبد الله محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجة ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ج 2 ، ص 1397 ، رقم الحديث (4118) ، كتاب الزهد ، باب من لا يؤبه له ، دار الفكر ، بيروت ، بدون.

سابعاً : الأمانة والعهد من الإيمان: قال صلي الله عليه وسلم : " لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولادين لمن لا عهد له" . (1)

ثامناً : الغيرة من الإيمان وعدمها من النفاق: قال: - صلي الله عليه وسلم - : "إن الغيرة من الإيمان وإن البذاء من النفاق والبذاء الديوث" (2) أي لا يغار علي عرضه بحفظه وصونه . (3)

أما الأفعال القبيحة التي تنقص الإيمان أو تزيله بالكلية، أي تزيل عمل الإيمان، وتزيل الإيمان الذي هو الإقرار والتصديق بالقلب، فمن زني نُزِعَ منه الإيمان ، أي عمل الإيمان ، ولا يصير كافراً عند أهل السنة ، لأن إيمانه الذي هو الإقرار والتصديق باقٍ إلا أن يكفر ، ومن هذه الخصال:

أولاً : الشرك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، والزنا: أتى رجل إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم فسأله عن الكبائر فقال " أن تدعو الله نداً وهو خلقك ، أو تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ، وأن تزني بحليلة جارك ، ثم قرأ " والذين لا يدعون مع الله الهه آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاماً" (4) و (5) فالشرك يخرج صاحبه من الملة ، بخلاف الزنا والقتل ، فإن فاعلها مسلم عاصٍ. (6)

ثانياً : السرقة وشرب الخمر : قال صلي الله عليه وسلم : " لايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، والتوبة معروضة

¹ الإمام أحمد بن حنبل ، المسند ، ج 3 ، ص 154 ، رقم الحديث (12589) ، مسند أنس بن مالك .
² أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، مصنف عبد الرزاق ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، ج 10 ، ص 409 ، رقم الحديث (952) ، كتاب أهل الكتابين ، باب الغيرة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1403 هـ .
³ الإمام محمد بن نصر الدين المروزي ، تعظيم قدر الصلاة ، ومعه : الثمار المحلاة في تخريج أحاديث تعظيم قدر الصلاة ، لأبو مالك كمال بن سالم ، ص 289 - 305 ، مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية ، السعودية - 1424 هـ .
⁴ سورة الفرقان / 68 .
⁵ البخاري ، الجامع الصحيح، ج4 ، ص 1784 ، رقم الحديث (4483) ، كتاب التفسير ، باب سورة الفرقان .
⁶ ابن مندة ، كتاب الإيمان ، ج2 - ص 544 .

بعد " (1) ، فشارب الخمر ملعون لعنه الله ورسوله . (2) ونكتفي بما أوردنا من الأفعال القبيحة التي تنقص الإيمان أو تزيله بالكلية ، فهي كثيرة ويمكن أن نلخصها في الآتي: إن كل ذنبٍ أو فعلٍ قبيحٍ توعده الله أو رسوله -صلي الله عليه وسلم- ، فاعله باللعن أو الطرد من رحمة الله أو الوعيد الشديد في الآخرة ، فإنه ينقص الإيمان أو يزيله بالكلية.

¹ البخاري ، الجامع الصحيح ، نفس المصدر ، ج 6 ، ص 2497 ، رقم الحديث (6425) ، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة ، باب اثم الزناة.

² الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ، الكباير ، تحقيق : محمود بن الجميل ، ص 95 ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1422هـ ، 2001م.

المطلب الخامس: الأدب مع الله ورسوله من كمال الإيمان:

الأدب مع الله ورسوله من أعلي مقامات أهل القرب والعارفين بالله ، فكل الآداب تُتلقى من رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فإنه عليه السلام مجمع الآداب ظاهراً وباطناً، فقد أدبه الله وأحسن تأديبه ، فهو سيد المتأدبين مع الله . وسار علي ذلك صحابته الكرام ، وسادات السلف الصالح ، والعارفون بالله من هذه الأمة ، وحثوا علي ذلك ، قال الجنيد: (1) من أعان نفسه علي هواها فقد أشرك في قتل نفسه ، لأن العبودية ملازمة الأدب ، والطغيان سوء الأدب ، وقال أبو علي الدقاق (2) : العبد يصل بطاعته إلي الجنة ، ويأدبه في طاعته إلي الله تعالي. وقال بعضهم ، إلزم الأدب ظاهراً وباطناً، فما أساء الأدب ظاهراً إلا عوقب ظاهراً، وما أساء الأدب باطناً إلا عوقب باطناً. وقال عبد الله بن المبارك: (3) من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن ، ومن تهاون بالسنن ، عوقب بحرمان الفرائض ، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة. وقال أبو علي أيضاً: ترك الأدب موجب الطرد: وقال أنس بن مالك ، الأدب في العمل علامة قبول العمل. ومن صور الأدب مع الله عند العارفين بالله ، أن أحدهم إذا كان في الخلوة والذكر لا يمد رجله، وكان أبو علي الدقاق لا يستند إلي شئ قط ، ولو وسادة ، سوي الاستناد إلي الله ، تأديباً. ومن حسن أدبه – صلي الله عليه وسلم – في الحضرة مع الله تعالي، ما حكاه عنه ربه جل وعلا بقوله " مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَعَى "

¹ الجنيد بن محمد الجنيد البغدادي الخزاز ، أبو القاسم : صوفي من العلماء بالدين . مولده ومنتشاه ووفاته ببغداد . قال أحد معاصريه : ما رأيت عيناى مثله ، وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد ، وعده العلماء شيخ مذهب التصوف ، توفي سنة 297 هـ . الزركلي ، الأعلام ، ج 2 ص 141 .

² الحسن بن علي بن محمد . الأستاذ أبو علي الدقاق ، الزاهد النيسابوري شيخ الصوفية ، وشيخ أبا القاسم القشيري وحكي عنه أبو القاسم أحوالا وكرامات ، وكان إمام عصره صنف كتاب (الضحايا) توفي سنة 406 هـ . ((الإمام الذهبي – تاريخ الإسلام – ج 1 – ص 2944 – بدون .

³ السخي الجواد – الممهد للمعاد ، المتزود من الوداد أليف القران والحج والجهاد ، قال الاوزاعي لعبد بن زيد: رأيت عبد الله ابن المبارك ؟ قلت لا : قال : لو رأيت لقرت عينيك . قال أبو إسحاق : ابن المبارك إمام المسلمين . وقال عبد الرحمن بن مهدي : ما رأيت عيناى مثل سفيان ، ولا أقدم علي عبد الله بن المبارك أحدا . وقال الثوري : لو جهدت جهدي أن أكون في السنة ثلاثة أيام علي ما عليه ابن المبارك لم أقدر . الاصبهاني ، حلية الأولياء و طبقات الأصفياء ، ج 8 ، ص 162 – 168 .

(1) وهذه غامضة من غوامض الآداب ، أختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .وأخبر الله تعالى عن اعتدال قلبه المقدس في الإعراض والإقبال ، وأعرض عما سوي الله وتوجه إلي الله ، وترك وراء ظهره الدار العاجلة بحظوظها ، والسماوات والدار الآخرة بحظوظها ، وما التفت إلي ما فاته ، بل توجه لربه. (2)

فالأدب مع الله ، يكون بصرف الأمور كلها إليه ، من دعاءٍ واستعانةٍ وكشف الضر وطلب الخير، وعدم التعلق بالأسباب والاستناد عليها دون الله عز وجل ، وأن لا فاعل في الكون كله إلا الله عز وجل . (3)

أما الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في طاعته المطلقة ، ومحبته ، وأن لا نقدم عليه قولاً ولا فعلاً، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " (4) من أمر الدين والدنيا ، ومن قدم قوله أو فعله علي الرسول -صلي الله عليه وسلم- فقد قدمه علي الله تعالى لأن الرسول صلي الله عليه وسلم إنما يأمر عن أمر الله عز وجل ، وكذا أن لا نرفع صوتنا في حضرته صلي الله عليه وسلم . قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ " (5) . معني الآية الأمر بتعظيم رسول الله صلي الله عليه وسلم وتوقيره، وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته، وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره -صلي الله عليه وسلم- . قال القاضي أبو بكر بن العربي: حرمة النبي صلي الله عليه وسلم ميتاً كحرمة حياً، وكلامه

¹ سورة النجم / 17.

² السهروردي الإمام شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي ، عوارف المعارف ، ضبطه وصححه : محمد عبد العزيز الخالدي ، ص 166 – 167 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1420 هـ . 1999م.

³ الشيخ / أحمد الطيب بن البشير ، كتاب الحكم ، ص 105.

⁴ سورة الحجرات / 1.

⁵ سورة الحجرات / 2.

المأثور بعد موته في الرفعة ، مثال كلامه المسموع في لفظه ، فإذا قرئ كلامه ، وجب علي كل حاضرٍ ، أن لا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه.⁽¹⁾ ومن الأدب مع رسول الله صلي الله عليه وسلم العمل بسننه وهديه، قال صلي الله عليه وسلم " من رغب عن سنتي فليس مني " ⁽²⁾ فكمال الإيمان يكون بإتباع الرسول صلي الله عليه وسلم ، وتصديقه وما جاء به ⁽³⁾ .فمحببة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان ، وأكبر أصوله ، وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين .

(4)

¹ القرطبي، أحكام القرآن ، ج 16 ، ص 225-263 .
² البخاري ، الجامع الصحيح ، ج 5 ، ص 1949 ، رقم الحديث (4779) ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح.
³ الإمام محمد بن نصر المروزي ، تعظيم قدر الصلاة، ص 442.
⁴ ابن تيمية ، أمراض القلوب وشفائها ، ص 58 ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1386م. الثانية 1399، والثالثة 1402هـ.

المطلب الأول: الذكر في القرآن الكريم ومنزلته:

الذكر هو: التخلص من الغفلة والنسيان ، والفرق بين الغفلة والنسيان: أن الغفلة : تركُّ باختيار الغافل. والنسيان: تركُّ بغير اختيار، ولهذا قال تعالى: " ولا تكن من الغافلين " (1) ولم يقل: ولا تكن من الناسين، فإن النسيان لا يدخل تحت التكليف فلا ينهي عنه (2) . واعلم أنه ليس بعد تلاوة القرآن عبادة تُؤدي باللسان أفضل من ذكر الله سبحانه وتعالى ، ورفع الحوائج بالأدعية الخالصة إليه تعالى: (3) قال ابن القيم في كتابه مدارج السالكين: الذكر منشور الولاية، الذي من أعطيه اتصل ومن منعه عُزل. وهو قوت قلوب القوم ، الذي متي فارقها صارت الأجساد لها قبوراً. وعمارة ديارهم ، التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً. وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق ، ودواء أسقامهم، والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب . (4)

فالذكر في القرآن علي عدة أوجه:

الأول: الأمر به مطلقاً ومقيداً. قال تعالى: "اذكروا الله ذكراً كثيراً" (5) وقال تعالى: " فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام " (6)

الثاني: النهي عن ضده من الغفلة والنسيان، قال تعالى: " وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ " (7)

¹ سورة الأعراف / 205.

² "ابن القيم" أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن القيم الجوزية ، م 691 – ت 751 هـ ، مدارج السالكين بين منازل " إياك نعبد وإياك نستعين" ، مراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، ج 2 ، ص 451–452 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1972م - 1392هـ .

³ ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ص 49.

⁴ ابن القيم ، مدارج السالكين ، ص 440.

⁵ سورة الأحزاب/ 41.

⁶ سورة البقرة / 198.

⁷ سورة الأعراف / 205.

الثالث: مصاحبته لجميع الأعمال، واقتترانه بها ، وأنه روحها : فإنه سبحانه وتعالى قرنه بالصلاة لقوله " وأقم الصلاة لذكري" ⁽¹⁾ وقرنه بالصيام والحج ومناسكه . بل هو روح الحج ولبه ومقصوده ، قال تعالى: " فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا " ⁽²⁾ أما الصيام فقرنه بقوله: " وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " ⁽³⁾

وقرنه بالجهاد في سبيل الله ، وأمر بذكره عند ملاقاته الأقران، ومكافحة الأعداء ، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " ⁽⁴⁾ فالذكر لو كان آخر كلام العبد من الدنيا ، أدخله الجنة . ⁽⁵⁾

أما منزلة الذكر : فهو من منازل إياك نعبد وإياك نستعين، وهي منزلة القوم الكبرى ، التي منها يتزودون، وفيها يتجرون. وإليها دائماً يترددون. فيه يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات. وتهون عليهم به المصيبات . إذا أظلم البلاء. فإليه ملجؤهم . وإذا نزلت بهم النوازل ، فإليه مفرعهم . فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون . يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً. ويوصل الذاكر إلي المذكور ، بل يدع الذاكر مذكوراً. فالذكر عبودية القلب ، واللسان وهي غير مؤقتة . بل هم يأمرن بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال، قياماً وعوداً، وعلي جنوبهم . وهو باب الله الأعظم ، المفتوح بينه وبين عبده ، ما لم يغلقه العبد بغفلته . قال الحسن البصري رحمه الله: ⁽⁶⁾ تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء : في الصلاة . وفي الذكر . وقراءة القرآن . فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

¹ سورة طه / 14 .

² سورة البقرة / 200 .

³ سورة البقرة / 185 .

⁴ سورة الأنفال / 45 .

⁵ ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج2 ، ص 441 – 445 .

⁶ الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد تابعي ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة في زمنه ، وهو احد العلماء والفقهاء والفصحاء في زمانه ، ولد بالمدينة وشب في كنف علي بن أبي طالب ، وسكن البصرة ، وعظمت هيبته في القلوب ، قال الغزالي ، كان الحسن البصري اشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء ، واقربهم هدياً من الصحابة . وله كتاب باسم " فضائل مكة " توفي بالبصرة سنة 110 هـ وولد 21 هـ " الزركلي ، الأعلام ، ج2 ، ص 226 " .

فبالذكر : يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان ، وهو روح الأعمال الصالحة ، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه. (1)

المطلب الثاني: فضيلة الذكر جملةً وتفصيلاً:

ويدل علي فضيلة الذكر علي الجملة من الآيات: فول سبحانه وتعالى: " فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ " (2) قال ثابت البناني رحمه الله: (3) "أني أعلم متي يذكرني ربي عز وجل ، ففزعوا منه وقالوا: كيف تعلم

¹ ابن القيم ، مدارج السالكين ، ص 440 ، 441 .

² سورة البقرة / 152.

³ ثابت بن أسلم ، أبو محمد البصري التابعي القاص الزاهد العابد ، أحد مفاتيح الخير ، كان يقول : اللهم إن كنت قد أعطيت أحداً الصلاة في قبره فأعطني الصلاة في قبري ، مات بعد العشرين ومائة ، "ابن الملتن ، طبقات الأولياء ، ج 1 ، ص 20 ، بدون ، قال عنه ابن حجر

ذلك؟ فقال: إذا ذكرته ذكرني. وقال تعالى: " اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا " (1) وقال تعالى: " فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ " (2) وقال تعالى: " فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا " (3) وقال تعالى: " الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ " (4) وقال تعالى " فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ " (5) قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغني والفقير والمرض والصحة والسر والعلانية، وقال تعالى في ذم المنافقين: " وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا " (6) وقال تعالى: " ولذكر الله أكبر " (7) قال ابن عباس رضي الله عنهما: له وجهان: أحدهما: أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه ، الآخر: أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه. إلي غير ذلك من الآيات . (8)

أما الأخبار فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: " وأمركم أن تذكروا الله تعالى ، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً ، حتى إذا أتى إلي حصن حصين ، فأحرز نفسه منهم ، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله " (9) فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة ، لكان حقيقياً بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى: وأن لا يزال لهجاً بذكره فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بذكر الله ، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة ، فهو يرصده ، فإذا

العسقلاني في كتابه ، لسان الميزان ، ثقة كبير القدر " ابن حجر ، لسان الميزان ، ج 7 ، ص 187 ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1406 هـ ، 1986 م .

¹ سورة الأحزاب / 41 .

² سورة البقرة / 198 .

³ سورة البقرة / 200 .

⁴ سورة آل عمران / 191 .

⁵ سورة النساء / 103 .

⁶ سورة النساء / 142 .

⁷ سورة العنكبوت / 45 .

⁸ الإمام العزالي - إحياء علوم الدين - ومعه كتاب تعريف الإحياء بفضائل الإحياء وكتاب الإملاء في إشكالات الأحياء ، بُهامشة كتاب : المغني عن حمل الأسفار في الأسفار لتخريج ما في الأحياء من الأخبار ، للحافظ العراقي - راجعه وخرج احاديثه ، محمد سعيد محمد - ج 1 - ص 359 - 360 - دار البيان العربي - القاهرة - الطبعة الأولى - 1426 هـ - 2005 م .

⁹ الترمذي - سنن الترمذي ، ج 5 - ص 184 ، رقم الحديث (2836) ، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة .

غفل وثب عليه واقتنسه ، وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى: وتصاغر وانقمع ، حتى يكون كالوصع والذباب ، ولهذا سُمِّيَ " الوسواس الخناس " ⁽¹⁾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشيطان جاثم علي قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر الله تعالى خنس" ⁽²⁾ وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: ما عمل آدمي عملاً قط أنجي له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل " ⁽³⁾ وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم" ألا أخبركم بخير أعمالكم وأذكأرها عند مليكم ، وارفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلي يا رسول الله . قال: ذكر الله عز وجل" ⁽⁴⁾ وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، أنهما شهدا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم ، أنه قال: لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده" ⁽⁵⁾ وعن أبي موسى الأشعري عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: " مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه ، مثل الحي والميت" ⁽⁶⁾ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: " يقول الله تبارك وتعالى: " أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولةً " ⁽⁷⁾

¹ سورة الناس / 4.

² ابن أبي شيبة ، المصنف في الأحاديث والآثار ، ج7- ص 135 ، رقم الحديث (34774) .

³ " الإمام مالك " أبو عبد الله مالك بن أنس الإصباحي - موطأ الإمام مالك رواية يحيى الليثي - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - ج 1 - ص

211 - رقم الحديث (492) - دار إحياء التراث العربي- مصر - بيروت.

⁴ الترمذي - سنن الترمذي- ج 5 - ص 459 - رقم الحديث (3377) - كتاب الدعوات.

⁵ الإمام احمد بن حنبل ، ج3 - ص 92 - رقم الحديث (11893) .

⁶ البخاري - الجامع الصحيح المختصر- ج 5 - ص 2353 . رقم الحديث (6044) باب فضل ذكر الله عز وجل .

⁷ البخاري - الجامع الصحيح- ج 5 - ص 2694 - رقم الحديث (6970) - باب قول الله تعالى " ويحذركم الله نفسه" .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وما ذكرنا هـ ، يفى بالعرض المطلوب.⁽¹⁾

أما الآثار: فنذكر بعضاً منها: قال أحد العارفين بالله: الذكر تزيق المذنبين ، وأنس المنقطعين ، وكنز المتوكلين، وغذاء الموقنين، وحلية الواصلين، ومبدأ العارفين ، وبساط المقربين ، وشراب المحبين .⁽²⁾

وقال الحسن: الذكر ذكران: ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه

وأعظم أجره ، وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه وتعالى عن ما حرم الله عز وجل.⁽³⁾

المطلب الثالث: آداب وفوائد الذكر:

أجمع الأشياخ علي أن العبد يصل بعبادته إلي حصول الثواب ، ودخول الجنة ، ولكن لا يصل إلي حضرة ربه ، إلا أن يصحبه الأدب في تلك العبادة ، وقد عدَّ الأشياخ للذكر ألف أدب ، من يتحقق بها تُقرب عليه الفتح ونحن نذكر أهم وأجمع الآداب:

¹ الإمام ابن القيم الجوزية - الوابل الصيب من الكلم الطيب - تحقيق: محمد محمد عامر - ص 35 - 38 - دار الدعوة الإسلامية - مصر - 2002م.

² عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري الشافعي - نزهة المجالس ومنتخب النفائس- تحقيق: إبراهيم أمين محمد - ص 19- المكتبة التوفيقية - القاهرة - بدون.

³ الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين- ج 1 - ص 361 .

أولاً: التوبة النصوح ، وهي أن يتوب من كل ما لا يعنيه ، فضلا عن المحرمات.

ثانياً: الوضوء ، أو الغسل قبل الذكر.

ثالثاً: الصمت والسكينة أثناء الذكر ليحصل له بهما ، كمال الانتباه والتوجه والصدق.

رابعاً: الجلوس علي مكان طاهر ، كجلوسه في الصلاة.

خامساً: أن يضع راحتيه علي فخذه ، واستحبوا جلوسه للقبلة إن كان يذكر وحده.

سادساً: تطيب المجلس والثياب بالرائحة الطيبة.

سابعاً: أن يكون مكسبه حلالاً طيباً.

ثامناً: تغميض العينين ، وذلك أن الذاكر إذا أغمض عينيه تنسد عليه طرق الحواس الظاهرة شيئاً

فشيئاً ، وسدها يكون سبباً لفتح حواس القلب .

تاسعاً: الصدق في الذكر ، بأن يستوي عنده السر والعلانية.

عاشراً: الإخلاص ، وهو تصفية القلب ، وتصفية العمل من كل شوب.

أحد عشر: إحضار معني الذكر في قلبه.

ثاني عشر: تفرغ القلب من كل موجود سوي الله، ليتم تأثير الذكر في القلب.

ثالث عشر: المداومة ، والملازمة للذكر، خاصة " لا اله إلا الله " فإن لها تأثيراً عظيماً عند القوم لا

يوجد في غيرها من سائر الأذكار.

رابع عشر: إن يستشعر عظمة الله وعونه ، وشكر النبي ، صلي الله عليه وسلم ، لأنه هو الواسطة

بينه وبين الله عز وجل ، وهو الجالب لنا الخير كله من ذكرٍ أو غيره.

خامس عشر: اختيار الموضوع المظلم من خلوة أو نحوها ، فهو أدعي للخشوع.¹

أما فوائد الذكر، فكثيرة ، ذكر منها الإمام ابن القيم في كتابه " الوابل الصيَّب من الكَلِم

الطيب" أكثر من مائة فائدة ، نذكر عدداً منها:

إحداها: أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

الثانية: أنه يُرضي الرحمن عز وجل.

الثالثة: أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

الرابعة: أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط .

الخامسة: يقوي القلب واليدين.

السادسة: ينور الوجه والقلب.

السابعة: يجلب الرزق.

الثامنة: يكسو الذاكِر المهابة والحلاوة والنضرة.

التاسعة: يورث المحبة التي هي روح الإسلام ، وقطب رحي الدين ، ومدار السعادة والنجاة ، فالذكر

باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم ،

العاشرة: يورث المراقبة ، حتى يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن

الذكر إلي مقام الإحسان ، كما لا سبيل للقاعد عن الوصول إلي البيت.

الحادية عشرة: يورث الإنابة وهي الرجوع إلي الله عز وجل ، فمتي أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك

رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله، فيبقي الله عز وجل مفزعه وملجأه ، وملاذه ومعاده.

الثانية عشرة: أنه يورثه ذكر الله تعالى له كما قال تعالى: " فاذكروني أذكركم " ¹ ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفي بها فضلاً وشرفاً ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم " فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: " من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم " ²

الثالثة عشرة: أنه يُورث حياة القلب ، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ، يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسّمك ، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟
الرابعة عشرة: الذكر جلاب للنعم ، ودافع للنقم.

الخامسة عشرة: أن الذكر رأس الشكر ، فما شكّر الله تعالى من لم يذكره. ³

المطلب الرابع: فضيلة مجالس الذكر:

قال تعالى: " فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ " ⁴ فعلم بهذا أن من أفضل حال العبد ، ذكره لرب العالمين ، واشتغاله بالأذكار الواردة عن رسول الله -صلي الله عليه وسلم - سيد المرسلين - كما يستحب الذكر، يستحب الجلوس في حلق أهله ، لحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله

1- سورة البقرة / 152.

2- سيف تخريجه.

3- ابن القيم ، الوابل الصيب من الكلم الطيب ، ص 40 ، 79 .

1- سورة البقرة / 152.

صلي الله عليه وسلم : " إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: حلق الذكر ، فإن الله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم¹ والذكر غير منحصر في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها، بل كل عامل لله تعالى بطاعةٍ ، فهو ذاكرٌ لله تعالى² . وقال صلي الله عليه وسلم : " ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده"³ وقال - صلي الله عليه وسلم - " ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ، ولم يصلوا علي النبي ، إلا كان عليهم حسرةٌ يوم القيامة"⁴ وقال - صلي الله عليه وسلم - إن الله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كُتَّاب الناس فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تتادوا : هلموا يغيتكم فيجيئون فيحفون بهم إلي السماء فيقول الله تبارك وتعالى : أي شئ تركتم عبادي يصنعونه؟ فيقولون : تركناهم يمدونك ويسبحونك ، فيقول الله تبارك وتعالى: وهل رأوني ؟ فيقولون: لا . فيقول جل جلاله : كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك لكانوا أشد تسبيحاً وتحميداً . فيقول لهم: من أي شئ يتعودون؟ فيقولون من النار. فيقول تعالى: وهل رأوها؟ فيقولون: لا . فيقول عز وجل: فكيف إذا رأوها؟ فيقولون : لو رأوها لكانوا أشد هرباً منها وأشد نفوراً. فيقول الله عز وجل: وأي شئ يطلبون؟ فيقولون: الجنة. فيقول تعالى: وهل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول الله عز وجل : فكيف لو رأوها؟ فيقولون : لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصاً. فيقول جل جلاله: إنني أشهدكم أنني قد غفرت لهم.

2- " الاصفهاني " أبو نعيم احمد بن عبد الله - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - ج 6 - ص 345 - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الرابعة 1405 هـ .

3- " النووي " الإمام الفقيه المحدث محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي دمشقي - الأذكار النووية - ص 1 - 4 - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - بدون .

4- سبق تخريجه.

5- " ابن حبان " ابوحاتم محمد بن حبان بن احمد التيمي اليمني - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان . تحقيق : شعيب الارناؤط - ج 2 - ص 352 - رقم الحديث (591) - كتاب البر والإحسان - باب الصحبة والمجالسة . مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية - 1414 هـ . 1993 م .

فيقولون: كان فيهم فلان لم يردهم إنما جاء لحاجة، فيقول عز وجل: هم القوم لا يشقي جليهم.¹
وكان أبو هريرة - رضي الله عنه - يسمي هذه المجالس ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم² -
وقال الحسن البصري رحمه الله: " ما جلس قوم يذكرون الله فيهم واحد من أهل الجنة إلا شفعه الله
في الجميع"³ وقال ابن مسعود : نعم المجلس المجلس الذي تنتشر فيه الحكمة، وترجي فيه الرحمة
هي مجلس الذكر. وشكا رجل إلي الحسن قساوة قلبه ، فقال: أدنه من الذكر، وقال: مجلس الذكر
محيية العلم ، ويحدث في القلب الخشوع. القلوب تحيا بالذكر كما تحيا الأرض الميتة بالقطر.⁴

المطلب الخامس: مراتب الذكر ودرجاته:

والذكر يكون بالقلب ، ويكون باللسان ، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً، فإن
اقتصر علي أحدهما ، فالقلب أفضل ، ثم لا ينبغي أن يُترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن
يُظن به الرياء ، بل يذكر بهما جميعاً ويقصد به وجه الله تعالى⁽⁵⁾ . واعلم أن كثرة الذكر لله تعالى

1- الترمذي - سنن الترمذي- ج 5 - ص 579 - رقم الحديث (3600) - كتاب الدعوات - باب أن الله ملائكة سياحين في الأرض.

2- الإمام الغزالي - إحياء علوم الدين- ج 2 - ص 361 - 362 .

3- عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري الشافعي - نزهة المجالس ومنتخب النفائس- ص 23.

4- الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلي - كتاب لطائف المعارف فيا لمواسم العام من الوظائف- ص 16.

⁵ النووي - الأذكار النووية- ص 4.

من غير إخلاصٍ وحضورٍ ، لا تنتج نتيجة الذكر بالإخلاص والحضور مع الله بالله الله ، فإن الله سبحانه وتعالى غيور لا يحب أن يري في قلب الذاكر غيره .⁽¹⁾

واعلم أنه قد انكشف لأرباب البصائر أن الذكر أفضل الأعمال ، ولكن له أيضاً قشور ثلاثة ، بعضها أقرب إلي اللب من بعض ، وله لب وراء القشور الثلاثة ، وإنما فضل القشور لكونها طريقاً إليه . فالقشر الأعلى منه ، ذكر اللسان فقط، والثاني القلب إذا كان القلب يحتاج إلي موافقته حتى يحضر مع الذكر، ولو ترك طبعه لاسترسل في أودية الأفكار. والثالث أن يستمكن الذكر من القلب يستولي عليه، بحيث يحتاج إلي تكلف في صرفه عنه إلي غيره. كما أحتيج في الثاني إلي تكلف في قراره معه ، ودوامه عليه ، والرابع- وهو اللباب- أن يستمكن المذكور من القلب ، وينمحي الذكر ويخفي ، وهو اللباب المطلوب. وذلك باب لا يلتفت إلي الذكر ولا إلي القلب . بل يستغرق المذكور جملة، ومهما ظهر له في أثناء ذلك التفات إلي الذكر، فذلك حجاب شاغل ، وهذه الحالة التي يعبر عنها العارفون بالفناء، وذلك بأن يفني عن نفسه حتى لا يحس بشئ من ظواهر جوارحه ، ولا من الأشياء الخارجة عنه، ولا من العوارض الباطنة فيه . بل يغيب عن جميع ذلك ويغيب عنه جميع ذلك ، ذاهباً إلي ربه أولاً. ثم ذاهباً فيه آخراً.⁽²⁾

أما درجاته فتلاث:

الدرجة الأولى: الذكر الظاهر : ثناءً أو دعاءً أو رعايةً ، فالظاهر هو الجاري علي اللسان، المطابق للقلب . لا مجرد الذكر اللساني . فإن القوم لا يعتدّون به . فأما ذكر الثناء : فنحو " سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله إلا الله والله أكبر" وأما ذكر الدعاء فنحو " رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا

¹ الشيخ / احمد بن الطيب البشير - كتاب الحكم- ص 65.

² الإمام - الغزالي - كتاب الأربعين في أصول الدين- ص 42.

وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (1) وأما ذكر الرعاية : فمثل قول الذاكر : الله معي . الله ناظر إليّ . الله شاهدي ونحو ذلك ، مما يستعمل لتقوية الحضور مع الله . وفيه رعاية لمصلحة القلب، ولحفظ الأدب مع الله ، والتحرز من الغفلة ، والاعتصام من الشيطان والنفس.

الدرجة الثانية: الذكر الخفي : وهو الخلاص من القيود. والبقاء مع الشهود ولزوم المسامرة . والمراد من الذكر الخفي ، الذكر بمجرد القلب بما يعرض له من الواردات. وهذا ثمرة الذكر الأول. والخلاص من القيود أي الغفلة والنسيان، والمراد من الشهود ، ملازمة الحضور مع المذكور ، ومشاهدة القلب له حتى كأنه يراه. أما لزوم المسامرة فيقصدون منها : لزوم مناجاة القلب لربه: تعلقاً تارة، وتضرعاً تارة ، وثناءً تارة.

الدرجة الثالثة: الذكر الحقيقي . وهو شهود ذكر الحق إياك ، والتخلص من شهود ذكرك ، وسُمي هذا الذكر حقيقياً لأنه منسوب إلي الرب تعالي . وأما نسبة الذكر للعبد: فليست حقيقية . فذكر الله لعبده هو الذكر الحقيقي . وهو شهود ذكر الحق عبده ، وأنه ذكره فيمن اختصّه وأهّله للقرب منه ولذكره فجعله ذاكراً له . ففي الحقيقة: هو الذاكر لنفسه . بأن جعل عبده ذاكراً له ، وأهّله لذكركه . والمقصود التخلص من شهود الذكر بأن يريح العبد نفسه ، وملاحظة العمل ، وهو حق العبودية . فعند القوم : أن العبد حقيقة عبد من كل وجه . والرب رب حقيقة من كل وجه. والخلاصة " وما التوفيق إلا من عند الله. (2)

¹ سورة الأعراف / 23.

² ابن القيم الجوزية - مدارج السالكين - ج 2 - ص 452 - 453.

المطلب السادس: فضيلة التهليل والتسبيح والتحميد وبقية الأذكار:

قال صلي الله عليه وسلم: " أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي ، لا اله إلا الله وحده لا شريك له" ⁽¹⁾ وقال صلي الله عليه وسلم: " من قال لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو علي كل شئ قدير، كل يوم مائة مرة ، كانت له عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرراً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك . ⁽²⁾ فلا اله إلا الله ، كلمة التوحيد ، وهي كلمة الإخلاص ، وهي كلمة التقوى ، وهي الكلمة الطيبة ، وهي دعوة الحق ، وهي العروة الوثقى ، وهي ثمن الجنة. ⁽³⁾ ولها أسرار منها: أن جميع حروفها جوفية إشارة إلي أن الإتيان بها من خالص الجوف وهو القلب. ومنها: أنه ليس فيها حرف معجم إشارة إلي التجرد عن كل معبود سواه. ومنها: أنها اثنا

¹ الامام مالك بن انس - الموطأ- ج 1 - ص 214 - رقم الحديث (500) - كتاب القران - باب ما جاء في الدعاء
² مسلم " صحيح مسلم "، ج 4 - ص 2071 - رقم الحديث (2692) - باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.
³ الامام الغزالي - احياء علوم الدين- ج 2 - ص 362 - 363.

عشر حرفاً كشهور السنة منها أربعة حرم وهي الجلالة حرف فرد وثلاثة سرد ، وهي أفضل كلماتها ، كما أن الأشهر الحرم أفضل الشهور، فمن قالها مخلصاً بها كفرت عنه ذنوب السنة ، ومنها : أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، وهي مع " محمد رسول الله " أربع وعشرون حرفاً كل حرف منها يكفر ذنوب ساعة . ومنها أن كلماتها سبع ، وأبواب جهنم سبعة ، كل كلمة تسد باباً عن قائلها. (1)

أما ما ورد في فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار : قال -صلي الله عليه وسلم-: " من سبح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد ثلاثاً وثلاثين وكبر ثلاثاً وثلاثين ، وختم بلا اله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو علي كل شئ قدير ، غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر. (2) وقال صلي الله عليه وسلم: من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر". (3) وقال -صلي الله عليه وسلم- : " من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة. (4) وقال -صلي الله عليه وسلم-: "لأن أقول سبحان الله ولا اله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس" (5) وقال -صلي الله عليه وسلم-: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب ". (6) وللذكر أول وآخر ، فأوله يوجب الأُنس والحب لله وآخره يوجب الأُنس والحب ويصدر عنه. (7)

¹ عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري الشافعي ، نزهة المجالس ، ص 25.
² الإمام مالك بن انس - الموطأ- ج 1 - ص 210 - رقم الحديث (490) - كتاب : القرآن - باب ما جاء في ذكر الله تعالى.
³ الإمام مالك بن انس - الموطأ- ج 1 - ص 209 - رقم الحديث (489) - كتاب : القرآن - باب ما جاء في ذكر الله تعالى.
⁴ الترمذي - سنن الترمذي- ج 5 - ص 511 - رقم الحديث (3465) - باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتلهيل والتحميد.
⁵ مسلم " صحيح مسلم " - ج 4 - ص 2072 - رقم الحديث (2695) - كتاب الدعوات ، باب العفو والعافية.
⁶ أبو داؤود - سنن أبي داؤود- ج 1 - ص 475 - رقم الحديث (1518) - كتاب السجود في القرآن- باب الاستغفار .
⁷ الإمام الغزالي - احياء علوم الدين- ج 2 - ص 362 - 368.

المطلب السابع: أذكار اليوم والليلة:

وتُسمى بالأذكار الموظفة، التي يواظب عليها المسلم صباحاً ومساءً ، وعند أكله وشربه ، ونومه ويقظته ، وفي حله وترحاله ، وتسمى أيضاً بالآداب ، وهي أنواع كثيرة ومتعددة نذكر منها:-

أولاً: أذكار الصباح والمساء: وتسمى أذكار طرفي النهار وهي ، بين الصبح وطلوع الشمس ، وما بين العصر والمغرب ، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا " ⁽¹⁾ قال صلي الله عليه وسلم: " من قال حين يصبح وحين يمسي : سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد " ⁽²⁾ وقال - صلي الله عليه وسلم - : " سيد الاستغفار (اللهم أنت ربي لا اله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا علي عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) ، من قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن

¹ سورة الاحزاب / 41 - 42.

² سبق تخريجه.

قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة" (1) وقال صلى الله عليه وسلم: " ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة، (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم) ، ثلاث مرات فيضره شئ" (2) وغيرها من الأذكار. (3) فمن واطب عليها يدخل في الذين قال الله تعالى فيهم : " وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا " . (4) سئل الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله: عن القدر الذي يصير به العبد من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، فقال: إذا واطب علي الأذكار المأثورة المثبتة ، صباحاً ومساءً ، في الأوقات والأحوال، المختلفة. إلا في أحوال ورد الشرع باستثنائها ، نذكر منها: أنه يكره الذكر حالة الجلوس علي قضاء الحاجة ، وفي حالة الجماع ، وفي حالة الخطبة لمن يسمع صوت الخطيب ، وفي القيام في الصلاة ، وفي حالة النعاس. (5)

ثانياً: أذكار النوم: عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -صلي الله عليه وسلم- " كان إذا أوي إلي فراشه كل ليلة جمع كفيه ، ثم نفث فيهما وقرأ فيهما " قل هو الله أحد" و "قل أعوذ برب الفلق" و"قل أعوذ برب الناس" ثم مسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما علي رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات" (6)

وقال -صلي الله عليه وسلم-: "الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه". (7) فقليل كفتاه المكروه ، وقيل كفتاه عن قيام الليل. وكان -صلي الله عليه وسلم- إذا أوي إلي فراشه وإذا

¹ البخاري " الجامع الصحيح- ج 5 - ص 2323 - رقم الحديث (5947) - باب أفضل الاستغفار .
² " ابن ماجة " سنن ابن ماجة- ج 2 - ص 1273 - رقم الحديث (13869) - باب ما يدعو به الرجل اذا أصبح واذا أمسى .
³ ابن القيم - الوابل الصيب من الكلم الطيب- ص 92 - 94 .
⁴ سورة الاحزاب / 35 .
⁵ النووي ، الاذكار النووية ، ص 6 - 9 .
⁶ البخاري - الجامع الصحيح- ج 4 ص 1916 - رقم الحديث (4729) - باب فضل المعوذات .
⁷ البخاري - الجامع الصحيح- ج 4 - ص 1472 - رقم الحديث (3786) - باب شهود الملائكة بدرا - ومسلم " صحيح مسلم - ج 1 - ص 554 - رقم الحديث (807) - باب فضل الفاتحة وخواتيم البقرة .

استيقظ قال: "باسمك اللهم أموت وأحيا" ، وإذا استيقظ قال: "الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا واليه
النشور" . (1) و(2)

ثالثا: أذكار دخول بيت الأدب والخروج منه: يستحب أن يقدم رجله اليسري في الدخول ويجهر
بالتسمية والاستعاذة ، لحديث أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلي الله عليه وسلم إذا أراد أن
يدخل الخلاء قال: بسم الله اللهم أني أعوذ بك من الخبث والخبائث" ،⁽³⁾ والمراد : ذكران الشياطين
وإنائهم. أما عند الخروج ، فيقدم رجله اليمني ، ثم يقول الدعاء الوارد عن عائشة رضي الله عنها -
أن النبي صلي الله عليه وسلم - كان إذا خرج من الخلاء قال: "غفرانك" .⁽⁴⁾ و(5)

¹ البخاري " الجامع الصحيح " - ج 5 - ص 2326 - رقم الحديث (5953) - كتاب الدعوات - باب ما يقول إذا نام

² ابن القيم - الوابل الصيب - ص 95 - 96 .

³ البخاري - الجامع الصحيح - ج 5 ، ص 233 - رقم الحديث (5963) - باب الدعاء عند الخلاء .

⁴ أبو داوود ، سنن أبي داوود ، ج 1 ، ص 55 ، رقم الحديث (30) ، بابا ما يقول الرجل إذا خرج من الخلاء .

⁵ السيد سابق ، فقه السنة ، ج 1 ، ص 529-530 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الشرعية الثامنة ، 1407 هـ - 1987 م .

المطلب الأول: تعريف التقوى لغة واصطلاحاً:

التقوى في الأصل : و(قَوِيَ) و(وَقِيَ) ، وكل ما وقِيَ شيئاً فهو وقاء له، ووقاية .⁽¹⁾ "وقِيَ" الواو والقاف والياء : كلمة واحدة تدل علي دفع شئ عن شئ بغيره ، ووقيته ، أقيه وقياً. والوقاية : ما يقِي الشئ واتق الله : اجعل بينك وبينه كالوقاية.⁽²⁾

أما في الاصطلاح: فعرفها الإمام الطبري ، عندما تعرض لتفسير قوله تعالى " وتعاونوا علي البر والتقوى " ⁽³⁾ بقوله: التقوى : هو اتقاء ما أمر الله باتقائه واجتنابه من معاصيه ⁽⁴⁾ . وقال الإمام الشوكاني في كتابه "فتح القدير" ، في تفسيره لقوله تعالى: " وتعاونوا علي البر والتقوى " ⁽⁵⁾ قيل إن البر والتقوى لفظان لمعني واحد ، وكررا للتأكيد . وقيل البر يتناول الواجب والمندوب، والتقوى تخص الواجب ، وقيل في البر رضا الناس ، وفي التقوى رضا الله، فمن جمع بينهما فقد تمت سعادته ⁽⁶⁾ . وقيل التقوى هي: تجنب كل منهي عنه ، وفعل كل مأمور به. وسئل علي كرم الله وجهه عن التقوى؟ فقال: هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل. وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: التقوى هي ترك ما حرم الله ، وأداء ما فرض الله، فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلي خير. وقيل تقوي الله أن لا يراك حيث نهاك ، وأن لا يفقدك حيث أمرك . ولهذا قال بعضهم لشخص إذا أردت أن تعصي الله فاعصه حيث لا يراك ،أخرج من داره

¹ الفراهيدي " ابي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي - كتاب العين - تحقيق : د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي - ج 5 - ص 238 - دار ومكتبة الهلال - القاهرة - بدون.

² أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - معجم مقاييس اللغة - تحقيق : عبد السلام محمد هارون ج 6 - ص 131 - مصطفى الياس الحلبي واولاده - مصر - الطبعة الثالثة 1402 هـ - 1980م.

³ سورة المائدة / 2 .

⁴ الطبري " جامع البيان في تأويل القرآن - ج 4 - ص 71 .

⁵ سورة المائدة / 2 .

⁶ الشوكاني " فتح القدير " - ج 2 - ص 7 .

،وكل رزقاً غير رزقه⁽¹⁾. وعرفها بعضهم بقوله: هي امتثال أوامره تعالى . واجتناب نواهيه ، بفعل كل مأمور به، وترك كل منهي عنه حسب الطاقة. وقيل التقوى: هي منتهي درجات السالكين وهو التبري من كل شئ سوي الله تعالى: ⁽²⁾ وقيل التقوى هي : تنزيه القلب عن الأذناس ، وطهارة البدن من الآثام . وإن شئت قلت: التقوى التحرز ، والحذر من مواقعة المخالفات.⁽³⁾

المطلب الثاني: مقامات التقوى والمراد منها:

التقوى من الإيمان، أما كونها من الإيمان ، فلا يحتاج إلي استشهدا عليه، بشهرة ذلك.

والتقوى علي ثلاثة أصناف:

¹ الشريف مسعود بن حسن بن ابي بكر القتاوي - فتح الرحيم الرحمن - شرح نصيحة الاخوان ومرشدة الخلان - لسراج الدين عمر بن الوردى - ص 41 - مصطفى الياس واولاده - مصر - 1390 هـ - 1970 م .
² محمد بن علان الصديقي الشافعي الاشعري المكي - دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - تحقيق : عصام الدين الصبايطي- ج 1 - ص 212 - دار الحديث القاهرة - الطبعة الاولى 1419 هـ - 1998 م .
³ الامام الزاهد ابي محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل القصري - شعب الايمان - تحقيق : ايمن صالح شعبان وسيد احمد اسماعيل - ج 1 - ص 388 - دار الحديث - القاهرة - الطبعة الاولى 1417 هـ - 1996 م .

الأول: ضرب في مقام الإسلام: فهي حفظ الجوارح عن المنهيات، وعن نقص الطاعات، وتركها .
والمنهيات: المعاصي وهي علي نوعين: ظاهر ، وباطن ، وهو الذي عني الله عز وجل بقوله : " وذرؤا ظاهر الإثم وباطنه" (1) فما من طاعة ظاهرة إلا ولها ضد في الظاهر ، وكذلك أيضا في الباطن ، مثال ذلك : الإيمان ضد الكفر، والإقرار بالتوحيد ضد الشرك ، والصلاة ضدها ترك الصلاة ، وهكذا إلي آخر الطاعات.

الثاني: التقوى في مقام الإيمان: وهي انتقاء الآخرة، وشدائدها ، وأهوالها ، علي اختلاف أنواعها، كما قال تعالى: " واتقوا النار" (2) وقال تعالى: " واتقوا يوما ترجعون فيه إلي الله ". (3)

الثالث: التقوى في مقام الإحسان: وهي تقوي الله ، وحده ، وهو حقيقة التقوى ، لأنه تقوي ما سواه من المخلوقات فمجاز ، وتقوي الله هي الحقيقة. وفي هذا المقام للصدّيقين أحوال ، وأسرار لا يجدها إلا هم . (4)

فالمراد من التقوى: إتباع الأوامر واجتناب النواهي ، فمن المأمور به أنواع الطهارة كالوضوء والغسل وإزالة النجاسة ومنه الصلاة بأنواعها ، فرضاً ونفلاً ، عيناً وكفايةً ، ومنه أيضاً الزكاة بأنواعها ، والصوم بأنواعه ، والحج والعمرة ، بأنواعهما ، ومنه أيضاً المعاملات ، كالبيع والحوالة ونحو ذلك ، والأنكحة والأصدقة والطلاق والرضاع ونحو ذلك ، ومنه أيضاً فروض الكفاية ، كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنه أيضاً مكارم الأخلاق ، كالزهد والورع والتوكل وغير ذلك .
والمنهي عنه : الشرك بالله تعالى ، وقتل النفس بغير حق ، والزنا والربا ، وشرب الخمر ، والسرقة والغيبة والنميمة ونحو ذلك .

¹ سورة الانعام / 120 .
² سورة ال عمران / 131 .
³ سورة البقرة / 281 .
⁴ ابي محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل القصري - شعب الايمان- ج 1 - ص 387 - 397 .

فإذا اتبع الإنسان الأوامر واجتنب النواهي ، فقد جاورت التقوى قلبه ، وصار في كل وقت يشاهد ربه ، فيكون حينئذ سامعاً بالله ، ناطقاً بالله ، باطشاً بالله ، ماشياً بالله ، محرماً بالله ، ساكناً بالله ، فالتقوى ، وإن قل لفظها ، كلمة كثيرة المعنى ، شاملة لخير الدارين .⁽¹⁾ وقال إياس ابن معاوية: ⁽²⁾ رأس التقوى ومعظمه أن لا تعبد شيئاً دون الله، ثم تتفاضل الناس بالتقي والنهي ، وقال عبد الله بن عون⁽³⁾: فواتح التقوى حسن النية ، وخواتيمها التوفيق ، والعبء فيما بين ذلك بين هلكات وشبهات، ونفس تحطب علي سلوها، وعدو مكيد غير غافل ولا عاجز. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ليس تقوي الله بصيام النهار ولا بقيام الليل ، والتخليط فيما بين ذلك ، ولكن تقوي الله، ترك ما حرم الله ، وأداء ما افترض الله ، فمن رزق بعد ذلك خيراً فهو خير إلي خير . قال أحدهم لسفيان الثوري : أرى الناس يقولون سفيان الثوري ، وأنت تنام الليل فقال لي : اسكت ملاك هذا الأمر التقوى .⁽⁴⁾ وقال الإمام الغزالي التقوى في القرآن ثلاثة:

تقوي عن الشرك ، وتقوي عن المعاصي ، وتقوي عن البدعة ، فذلك قوله تعالى "لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " ⁽⁵⁾ وقال الرازي: قال الاكثرون : الأول عمل الاتقاء والثاني دوام الاتقاء والثالث اتقاء الظلم للعباد مع الإحسان إليهم وقال وهب بن منبه : ⁽⁶⁾ الإيمان عريان

¹ الشريف مسعود بن حسن بن ابي بكر القناوي- فتح الرحيم الرحمن- ص 42 - 43.

² اياس بن معاوية بن قره المزني - أبو وائلة قاضي البصرة ، وأحد اعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء : يضرب المثل بذكائه ، قال الجاحظ : اياس من مفاخر مضر ومن مقدمي القضاة . كان صادق الحدس ، نقابا ، عجيب الفراسة ، ملهما ، وجيها عند الخلق ، توفي بواسط سنة 122 هـ وولد سنة 46 هـ . الزركلي - الاعلام - ج 2 - ص 133 .

³ الراكن إلي ذكر الله ، والساكن إلي ضمان الله ، صاحب التثمير والعدة والأهبة عبد الله بن عون ، صحب الشعبي والأسود بن يزيد وكبار التابعين وعلمائهم من أهل الكوفة وإدراك جماعة من الصحابة وسمع عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس وغيرهما "الأصبهاني"، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ج 4 ، ص 241-257 .

⁴ عبد السلام بن عبد الحلیم احمد بن عبد الحلیم ال تيمية - المسودة - تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد - ج 1 - ص 21 - مطبعة المدني - القاهرة - بدون .

⁵ سورة المائدة / 93.

⁶ ابو عبد الله وهب بن منبه من حكمه قال لعطاء الخراساني : فإياك وابواب السلاطين فان عند ابوابهم فتنا كميبارك الابل ، لا تصيب من دنياهم شيئاً، الا واصابوا من دينك مثله . روى عن عدد من الصحابة ، ابن عباس ، جابر والنعمان بن بشير ، وابو هريرة ، ومعاذ بن جبل ،

ولباسه التقوى وريشه الحياء ورأس ماله العفة. وقال مجاهد رحمه الله في تفسير قوله تعالى: " يا أيها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته" (1) أن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر (2) وقال الصاوي في تفسير قوله تعالى: " هدي للمتقين " (3) أي الصائرين إلى التقوى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي ، لاتقائهم بذلك النار، فامتثال الأوامر حسب الطاقة ، واجتناب النواهي جميعاً سبب للتقوى أو هي مصورة بذلك .. فامتثال الأوامر واجتناب النواهي هذه تقوي الخواص ، وتقوي العوام هي تقوي الشرك ، وتقوي خواص الخواص هي تقوي ما يشغل عن الله. وقال أحد العارفين بالله:

ولو خطرت لي في سواك إرادة *** علي خاطري يوماً حكمت بردتي. (4)

وعن طلق بن حبيب (5) رحمه الله قال: التقوى أن تعمل بطاعة ، الله علي نور من الله ، ترجو ثواب الله . (6)

المطلب الثالث: التقوى وصية الله للأولين والآخرين:

قال الحق سبحانه وتعالى: "وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا

وري عنه من التابعين ، عمرو بن دينار ، وزيد بن اسلم ، وعطاء بن السائب وغيرهم . الاصبهاني - حلية الاولياء وطبقات الاصفياء - ج 4 - ص 23 - 65.

¹ سورة آل عمران / 103.

² عيد الرحمن بن عبد السلام الصفوري الشافعي - نزهة المجالس - ص 147 - 148 .

³ سورة البقرة / 2.

⁴ الصاوي - حاشية الصاوي على تفسير الجلالين - ج 1 - ص 7.

⁵ طلق بن حبيب العنزي - تابعي من اهل البصرة تحول الي مكة وكان مرجحاً وكان ثقة ان شاء الله روي عن بن عباس وجابر بن عبد الله وكان عابدا يقوم الليل وعن ابوب عن يوسف بن الحارث قال : رايت طلق بن حبيب وحميد بن عبد الرحمن الحميري يقول : اراك يا طلق قد شمطت قال اجل فبارك الله لي فيه (ابن سعد - الطبقات الكبرى - ج 7 - ص 169 - دار صادر - بيروت - لبنان - بدون .

⁶ ابن عثيمين - زاد الداعية الي الله - ص 22 - مكتبة الصف - القاهرة - الطبعة الاولى 1424 هـ - 2002 م .

حَمِيداً " (1) يوضح سبحانه : لقد وصينا الذين أنزلنا إليهم المنهج من قبلكم ووصيناكم أنتم أهل الأمة الخاتمة أن التزموا المنهج بالأوامر والنواهي لتجعلوا اختياراتكم خاضعة لمرادات الله منكم ، حتى تكونوا منسجمين كالكون الذي تعيشون فيه ، ويصبح كل شئ يسير منتظماً في حياتكم. ولم يقل الله عز وجل هذه القضية للمسلمين فقط لكنها قضية كونية عامة جاء بها كل رسول " ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم" ولم يقل فرضنا إنما قال "ولقد وصينا" وكلمة" وصية" تشعر المتلقي بحب الموصي للموصى . "وتقوي الله" تعني : أن نفعل أوامر الله ، وأن نجتنب نواهيه لنحكم حركة اختياراتنا بمنهج ربنا ، فإن حكمنا حركة اختياراتنا بمنهج الله صرنا مع الكون كأننا مسخرون لقضايا المصلحة والخير وبعد ذلك يقول الحق: " وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً " (2) ومقابل الكفر هو الإيمان ، ومن يخرج عن الإيمان فالله غني عنه ، فلا تعتقدوا أيها المخاطبون بمنهج الله أنني استمليكم إلي الإيمان ، لأني في حاجة إلي إيمانكم لا ، لكنني أريد منكم فقط أن تكونوا مجتمعاً سعيداً ، وإن تكفروا فسيظل الملك كله لله. (3) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله أوصني . فقال: "عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير". (4)

وكان -صلي الله عليه وسلم- يوصي أصحابه -رضوان الله عليهم- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن ، ويعلم من يعمل بهن. قال أبوهريرة -رضي الله عنه-: قلت : أنا يا رسول الله ، فأخذ بيدي فعد خمساً

¹ سورة النساء / 131 .

² سورة النساء / 131 .

³ الشيخ محمد متولي الشعراوي - واتفقوا يوماً ترجعون فيه الي الله - ص 13 - 14 - المكتبة التوفيقية - القاهرة - بدون.

⁴ الطبراني - سليمان بن أحمد بن ايوب ابو القاسم الطبراني - الروض الداني - المعجم الصغير . تحقيق : محمد شكور محمود الحاج - ج 2 - ص 156 - رقم الحديث (949) - كتاب حرف الميم - باب من اسمه محمد - المكتب الاسلامي - بيروت - الطبعة الاولى 1405 هـ .

فقال: "انق المحارم تكن أعبد الناس. وارض بما قسم الله لك تكن أغني الناس، وأحسن إلي جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك ، تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك ، فان كثرة الضحك تميت القلب".⁽¹⁾ فجعل اتقاء المحارم أفضل جميع العبادات.⁽²⁾ وقال علي كرم الله وجهه في خطبة له: أوصيكم بتقوى ، الله والترك للدنيا التاركة لكم ...وعجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه.⁽³⁾ ولما وُلِيَ الخِلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز قال: " أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف من كل شئ ، وليس من تقوى الله خلف. وقال: يأيها الناس اتقوا الله ، فإنه ليس من هالك إلا له خلف.⁽⁴⁾ وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله كتاباً إلي رجل ، وجاء فيه : أوصيك بتقوى الله الذي لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا عليها ، ولا يثيب إلا عليها ، فإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل.⁽⁵⁾ وعن عبد الله بن المبارك قال: ودع ابن عون رجلاً فقال: عليك بتقوى الله ، فإن المتقي ليس عليه وحشة.⁽⁶⁾

المطلب الرابع: صفات المتقين:

بين الله عز وجل ، صفات المتقين ، في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، نذكر بعضاً منها: قال تعالى: " الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ

¹ الترمذي - سنن الترمذي- ج 4 - ص 551 - رقم الحديث (2305) - كتاب الزهد - باب الصحة والفراغ مغبون فيهما كثير من الناس.
² أبي عبد الله عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل القصري - شعب الايمان- ج 1 - ص 387 - 388 .
³ الامام الغزالي - مكاشفة القلوب ، المقرب الي حضرة علام الغيوب - تحقيق : ابو عبد الرحمن صلاح محمد محمد عويضة ، ص 105 - 106 - دار المنار - للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة - بدون .
⁴ عبد السلام بن عبد الحليم احمد بن عبد الحليم ال تيمية - المسودة- ج 1 - ص 21.
⁵ السيوطي - الدر المنثور في التاويل بالمأثور - ج 3 - ص 359 - بدون.
⁶ ابن الجوزي " ابي القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل الجوزي الاصبهاني - المعروف ب : قوام السنة - كتاب الترغيب والترهيب - تحقيق : ايمن بن صالح بن شعبان - ج 1 - ص 413 - دار الحديث - القاهرة - الطبعة الاولى 1414 هـ - 1993 م .

المُفْلِحُونَ" (1) ، فمن أولي صفات هؤلاء المتقين أنهم "يؤمنون بالغيب" أي يصدقون بالغيب والتصديق لا يتجزأ ، والغيب مصدر وضع موضع الاسم فليل للغائب غيب ، وهو ما كان مغيباً عن العيون ، وقال ابن عباس : الغيب هنا كل ما أمرت بالإيمان به مما غاب عن بصرك ، من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراف والميزان . ومن صفاتهم في هذه الآية أنهم "يقيمون الصلاة" أي يداومون عليها في مواقيتها بحدودها وإتمام أركانها . (2) وقيل: "يقيمون الصلاة" أي يأتون بها بحقوقها الظاهرية كالشروط والآداب والأركان ، والباطنية كالخشوع والخضوع والإخلاص (3) ومن صفاتهم أنهم "مما رزقناهم ينفقون" أي أعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مالٍ وولدٍ ، وأصله الحظ والنصيب ، فهم يخرجون ويتصدقون مما أعطيناهم في طاعة الله تعالى وسبيله ، ويدخل فيه إنفاق الواجب كالزكاة والنذر ، والإنفاق علي النفس ونحو ذلك . والإنفاق المنسوب كالصدقة ومواساة الأخوان ، وأدخل "من" التي هي للتبويض صيانةً لهم وكفأً عن السرف والتبذير المنهي عنهما في الإنفاق . ومن صفاتهم أنهم هم "الذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون" أي يصدقون بالقرآن المنزل عليك وبالكتب السماوية المنزلة علي الأنبياء قبلك ، وبالآخرة هم "يوقنون" من الإيقان وهو العلم ، والمعني يستيقنون ويعلمون أنها كائنة وحاصلة لا محالة ، فهؤلاء علي "هدي من ربهم وأولئك هم المفلحون" . أي الذين هذه صفتهم وهم – المنقون – علي رشاد ونور من ربهم واستقامة وهم الناجون من النار الفائزون بالجنة (4) . ومن صفاتهم التي وردت في القرآن الكريم ما جاء في قوله تعالى: " وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

¹ سورة البقرة / 2 - 5 .

² الخازن " الامام العلامة علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن - لباي التاويل في معاني التنزيل - وبها مشه " مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، للامام ابي البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي - ج 1 - ص 22 - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - بدون .

³ الصاوي - تفسير الصاوي علي الجلالين - ج 1 - ص 7 .

⁴ الخازن " لباي التاويل في معاني التنزيل - ج 1 - ص 23 - 24 .

السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ
وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " (1) أي سارعوا بالتقوى والطاعة والتقرب إلي ربحكم إلي حال
يغفر الله لكم فيها ، ويدخلكم جنته التي عرضها كعرض السموات والأرض ، كما هي طباقاً " أعدت
للمتقين " أي يسرت وانتظروا بها. ثم وصف الله المتقين الذين أعدت لهم الجنة بقوله " الذين ينفقون
في السراء والضراء " قال ابن عباس: في العسر واليسر. ومن صفاتهم "والكاظمين الغيظ" وكظم
الغيظ رده في الجوف ، فضبطه ومنعه كظم له ، والكظام : السير الذي يشد به فم القربة والغيظ:
أصل الغضب ، وكثيراً ما يتلازمان ، وتحرير الأمر أن الغيظ: فعل النفس لا يظهر علي الجوارح .
والغضب حال بها معه ظهور في الجوارح وفعل ما لا بد ، ولهذا جاز إسناد الغضب إلي الله تعالى ،
إذ هو عبارة عن أفعاله في المغضوب عليهم ، ولا يسند إليه تعالى الغيظ . ومن صفاتهم كذلك
"العافين عن الناس" يريد الممالك وهذا حسن علي جهة المثال إذ هم الخدمة ، فهم المذنبون كثيراً
والقدرة عليهم متيسرة ، وإنفاذ العقوبة فيهم سهل ، ولكن المعني عام يشمل الممالك وغيرهم. (2) تكلم
رجل من الحكماء عند عبد الملك بن مروان فوصف المتقي فقال: رجل آثر الله علي خلقه وآثر
الآخرة علي الدنيا ، ولم تكربه المطالب ، ولم تمنعه المطامع ، نظر ببصر قلبه إلي مثالي أرادته
فسماً لها ملتمساً لها ، فزهده مخزون ، يبيت إذا نام الناس ، ذا شجون ، ويصبح مهموماً في الدنيا
مسجون ، قد انقطعت من همته الراحة دون منيته ، فشفأؤه القرآن ، ودواؤه الكلمة من الحكمة
والموعظة الحسنة ، لا يري منها الدنيا عوضاً ، ولا يستريح إلي لذّة سواها. فقال عبد الملك : أشهد
أن هذا أرجي بالأ مني وأنا نعم عيشاً . وقال حكيم : لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد

¹ سورة ال عمران / 133 - 134 .

² " ابن عطية " ابي محمد عبد الحق بن عطية الاندلسي - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - تحقيق : عبد الله بن ابراهيم الانصاري
واخرون - ج 3 - ص 320 - 328 - مؤسسة دار العلوم - الدوحة - قطر - الطبعة الاولى 1402 هـ - 1982م.

من محاسبة شريكه ، حتى تعلم من أين مطعمه ، ومن أين ملبسه ، ومن أين مشربه ، أمن جل ذلك
أومن حرام؟⁽¹⁾ وقال آخر : المتقي الذي اتقى الشرك ويرئى من النفاق . وقال أحد العارفين بالله :
المتقون الذين نزع الله عن قلوبهم حب الشهوات.⁽²⁾

المطلب الخامس: فوائد التقوى في الدنيا:

أولاً: إن التقوى سبب لتيسير أمور الإنسان ، قال تعالى: " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ
يُسْرًا " ⁽³⁾ وقال تعالى: " فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى " ⁽⁴⁾
ثانياً: التقوى سبب لحماية الإنسان من ضرر الشيطان. قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ
مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ " ⁽⁵⁾

ثالثاً: إن التقوى سبب لتفتيح البركات من السماء والأرض ، قال تعالى: " وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا
وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ " ⁽¹⁾

¹ عبد السلام بن عبد الحلیم احمد بن عبد الحلیم ال تيمية - المسودة- ج 1 - ص 21.

² القرطبي - احكام القرآن- ص 207.

³ سورة الطلاق / 4.

⁴ سورة الليل / 5 - 7 .

⁵ سورة الاعراف / 201.

رابعاً: التقوى سبب في توفيق العبد في الفصل بين الحق والباطل، ومعرفة كل منهما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً " (2) وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ " (3)

خامساً: إن التقوى سبب لعدم العدوان وإيذاء عباد الله ، قال تعالى: " وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ " (4) و(5)

سادساً: التقوى سبب للنجاة من كل كرب في الدنيا والآخرة، وسبب من أسباب الرزق من حيث لا يشعر ولا يعلم . قال تعالى: " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ " (6)

سابعاً: المتقي أكرم الناس ، واعرف الناس بتقواه ، قال صلي الله عليه وسلم: " من أحب إن يكون أكرم الناس ، فليتق الله " (7) وأوصي الإمام علي كرم الله وجهه احد قواده بقوله: أوصيك بتقوى الله الذي لا بد لك من لقائه ، ولا منتهي لك من دونه ، وهل تملك الدنيا والآخرة إلا بالتقوى. (8)

ثامناً: إن التقوى سبب لنيل الولاية ، فأولياء الله هم المتقون، قال تعالى: "إن أولياؤه إلا المتقون" (9)

قال تعالى: " وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين " (10)

تاسعاً: التقوى سبب لنزول المدد من السماء عند الشدائد ولقاء الأعداء ، قال تعالى: " وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ

1 سورة الاعراف / 96.

2 سورة الانفال / 29 .

3 سورة الحديد / 28.

4 سورة المائدة / 2.

5 محمد متولي الشعراوي – اتقوا يوماً ترجعون فيه الي الله– ص 43 – 46 .

6 سورة الطلاق / 2 – 3

7 الحاكم – المستدرک علي الصحيحين– ج 4 – ص 301 – رقم الحديث – (7707) – كتاب الادب .

8 الشريف مسعود بن حسن القناوي – فتح الرحيم الرحمن– ص 43.

9 سورة الانفال / 34.

10 سورة الجاثية / 19.

آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ (124) بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ
آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ " (1)

عاشراً: التقوى سبب لعدم الخوف من ضرر وكيد الأعداء قال تعالى: " وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا
يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً " (2) و(3)

أحد عشر: التوفيق للعلم قال تعالى: " واتقوا الله ويعلمكم الله " (4)

ثاني عشر: المعية الخاصة المقتضية للحفظ والعناية والنصر والتأييد ، قال تعالى: " وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ " (5)

ثالث عشر: المحبة لمن اتقى ، قال تعالى: " إن الله يحب المتقين " (6) وهذا غيظ من فيض ،
وفوائدها أكثر من أن تحصي في القرآن والسنة المطهرة. (7)

المطلب السادس: فوائد التقوى في الآخرة:

فوائد التقوى في الآخرة كثيرة ، نذكر بعضاً منها:

أولاً: النجاة من العذاب ، والعذاب لا يكون إلا علي معصية أو ترك طاعة ، فمن لم يواقع

منها شيئاً صح له النجاة ، فافهم ، وذلك في قوله تعالى: " ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا
جِثِيًّا " (8)

ثانياً: التقوى سبب الإكرام من عند الله تعالى قال، تعالى: " إن أكرمكم عند الله اتقاكم " (1)

هو الكرم الذاتي ، وهو أفضل من الكرم الفعلي ، الذي هو السخاء والكرم الذاتي ، هو الموصوف به

¹ سورة ال عمران / 123 – 125 .

² سورة ال عمران / 120 .

³ محمد متولي الشعراوي – واتقوا يوماً ترجعون فيه الي الله – ص 46 – 48 .

⁴ سورة البقرة / 282 .

⁵ سورة البقرة / 194 .

⁶ سورة التوبة / 4

⁷ عيد العزيز المحمد سلمان - المناهل الحسان في دروس رمضان ، ويليه : دعاء ختم القرآن ، ص 266-268 ، بدون ، 1402 هـ .

⁸ سورة مريم / 72 .

رب العالمين في قوله تعالى: " ذو الجلال والإكرام"⁽²⁾ أي الوجود كله يجله، ويكرمه لعظم قدره ، ولأنه نزيه برئ من رذائل الأوصاف . وكذلك المتقي الذي اتقى الذنوب ظاهراً وباطناً ، أكرم عند الله لسلامته من دنيات الأفعال ، لأن الذنب تجريح في فاعله ، والتجريح مسقط للقدر عند المُجرح والمُعَدل .⁽³⁾ وقال الإمام علي كرم الله وجهه: سادات الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء.⁽⁴⁾

ثالثاً: التقوى سبب لدخول الجنة بالعز والكرامة الإلهية ، عن علي كرم الله وجهه عن النبي -صلي الله عليه وسلم- في تفسير قوله تعالى: " يوم نحشر التقيين إلي الرحمن وفدا"⁽⁵⁾ قال: أما والله ما يحشرون علي أقدامهم ولا يساقون سوقاً ، ولكنهم يؤتون بنوق من نوق الجنة ، لم ينظر

الخلائق إلي مثلها ، رحالها الذهب ، وأزمتها الزبرجد فيقعدهم عليها حتى يقرعوا باب الجنة.

(6) و (7)

رابعاً: إن التقوى سبب للفوز والفلاح ، قال تعالى: " وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ " (8)

خامساً: التقوى سبب من أسباب وراثة الجنة ، قال تعالى: " تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا " (9)

¹ سورة الحجرات / 13.

² سورة الرحمن / 27.

³ أبي محمد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل القصري - شعب الإيمان- ج 1 - ص 393 - 395 .

⁴ " الماوردي " ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي - ادب الدنيا والدين - تحقيق : محمد ابي محمد بن فريد - ص 232 - المكتبة التوفيقية - القاهرة - بدون.

⁵ سورة مريم / 85.

⁶ الحاكم ، المستدرک علی الصحیحین ، مصدر سابق ، ج4 ، ص609 ، رقم الحديث (8688) ، كتاب الاحوال .

⁷ ابن الجوزي - كتاب الترغيب والترهيب- ج 1 - ص 405.

⁸ سورة النور / 52.

⁴ سورة مريم/63

سادساً: إن المتقين لهم في الجنة غرف مبنية من فوقها غرف ، قال تعالى: " لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ

لَهُمْ عُرفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ " (1)

سابعاً: أنهم بسبب تقواهم يكونون فوق الذين كفروا يوم القيامة في محشرهم ومنشرهم ومسيرهم

ومأواهم فاستقروا في الدرجات في أعلى عليين ، قال تعالى: " زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

وَيَسَخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ " (2)

ثامناً: إن التقوى سبب ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين قال تعالى: " جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ " (3)

تاسعاً: التقوى سبب لعدم الحزن ، والخوف ، وعدم المساس بالسوء يوم القيام ، قال تعالى: " وَيُنَجِّي

اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (4) (5)

عاشراً: سبب لقبول الأعمال ، قال تعالى: " إنما يتقبل الله من المتقين " (6) من الجزاء عليها عاجلاً

وأجلاً. (7)

¹ سورة الزمر / 20 .

² سورة البقرة / 212 .

³ سورة النحل / 31 .

⁴ سورة الزمر / 61 .

⁵ محمد متولي الشعراوي – واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله – ص 48 – 50 .

⁶ سورة المائدة / 27 .

⁷ أبي محمد عبد الجليل بن موسى القصري ، شعب الإيمان ، ج 1 ، ص 394 .

المطلب الأول: القرآن منبع الأخلاق:

كلمة " خُلِقَ " بضمّتين - وردت في القرآن الكريم مرتين - الأولى، في سورة القلم في قوله

تعالى: " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ " (1) والثانية: في سورة الشعراء " إِنَّ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الْأَوَّلِينَ " (2)

الأولى: جاءت في مقام المدح.

والثانية : جاءت في وصف ما درج عليه الأولون.

الأولى: جاءت في معيار ما ينبغي أن يكون.

والثانية: أتت وصفاً لما هو كائن.

أما ما ينبغي أن يكون فقد جاء من رب العالمين ، وأمره أن يكون قدوةً لمتبعيه. قال تعالى:

" فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ " (3) ويقول ابن عباس: يعني إذا جمعناه في صدرك يا محمد فاعمل به .

¹ سورة القلم / 4 .

² سورة الشعراء / 137.

³ سورة القيامة / 18.

فكان سلوك النبي صلى الله عليه وسلم ، تفسيراً بليغاً للقرآن الكريم. ⁽¹⁾ ولهذا مدحه الله بقوله " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ " ⁽²⁾ قال ابن عباس ومجاهد " علي خلق " ، علي دين عظيم من الأديان ليس دين أحب إلي الله تعالى في الأرض عنده منه . وفي صحيح مسلم ، عن عائشة رضي الله عنه قالت: " كان خلقه القرآن " ⁽³⁾ قال علي كرم الله وجهه: " هو أدب القرآن " وقال قتادة: هو ما كان يأتى به من أمر الله وينتهي عما نهى الله منه . وقيل : أي انك علي طبع كريم. قال الماوردي: وهو الظاهر . قالت عائشة رضي الله عنها: " ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله -صلي الله عليه وسلم- ما دعاه أحد من الصحابة ، ولا من أهل بيته ، إلا قال لبيك. ولم يذكر خلق محمود إلا وكان النبيين -صلي الله عليه وسلم- منه الحظ الأوفر. وقال الجنيد: سُمي : خلقه عظيماً لأنه لم تكن له همة سوي الله تعالى وقيل: سمي خلقه عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه. وقيل: لأنه امتثل تأديب الله تعالى إياه. ⁽⁴⁾

فالأخلاق الإسلامية لها مكانة عالية ، ومنزلة رفيعة عظيمة حظيت بها من البارئ عز وجل اللطيف الخبير، وصيرها قولاً وعملاً المصطفى -صلي الله عليه وسلم- وحث أمته علي ذلك ، قال -صلي الله عليه وسلم-: " إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم " ⁽⁵⁾ وقال -صلي الله عليه وسلم-: مبينا الرابطة القوية بين الأخلاق والإيمان " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً " ⁽⁶⁾ ومما سبق يؤكد ويدلل علي منزلة الأخلاق ومكانتها العظيمة في الإسلام ، حيث أن مصدرها من الله تعالى العالم بما يصلح العباد ، ويزكيهم ويطهرهم ، كما أنه منهج عملي قطعي ، لا نظري وصفي ،

¹ د . علي معبد فرغلي - في الاخلاق الاسلامية والانسانية - ص 64 - دار الطباعة المحمدية - القاهرة - الطبعة الاولى - 1405 هـ - 1985 م .

² سورة القلم / 4

³ أحمد بن حنبل - المسند- ج 6 - ص 216 - رقم الحديث (25855) .

⁴ القرطبي - احكام القرآن- ج 18 - ص 198 - 199 .

⁵ أبو داؤود - سنن ابي داؤود- ج 2 - 668 - رقم الحديث (4798) - باب حسن الخلق .

⁶ أبو داؤود - سنن ابي داؤود- ج 2 - ص 632 - رقم الحديث (4682) - باب الدليل علي زيادة الايمان ونقصانه .

لا واقع له فقد طبقه المصطفى -صلي الله عليه وسلم- في نفسه ، ومع غيره وكذا صحابته -رضي الله عنهم- فقد وصلت بهم أخلاقهم إلي أعلى الدرجات فيقدم الرجل حاجة أخيه علي نفسه ، ويؤثر بعضهم بعضاً ، حتى وصفهم الله تعالى بآيات تتلي إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى: "وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (1)

كذلك تتجلي منزلة الأخلاق الإسلامية ومكانتها فيما يحل بالأمم من دمارٍ وهلاكٍ وانحطاطٍ اجتماعي وثقافي وسياسي واقتصادي ، إذ هجروا الأخلاق الإسلامية النبيلة. (2)

وأجتمعت فيه -صلي الله عليه وسلم- سائر الأخلاق العلية والآداب الشرعية ، من الدين ، والعلم ، والحلم ، والصبر ، والشكر ، والعدل ، والصدق ، والزهد ، والتواضع ، والأمانة ، والعفو ، والعفة ، والجود ، والشجاعة ، والحياء ، والمروءة ، والرحمة ، والتي هي جماعها " حسن الخلق " (3) فهذه الأخلاق الإسلامية النبيلة كثيرة ، فالقرآن جله يحث علي الأخلاق الكريمة ، وينهي ويحذر من الأخلاق الذميمة ، وسوف نذكر أمهات هذه الأخلاق في باقي المطالب ، وهي الصدق ، والأمانة ، والصبر ، والعدل.

¹ سورة الحشر / 9.
² برفسور / خالد بن حامد الحازمي - مساوئ الاخلاق واثرها علي الامة - ص 9 - 11 - وكالة المطبوعات والبحث العلمي - وزارة الشؤون الاسلامية والاقواف والدعوة والارشاد - السعودية - الطبعة الثالثة - 1426 هـ .
³ القاضي ابي الفضل عياض الحبيبي - الشفا بتعريف حقوق المصطفى - ج 1 - ص 54 - 55 ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، بدون .

المسألة الأولى: معنى الصدق في اللغة والاصطلاح:

الصدق نقيض الكذب ، صدق ، يصدق ، صدقاً وتصدقاً ، صدقه ، قَبِلَ قوله ، وصدقته

الحديث ، أنبأه الصدق . ورجل صدوق أبلغ من الصادق. (1)

أما معناه في الاصطلاح: فعرّفه من صاحب المنازل بقوله: الصدق اسم لحقيقة الشيء بعينه

حصولاً ووجوداً . أي حصول الشيء وتمامه ، وكمال قوته ، وكذا صدق الخبر ، أي وجود المخبر

بتمام حقيقته في ذهن السامع. (2) وعند الصوفية هو: استواء السر والعلانية ، والظاهر والباطن ،

بأن لا تكذب أحوال العبد أعماله ، ولا أعماله أحواله ، وجعلوا الإخلاص لازم أعم فقالوا: كل صادق

مخلص ، وليس كل مخلص صادقاً. وسئل الجنيد عن الفرق بين الإخلاص والصدق فقال: الصدق

أصل ، والإخلاص فرع والصدق أصل كل شيء ، والإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في الأعمال ،

والأعمال لا تكون مقبولة إلا بهما. (3) وعرفه " القصري " في كتابه " شعب الإيمان " بقوله: فحد

الصدق هو التحقيق في الأقوال والأعمال ، وأحوال القلوب . وحال القلب ، هي حقيقة الصدق ،

وصدق الأقوال والأفعال الناطقة بلسان الحال التي هي أصدق من لسان المقال . ولذلك قال الأشياخ

من العلماء: ليس في المؤمنين أقل من الصادقين ، وقالوا أيضاً الصدق سيف الله في الأرض ، ما

وُضِعَ علي شيء إلا قطعه. (4)

¹ ابن منظور - لسان العرب - ج 4 - ص 2417 - مادة ص ، د ، ق .

² ابن القيم - مدارج السالكين - ج 2 - ص 290 .

³ محمد بن علان الصديقي الشافعي - دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - ج 1 - 173 .

⁴ القصري - شعب الإيمان - ج 1 - 298 .

وقيل الصدق هو: الإخبار عن الشيء بما هو به .⁽¹⁾ وعرفه الماوردي بقوله: الصدق هو

الإخبار عن الشيء علي ما هو عليه ، والكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه.⁽²⁾

المسألة الثانية: منزلة الصدق وأنه من شعب الإيمان:

ومن منازل " إياك نعبد وإياك نستعين " منزلة الصدق . وهي منزلة القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين ، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين . وبه تميز أهل النفاق ، من أهل الإيمان ، وسكان الجنان من أهل النيران . فهو روح الأعمال ، ومحك الأحوال ، والباب الذي دخل منه الواصلون إلي حضرة ذي الجلال . وهو أساس بناء الدين وعمود فسطاط اليقين . ودرجته تالية لدرجة النبوة . التي هي أرفع درجات العالمين . وقد أمر الله سبحانه وتعالى أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين . وخص المنعم عليهم بالنبیین والصدیقین والشهداء والصالحين، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ " ⁽³⁾ وقال تعالى: " وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا " ⁽⁴⁾ والإيمان أساسه الصدق . والنفاق أساسه الكذب – فلا يجتمع كذب وإيمان إلا واحدهما محارب للآخر ، فأعلي مراتب الصدق: مرتبة الصديقية ، وهي كمال الانقياد للرسول صلي الله عليه وسلم ، مع كمال الإخلاص للمرسِل.⁽⁵⁾

أما كونه من شعب الإيمان فقد ثبت عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال: "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلي البر، وإن البر يهدي إلي الجنة، وما زال الرجل يصدق ويتحرى

¹ د . علي معبد فرغلي – في الاخلاق الاسلامية والانسانية – ص 84 .

² الماوردي – ادب الدنيا والدين – ص 319 .

³ سورة التوبة / 119 .

⁴ سورة النساء / 69 .

⁵ ابن القيم – مدارج السالكين – ج 2 – ص 279 – 280 .

الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً... (1) فشئ يبلغ إلي الصديقية التي هي أرفع درجات الإيمان كيف لا يكون من الإيمان؟ ولأن لفظ الصدق من لفظ التصديق ، والتصديق هو الإيمان فهو منه . فبقدر صدق العبد تكون قوة إيمانه . فالصدق يجري من الإيمان مجري القوة من الأبدان ، فإذا لم تكن القوة في البدن كان ضعيفاً بقدر ما نقصه من القوة. (2)

المسألة الثالثة : فضل الصدق:

قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ " (3) وفي تصدير الآية بقوله: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا " ، إشارة إلي أن الكذب لا يتفق مع الإيمان بالله ودينه بحال . كما يصف بهذا الخلق الكريم كثيراً من الرسل والأنبياء في معرض المدح والثناء فيقول: عن إبراهيم وإدريس عليهما السلام " إنه كان صديقاً نبياً " (4) وعن إسماعيل عليه السلام " انه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً" (5) ويمدح رجالاً من المسلمين بحسن البلاء والجهد في سبيل الله قال تعالى: " مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ " (6) و (7) . أما ما ورد في السنة نذكر منها: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: " عليكم بالصدق فان الصدق يهدي إلي البر وإن البر يهدي إلي الجنة ، وما يزال الرجل أو العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإن الكذب يهدي إلي الفجور وإن الفجور يهدي إلي النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى

¹ البخاري - الجامع الصحيح - ج 5 - ص 2261 - رقم الحديث (5743) - باب قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ " التوبة " 119 وما ينهي عنه الكذب.

² القصري - شعب الإيمان - ج 1 - ص 297.

³ سورة التوبة / 119.

⁴ سورة مريم / 41

⁵ سورة مريم / 54.

⁶ سورة الاحزاب / 23 - 24.

⁷ د . محمد يوسف موسي - الاخلاق في الاسلام - ص 51 - 52 العصر الحديث للنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - 1412هـ - 1991م .

يكتب عند الله كذاباً" (1) فهذا هو الصدق في القول ، فحقّ علي كل عبد أن يحفظ ألفاظه ، ولا يتكلم إلا بالصدق. والصدق باللسان هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها. (2) وقال -صلي الله عليه وسلم-: " أنا زعيم ببيت في ربض (3) الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه" (4) ، ففي هذا الحديث توجيه نبوي إلي الالتزام بالصدق حتى في المزاح. (5)

أما الآثار : قال بعض الحكماء : الخرس خير من الكلام ، وصدق اللسان أول السعادة . وقال بعض البلغاء : الصادق مसान خليل ، والكاذب مهان ذليل. وقال بعض الأدباء : لا سيف كالحق ، ولا عون كالصدق . قيل : من قل صدقه قل صديقه . (6) وقال إبراهيم الخواص: (7) الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه ، أو فضل يعمل فيه. وقال الحارث المحاسبي: (8) الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ، ولا يحب إطلاع الناس علي مناقيل الذر من حسن عمله ، ولا يكره أن يطلع الناس علي السيئ من عمله (9) وقال بشر الحافي : (10) من عامل الله بالصدق استوحش من الناس. (11)

المسألة الرابعة: حقيقة الصدق:

¹ سبق تخريجه.
² ابن قدامة المقدسي - مختصر منهاج القاصدين- ص 101.
³ ربض : أي ما حولها - ابن منظور - لسان العرب- ج 4 - ص 1560 - مادة : ربض .
⁴ أبو داؤود - سنن أبي داؤود- ج 2 - ص 668 - رقم الحديث (4800) كتاب الادب - باب في حسن الخلق.
⁵ د . محمد ربيع محمد جوهرى - اخلاقنا - ص 222 - دار الطباعة المحمدية - القاهرة - الطبعة الاولى - 1405 هـ - 1985 م .
⁶ الماوردي - ادب الدنيا والدين- ص 319.
⁷ إبراهيم بن احمد بن اسماعيل ابو اسحاق الخواص لانه كان يبيع الخوص صوفي كان اوحد المشائخ في وقته من اقران الجنيد ولد في سر ومات في جامع الري قال الخطيب البغدادي له كتب مصنفة توفي سنة 291 هـ. الزركلي - الاعلام- ج 1 ص 1128.
⁸ الحارث المحاسبي بن اسد ابو عبد الله : من اكابر الصوفية كان عالما بالاصول والمعاملات واعظا مبكيا له تصانيف في الزهد والرد علي المتزلة وغيرهم ولد ونشا بالبصرة ومات ببغداد وهو استاذ اكثر البغداديين في عصره من كتبه "آداب النفوس" و"المسائل" و"اعمال القلوب والجوارح" من كلامه: خيار هذه الامة الذين لا تشغلهم اخرتهم عن دنياهم ولا دنياهم عن اخرتهم توفي سنة 243 الزركلي الاعلام- ج 2 - ص 153.
⁹ ابن القيم - مدارج السالكين - ج 2 - ص 289.
¹⁰ بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي ابو نصر المعروف بالحافي : من كبار الصالحين له في الزهد والورع اخبار وهو من ثقة رجال الحديث من اهل مرو سكن بغداد وتوفي بها قال المامون لم يبق في هذه الكورة احد يستحي منه غير هذا الشيخ بشر بن الحارث توفي سنة 227 هـ وولد سنة 150 هـ الزركلي - الاعلام ، ج 2 - ص 1154.
¹¹ ابن قدامة المقدسي - مختصر منهاج القاصدين - ص 101.

حقيقة الصدق ، هو صدق القلوب ، فصدق الأقوال والأفعال الناطقة بلسان الحال ، هي أصدق من لسان المقال. فالصدق -صدق القلوب- علي ضربين : ظاهر وباطن فالباطن . علي ضربين: ضرب في مقام الإيمان ، وضرب في مقام الإحسان. والظاهر: -صدق القلوب- محله الجوارح ، فيصدق بعمله مع الله الله. فيترقى العبد في درجات الصدق ، من مقام الإسلام والإيمان ثم الإحسان ، حتى يصل أعلي درجات الصديقية. (1) وهي درجة تالية لدرجة "النبوة" وحقيقة الصدق هو ما كان به وله من الأقوال والأعمال وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة . قال عبد الواحد بن زيد (2) : حقيقة الصدق الوفاء لله بالعمل . وقيل: موافقة السر. النطق وقيل: استواء السر والعلانية. وقيل: الصدق بالحق في مواطن الهلكة . وقيل: كلمة الحق عند من تخافه وترجوه. وقال الجنيد: الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة ، والمرائي يثبت علي حالة واحدة أربعين سنة. ومراد الشيخ أبا القاسم أن المعارضات والواردات التي ترد علي الصادق لا ترد علي الكاذب المرائي. بل هو فارغ منها. ولا يعارضه الشيطان كما يعارض الصادقين وقال أيضا حقيقة الصدق: أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب. وقال يوسف ابن أسباط (3) : لأن أبيت ليلة أعامل الله بالصدق أحب إليّ من اضرب بسيفي في سبيل الله . (4)

المسألة الخامسة: درجات الصدق:

للصدق خمس درجات:

¹ القصري -شعب الإيمان- ج 1 - ص 298 - 299 .
² المنقلت من القيد المتصيد للصيد عبد الواحد بن زيد كان عابدا زاهدا واعظا قال ابو سليمان الداراني : اصاب عبد الواحد بن زيد الفالج فسال الله ان يطلقه في وقت الوضوء فاذا اراد ان يتوضا انطلق واذا رجع الي سريره عاد عليه الفالج وكان يجاهد في سبيل الله. "الاصبهاني" حلية الاولياء وطبقات الاصفياء-ج 6 ص 151 - 165
³ ذو الجد والنشاط ، المستبق إلي الصراط ، يوسف ابن أسباط ، كان العلم والخوف شعاره ، والتجلي عن فضول الدنيا آثاره ، سئل عن الزهد ما هو ؟ قال : أن تزهد فيما أحل الله ، فأما ما حرم الله فإن ارتكبه عذبك الله ، وأدراك من أعلام العارفين بالله ، سفيان الثوري وابن المبارك ، "الاصبهاني" حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، ج 8 ص 237-243 .
⁴ ابن القيم - مدارج السالكين- ج 2 - ص 279 - 289 .

الدرجة الأولى: الصدق في القول ، بأن لا يتكلم إلا بالصدق ، وينبغي أن يحتزر عن المعارض ، فإنها تجانس الكذب ، إلا أن تمس الحاجة إليها ، وتقتضي المصلحة في بعض الأحوال. وينبغي أن يراعي معنى الصدق في ألفاظه التي يناجي بها ربه كقوله: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض ، فإن كان قلبه منصرفاً عن الله مشغولاً بالدنيا فهو كاذب.

الدرجة الثانية: الصدق في النية والإرادة ، وذلك يرجع إلى الإخلاص ، فإن مزج عمله شوب من حظوظ النفس بطل صدق نيته.

الدرجة الثالثة: الصدق في العزم ، بمعنى أن تسخو النفس بالوعد .

الدرجة الرابعة: الصدق في الأعمال ، وهو أن تستوي سريرته وعلانيته ، ظاهره وباطنه.⁽¹⁾ والتسليم للرسول صلي الله عليه وسلم في ظاهره وباطنه ، والافتداء به ، والتقيد بطاعته ، في كل حركة وسكون ، مع إخلاص القصد لله عز وجل. فإن الله تعالى لا يرضيه من عبده إلا ذلك . ومن هنا يفارق الصادق أكثر السالكين ، بل يستوحش في طريقه. وذلك لقلّة سالكيها.⁽²⁾

الدرجة الخامسة: الصدق في مقامات الدين ، بأن يكون صادقاً في مقام إسلامه في أقواله بالشهادتين والصدق في العبادة ، وأن يكون صادقاً في مقام إيمانه ، بأركان الإيمان الستة تصديقاً لا يخالجه شك قط ، وأن يكون صادقاً في مقام إحسانه ، بالتسليم المطلق لله والرسول صلي الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً.⁽³⁾

¹ ابن قدامة المقدسي - مختصر منهاج القاصدين - ص 101 - 102.

² ابن القيم - مدارج السالكين - ج 2 - ص 295.

³ القصري - شعب الإيمان - ج 1 - ص 299.

المسألة الأولى: تعريف الأمانة ومدلولها:

الأمانة في اللغة: ضد الخيانة ، والإيمان ضد الكفر ، والإيمان بمعنى التصديق: ضده التكذيب. يقال آمن به قوم وكذب به قوم . فالأمان والأمانة بمعنى وقد أمنتُ فأنا أمينٌ وأمنت غيري من الأمن ، والأمان والأمن ضد الخوف.⁽¹⁾

وفي الاصطلاح: الأمانة مشتقة من الإيمان . فمن حفظ أمانة الله ، حفظ الله إيمانه ، فهي بمعنى الحفظ والصون⁽²⁾ وقيل الأمانة هي: رعاية حقوق الله تعالى بتأدية ما علي المرء من الفرائض والواجبات ، وحفظ حقوق الناس المادية والمعنوية.⁽³⁾ وللأمانة مدلولات عدة حسب تفسير العلماء لقوله تعالى : " إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا " ⁽⁴⁾ قال القرطبي : الأمانة تعم جميع وظائف الدين علي الصحيح من الأقوال . وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هي أمانة الأموال كالودائع وغيرها. وقال أبو الدرداء: غُسل الجنابة أمانة . وقال ابن عمر أول ما خلق الله من الإنسان فرجه وقال هذه أمانة، والأذن أمانة والعين أمانة واللسان أمانة والبطن أمانة واليد أمانة والرجل أمانة⁽⁵⁾. فالأمانة تشمل كل الإسلام عقيدة ، وعبادة ، وتشريعات ، وأخلاقاً ، وهي المذكورة في الآية ، وتسمى بالفطرة التي فطر

¹ ابن منظور - لسان العرب - ج 1 - ص 141 - مادة (أ، م، ن)

² الغزالي - مكاشفة القلوب - ص 37.

³ د . محمد بن مسفر بن حسين الطويل الزهراني - صور مشرقة من مكارم الاخلاق في الاسلام - ص 74 - مكتبة شمس المعارف -

بدون .

⁴ سورة الاحزاب / 72.

⁵ الغزالي - مكاشفة القلوب - ص 36.

الله الناس عليها من الإيمان بالله وطاعته .⁽¹⁾ وقال ابن عباس: الأمانة هي الصلاة والزكاة والحج والكيل والميزان. وزاد غيره غسل الجنابة لأن الستر عن غير الله تعالى في الجميع ممكن⁽²⁾

المسألة الثانية: الحث علي الأمانة والترهيب من الخيانة:

قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا " .⁽³⁾ قال المفسرون: الآية مشتملة علي كثير من أمهات الشرع ، والمُخَاطَبُ بها عموم المكلفين الولاية وغيرهم ، فيجب علي الولاية إنصاف المظلوم ، وإظهار حقه وذلك أمانة، وحفظ أموال المسلمين لا سيما اليتامي ، ويجب علي العلماء تعليم العوام أحكام دينهم ، فهي أمانة اختار لحفظها العلماء ، ويجب علي الوالد رعاية ولده بحسن التأديب إذ هو أمانة عنده.⁽⁴⁾

وقال -صلي الله عليه وسلم-: " أدُّ الأمانة إلي من ائتمنك ولا تخن من خانك"⁽⁵⁾ وقال - صلي الله عليه وسلم-: " لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له"⁽⁶⁾ وقال صلي الله عليه وسلم: " إياكم والخيانة فأنها بنُست البطانة"⁽⁷⁾ وقال ابن مسعود : يؤتي يوم القيامة بصاحب الأمانة الذي خان فيها فيقال له : أدُّ أمانتك فيقول أني يارب وقد ذهبت الدنيا؟ قال: فتمثل له كهبيتها يوم أخذها في قعر جهنم ثم يقال له أنزل إليها فأخرجها ، قال فينزل إليها فيحملها علي عاتقه فهي عليه أثقل من جبال الدنيا ، حتى إذا ظن أنه ناجٍ هوت وهوى في أثرها أبد الآبدين ، ثم قال: الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والغسل أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة ، وأعظم ذلك الودائع.⁽⁸⁾

¹ د . شرف القضاة - الهدي النبوي في الرقائق - ص 166 - دار الفرقان - اليرموك - الاردن - الطبعة الرابعة - 1405 هـ - 1995 م .
² عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري - نزهة المجالس - ص 324 .
³ سورة النساء / 58 .
⁴ الامام الغزالي - مكاشفة القلوب - 38 .
⁵ ابو داؤود - سنن ابي داؤود - ج 2 - ص 312 - رقم الحديث (3534) - كتاب الاجارة - باب في الرجل ياخذ حقه من تحت يده .
⁶ سبق تخريجه .
⁷ الطبراني - سليمان بن احمد بن ايوب ابو القاسم الطبراني - المعجم الكبير - تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي . ج 22 - ص 204 رقم الحديث (538) باب الهاء - مكتبة العلوم والحكم - الموصل الطبعة الثانية 1404 هـ 1983 م .
⁸ الذهبي " الامام الحافظ شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي - الكبائر - تحقيق : محمود بن الجميل - ص 170 - مكتبة الصفا - القاهرة - الطبعة الاولى 1422 هـ . 2001 م .

المسألة الثالثة: الأمانة من شعب الإيمان:

وهي من أعظم شعَب الإيمان ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نفى الإيمان عن من ليس بأمين. فقال صلى الله عليه وسلم: "لا إيمان لمن لا أمانة له" (1) وقال -صلى الله عليه وسلم-: " إذا ضيَّعتِ الأمانة فانتظر الساعة" (2) وفي حديث حذيفة الذي رواه في رفع الأمانة قال في آخره: فيصبح الناس يتبايعون ولا يكاد أحدهم يرد الأمانة ، فيقال إن في بني فلان رجلاً أميناً ، ويقال للرجل ما أعقله ، وما أظرفه ، وما أجده ، وما في قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمان" (3) فما أعظم قدره هذه الشعبة التي يذهب الإيمان بذهابها. (4)

وقال عمر رضي الله عنه: لا يغرنك صلاة امرئٍ ولا صيامه ، من شاء صام وصلي ، لا دين لمن لا أمانة له . وقال ابن عباس: الأمانة الطاعة . وسئل الحسن رضي الله عنه عن قوله تعالى: " إنا عرضنا الأمانة" فقال: هي علي العبد في دينه كله. وقال قتادة : هي الفرائض التي افترض والحدود. (5)

المسألة الرابعة: ضروب الامانة:

وضروبها ثلاثة :

أولها : أمانة الله

ثانيها: أمانة الرسول:

¹ سبق تخريجه .
² البخاري - الجامع الصحيح- ج 1 - ص 33 - رقم الحديث (59) كتاب العلم باب من يسأل عن علم هو مشغول في حديثه.
³ البخاري - الجامع الصحيح- ج 6 - ص 2596 رقم الحديث (6675) كتاب الفتن - باب اذا بقي في حثالة من الناس.
⁴ القصري - شعب الإيمان- ج 1 - 285.
⁵ الامام محمد بن نصر المروزي - تعظيم قدر الصلاة- ص 307 - 309 .

ثالثها: الأمانة بين الخلق . ويدل علي ذلك قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" (1)

فأمانة الله سبحانه وتعالى المقصود منها: الوديعة التي استودع الله آدم وولده وأمنهم عليها، وهي تمليكه إياهم الأشياء وجعله إياهم خلفاً في ملكه ، لأنه لولا الغيبة لما سميت الأمانة أمانة ، ولا الخيانة خيانة ، فبغيتهم عن المستخلف ظهر الأمين منهم والخائن ، فأمنهم علي نفوسهم ، ثم ملكه ، واستخلفهم فيه ليكونوا قائمين بحقوق الأمانة، لأن من ملكك شيئاً واستخلفك عليه ، فقد أمك عليه بحقيقة الأمانة . والأمانة : هي ما أمر به الشرع . والشرع أمر بالتوحيد ، والإيمان وفروع الإسلام ، وجميع المشروعات ، فقد عمت الأمانة مقام الإحسان ، والإيمان ، والإسلام ظاهراً وباطناً.

وأما أمانة الرسل ، فإنهم استودعوا الناس الشرائع التي جاءوا بها ، وهي العلوم والأعمال ، وكلف الخلق كلهم طلب العلم ، وفرضه عليهم فهم أمناء عليه وعلي العمل به ، فهم أمناء علي الوضوء ، والصلاة ، والغسل ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، وعلي الاعتقادات كلها ، فمن وافق علمه عمله وكان جارياً علي سنة الأنبياء فهو الأمين قال تعالى : " يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ " (2) أي أنت العالم ببواطنهم وما كانوا عليه فحينئذ تظهر الأمانة والخيانة.

وأما أمانة الناس بعضهم مع بعض ، فهي الودائع في الأموال ، والأهلين وهي التي عبر عنها قوله تعالى: " وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ " (3) فمن أخذ درهماً أو أقل من ذلك ، أو أكثر ،

فهو خائن لا يبرئه إلا رده . (1)

¹ سورة الانفال / 27.

² سورة المائدة / 109 .

³ سورة الانفال / 27.

المسألة الأولى: تعريف الصبر في اللغة والاصطلاح:

الصبر: حبس النفس عن الجزع ، وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبراً ، وصبرته أنا حبسته ، والتصبر تكلف الصبر ، وتصبر واصطبر جعل له صبراً ، وتقول اصطبرت⁽²⁾ . وقال الرازي: في كتابه "مختار الصحاح" الصبر: حبس النفس عن الجزع ، والتصبر تكلف الصبر وأصبره أمره بالصبر. وشهر الصبر: شهر الصوم.⁽³⁾

¹ القصري - شعب الايمان- ج 1 - ص 286 - 295 .
² ابن منظور - لسان العرب- ج 4 - ص 2391 - مادة (ص ، ب ، ر)
³ الرازي - مختار الصحاح- ص 354 - مادة (ص ، ب ، ر)

أما الصبر عند العارفين فهو: الصبر علي طاعة الله ، والصبر عن معصية الله ، والصبر علي النائبات وأنواع المكاره في الدنيا. وقال إبراهيم الخواص : الصبر هو الثبات علي الكتاب والسنة . وقال أبو علي الدقاق: حقيقة الصبر أن لا يُعترض علي المقدور ، فأما إظهار البلاء لا علي وجه الشكوى فلا ينافي الصبر⁽¹⁾ وقال الجنيد: الصبر تجرع المرارة من غير تعبس. وقال ذو النون المصري: ⁽²⁾ الصبر التباعد من المخالفات ، والسكون عند تجرع غصص البلية ، وإظهار الغني مع حلول الفقر بساحات المعيشة. وقيل الصبر: الوقوف مع البلاء بحسن الأدب. وقيل: هو الفناء في البلوي بلا ظهور شكوى. وقيل: تعويد النفس الهجوم علي المكاره. وقيل: هو ترك الشكوي .

وقال صاحب المنازل: الصبر حبس النفس علي المكروه ، وعقل اللسان عن الشكوى. وهو من أصعب المنازل علي العامة.⁽³⁾

المسألة الثانية: فضل الصبر:

من حسن التوفيق وأمارات السعادة ، الصبر علي الملمات والرفق عند النوازل ، وبه نزل الكتاب ، وجاءت السنة قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " ⁽⁴⁾ يعني اصبروا علي ما افترض الله عليكم وصابروا عدوكم. و"رابطوا" فيه تأويلان أحدهما: علي الجهاد. والثاني: علي انتظار الصلوات ⁽⁵⁾ وقال تعالى: "وَأِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ" ⁽⁶⁾ وهو الصبر علي أذي الناس وهو من أعلي المراتب. ⁽⁷⁾ وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا

¹ المنذري - الامام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري - الترغيب والترهيب . من الحديث الشريف - تحقيق : مصطفى محمد عمارة - ج 4 - ص 274 - 275 - دار الفكر - بيروت - لبنان - بدون.

² ثوبان بن ابراهيم الاخيمي المصري - ابو الفياض او ابو الفيض احد الزهاد المشهورين من اهل مصر نوبي الاصل من الموالي ، كانت له فصاحة وحكمة وشعر ، وهو اول من تكلم بمصر في ترتيب الاحوال ومقامات اهل الولاية اتهمه المتوكل العباس بالزندقة فلما سمع كلامه اطلقه فعاد الي مصر وتوفي بجيزتها سنة 245هـ . الزركلي ، الأعلام ، ج 2 ، ص 102.

³ ابن القيم - مدارج السالكين- ج 2 - ص 164 - 165.

⁴ سورة ال عمران / 200.

⁵ الماوردي - ادب الدنيا والدين- 250 - 251 .

⁶ سورة آل عمران / 186.

⁷ ابن قدامة المقدسي - مختصر منهاج القاصدين- ص 97.

الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ " (1) والآيات في الصبر كثيرة في القرآن.

فقد وردت مادة الصبر ثلاث مرات ومئة بصيغ مختلفة. (2)

إما السنة فالأحاديث في ذلك كثيرة جداً نذكر بعضاً منها:

قال -صلي الله عليه وسلم-: "ومن يتصبر يصبره الله ، وما أُعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع

من الصبر" (3) أي أفضل وأكثر ثواباً . وقال -صلي الله عليه وسلم- "عجباً لأمر المؤمن كله خير

وليس ذلك لأحد إلا المؤمن ، إن إصابته سرآء شكر ، فكان خيراً له وإن أصابته ضرآء صبر فكان

خيراً له" (4) فهو في الحالتين مُكرم مُثاب مُؤجر في السراء أي الفرح ، والضرآء أي المكروه. (5)

المسألة الثالثة: أنواع الصبر ودرجاته ومقاماته:

أنواعه ثلاثة: صبرٌ بالله. وصبرٌ لله. وصبرٌ مع الله .

فالأول: أول الاستعانة به، ورؤيته أنه هو المعتبر، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه ، كما قال تعالى: "

واصبر وما صبرك إلا بالله " (6) يعني إن لم يصبرك هو لم تصبر .

الثاني: الصبر لله. وهو أن يكون الباعث له علي الصبر محبة الله وإرادة وجهه والتقرب إليه لا

لإظهار قوة النفس.

الثالث: الصبر مع الله . وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه ومع أحكامه الدينية ، أي جعل

نفسه وفقاً علي أوامره ومحبته، وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها. وهو صبر الصديقين. وقال الجنيد :

الصبر مع الله أشد .

¹ سورة البقرة / 153.

² د . محمد ربيع الجوهري - أخلاقنا - ص 291 .

³ الإمام مالك بن انس - الموطأ- ج 2 - ص 997 - رقم الحديث (1812) كتاب الصدقة - باب ما جاء في التعفف عن المسألة .

⁴ مسلم - صحيح مسلم- ج 4 - ص 2295 - رقم الحديث (2999) - كتاب الزهد والرفائق - باب المؤمن امره كله خير.

⁵ المنذري - الترغيب والترهيب - ص 278.

⁶ سورة النحل / 127.

فالأول: الصبر بالله. هو صبر المريرين. والثاني: الصبر لله. وهو صبر العامة. والثالث: وهو الصبر مع الله . هو صبر السالكين. (1)

أما درجاته فتالث:

الدرجة الأولى: الصبر علي الطاعات، والنفس تنفر عن بعضها بمجرد الكسل كالصلاة. وعن بعضها بالبخل كالزكاة ، وعن بعضها بهما جميعاً كالحج والجهاد، والصبر علي الطاعات من الشدائد ويحتاج المطيع إلي الصبر في ثلاث أحوال: أحدها: أول العبادة بتصحيح الإخلاص . والثانية: رفع الكسل. والثالثة: بعد الفراغ بأن لا يغشي عمله بالرياء والسمعة.

الدرجة الثانية: الصبر علي المعاصي ، وهو أشد من الأول ، لا سيما عن معصية صارت عادةً مألوفة . كمعاصي اللسان كالغيبة والنميمة ، والكذب والمراء ، ويحتاج في دفع ذلك إلي أشد أنواع الصبر. (2)

الدرجة الثالثة: الصبر علي الشدائد والمكاره ، وهو الذي أنال العرب والمسلمين النصر علي أعدائهم ، وكان سبباً قوياً لإمداد الله لهم بعونه وجنوده التي لا نراها. (3)

أما مقامات الصبر فتلاثة:

المقام الأول: ترك الشهوات. وهي درجة التائبين.

المقام الثاني : الرضاء بالمقدور. وهي درجة الزاهدين.

المقام الثالث: المحبة لما يصنع مولاه به. وهي درجة الصديقين. (4)

المسألة الرابعة: آداب الصبر وفوائده:

¹ ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج 2 ، ص 164 - 175 .
² الامام الغزالي - كتاب الاربعين في اصول الدين- ص 163 - 164 .
³ د . محمد يوسف موسى - الاخلاق في الاسلام- ص 77 .
⁴ د . علي معبد فرغلي - في الاخلاق الاسلامية والانسانية- ص 92 .

للصبر آدابٌ عديدةٌ منها:

الأول: استعمله في أول صدمة ، لقوله صلي الله عليه وسلم: " إنما الصبر عند الصدمة

الأولي " (1)

الثاني: الاسترجاع عند المصيبة ، لحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله -صلي

الله عليه وسلم- يقول: " ما من عبدٍ تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني

في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها ، إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها ، قالت: فلما توفي

أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله

صلي الله عليه وسلم". (2)

الثالث: سكون الجوارح واللسان ، فأما البكاء فجائز وهو بالدمع لا بالصياح والنياحة .

الرابع : أن لا يظهر أثر المصيبة علي المصاب بالحزن والكابة. (3)

أما فوائده فعدة نذكر منها:

الأولي: أن الصبر من أخلاق الرسل قال تعالي " وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا

وَأُودُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا " (4)

الثانية: أن الصابرين هم الذين ينتفعون بالآيات ويدركون الصبر قال تعالي: " وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي

الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (32) إِنَّ يَتَشَأُ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ

شَكُورٍ " (5)

¹ البخاري - الجامع الصحيح- ج 1 - ص 430 رقم الحديث (1223) كتاب الجنائز - باب زيارة القبور.

² مسلم - صحيح مسلم- ج 2 - ص 631 - رقم الحديث (918) كتاب الجنائز - باب ما يقال عند المصيبة.

³ ابن قدامة المقدسي - مختصر منهاج القاصدين- ص 96 - 97 .

⁴ سورة الانعام / 34.

⁵ سورة الشوري / 32 - 33 .

الثالثة: الصبر من أسباب الفلاح قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " (1)

الرابعة: هو من أهم عوامل النصر والمدد قال تعالى: " بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ " (2)

الخامسة: أن الله تعالى يحبهم قال تعالى: " والله يحب الصابرين " (3)

السادسة: أنه معهم بحفظه وتأبيده قال تعالى: " والله مع الصابرين " (4) و(5)

المسألة الأولى: تعريف العدل في اللغة والشرع:

العدل في اللغة هو: ضد الجور ، وهو ما قام في النفوس أنه مستقيم ، وعدل الحاكم في الحكم يعدل عدلاً ، وهو عادل ، وعدل عليه في القضية فهو عادل ، وبسط الوالي عدله ومعدلته ، وفي أسماء الله الحسني سبحانه " العدل " وهو الذي لا يميل به الهوي فيجور في الحكم ، وهو في الأصل مصدر ، سُمي به فوضع موضع العادل ، وهو أبلغ منه لأنه جعل المسمي نفسه عدلاً ، وفلان من أهل المعدلة ، أي من أهل العدل ، والعدل الحكم بالحق ، يقال : هو يقضي بالحق ويعدل ، وهو حكم عادل ذو معدلة في حكمه ، والعدل من الناس المرضي قوله وحكمه. (6)

وفي الشرع: عرفه "القصري" بقوله: هو إعطاء كل ذي حق حقه فله علي الخلق حق ، ولرسوله حق ، ولملائكته حق ، ولجميع الخلق حق ، فقد عم العدل المقامات كلها ، للإسلام ، والإيمان ، والاحسان. (7) وقيل هو: القسط اللازم للاستواء وهو استعمال الأمور في مواضعها وأوقاتها ومقاديرها

¹ سورة ال عمران / 200.

² سورة ال عمران / 125 .

³ سورة ال عمران / 146.

⁴ سورة البقرة / 249.

⁵ د . محمد ربيع جوهري - اخلاقنا- ص 291 - 292.

⁶ ابن منظور - لسان العرب- ج 4 ص 2838 - مادة (ع ، د ، ل)

⁷ القصري - شعب الايمان- ج 1 - ص 277.

، في غير إسرافٍ ولا تقصيرٍ ولا تقديمٍ ولا تأخيرٍ. (1) وعرفه بعضهم بقوله: العدل هو: الإنصاف والإحسان إلي من أساء اليك . (2) وعرفه "الشرباصي" في كتابه "أخلاق القرآن" العدل هو القصد في الأمور والإنصاف والمساواة بين ، الناس وهو الحكم بالاستواء، وهو تحري المساواة والمماثلة بين الخصمين ، حتى يصل كل ذي حق حقه. (3) . وقال " الشنواني " في حاشيته " العادل : التابع لأوامر الله ، فيضع كل شئ في موضعه من غير إفراطٍ ولا تفريط (4)

المسألة الثانية: حث الشارع علي العدل والتحذير من الظلم:

قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ " (5) وقال تعالى: " وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ " (6) وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ " (7) وقال تعالى: " وزنوا بالقسطاس المستقيم " (8) وهو العدل ، وهو من شعب الإيمان . وعده الإمام علي كرم الله وجهه من دعائم الإيمان الأربع وهي : الصبر واليقين والعدل والجهاد. (9)

أما السنة المحمدية فمليئة بالحث علي العدل ، لا قولاً فقط ، وإنما قول وعمل وتطبيق من النبي صلي الله عليه وسلم وصحابته من بعده حتى مكنوا آحاد الرعية من أن يفتص أحدهم من الحاكم. وما جاء في فضل العدل قوله -صلي الله عليه وسلم-: "سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله " إمام عادل ... " (10) فلأهمية العدل ذكره صلي الله عليه وسلم في أول السبعة. ولعلو

1 د . علي معبد فرغلي - في الاخلاق الاسلامية والانسانية- ص 107.

2 عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري - نزهة المجالس- ص 352.

3 د . احمد الشرباصي - أخلاق القرآن - ص 22 - دار الراشد العربي - بيروت - لبنان - بدون.

4 "الشنواني " محمد بن علي الشافعي الشنواني - حاشية الشيخ محمد الشنواني ، علي مختصر بن ابي حمزة - ص 115 - دار الفكر - بيروت - لبنان - بدون.

5 سورة النحل / 90

6 سورة النساء / 58.

7 سورة النساء / 135.

8 سورة الاسراء / 35.

9 القصري - شعب الايمان- ج 1 - ص 277.

10 البخاري - الجامع الصحيح- ج 1 - ص 234 - رقم الحديث (629) باب من جلس في المجلس ينتظر الصلاة وفضل المساجد.

مكانة العادلين قال -صلي الله عليه وسلم-: "إن المقسطين عند الله علي منابر من نور: الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما وُلُّوا"⁽¹⁾ " فالعدل صفة وفضيلة عامة تشمل جميع مناحي الحياة.⁽²⁾

أما ما ورد في السنة من التحذير من الظلم نذكر منها قوله صلي الله عليه وسلم: "من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة"⁽³⁾ وقال -صلي الله عليه وسلم-: "إن رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة"⁽⁴⁾ . وقال بعض السلف : لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء . وقال أبو هريرة -رضي الله عنه- : إن الحباري لتموت في وكرها هُزلاً من الظالم .⁽⁵⁾

المسألة الثالثة: شمول العدل جميع الأعمال الإرادية:

العدل فرض بين القريب والغريب، والغني والفقير، والصديق والعدو . وهو من أخلاق المؤمن ، وهو عدل كامل غير منقوص، وعام شامل غير خاص، بأحد من الناس ، ولا طائفة ولا طبقة منهم، ولو كان محارباً أو معاهداً.⁽⁶⁾

فالعدل شامل وعام يشمل العدل بين العبد وربيه وهو "العبودية" لله تعالى بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، فمن أشرك فقد ظلم نفسه قال تعالى: " إن الشرك لظلم عظيم"⁽⁷⁾ وكذلك العدل في حق الرسول صلي الله عليه وسلم ، بتعظيمه ، وطاعته ، ومحبته ، لأنه هو سبب الهداية لرب

¹ مسلم - صحيح مسلم - مصدر سابق - ج 3 - ص 1458 - رقم الحديث (1827) باب فضيلة الامام العادل وعقوبة الجائر والحث علي الرفق بالرعية والنهي عن ادخال المشقة عليهم .

² د . علي معبد فرعلي - في الاخلاق الاسلامية والانسانية- ص 107 - 108.

³ البخاري - الجامع الصحيح- ج 2 - ص 866 - رقم الحديث (2321) كتاب المظالم - باب اثم من ظلم شيئاً من الارض.

⁴ البخاري - الجامع الصحيح - نفس المصدر - ج 3 - ص 1135 - رقم الحديث (2950) كتاب الخمس - باب قول الله تعالى فان الله خمسه ولرسوله.

⁵ الامام الذهبي - الكباير- ص 119.

⁶ د . محمد يوسف موسى - الاخلاق في الاسلام- ص 35.

⁷ سورة لقمان / 13.

العالمين ⁽¹⁾ وكذلك العدل بين الناس في القضايا والخصومات، وهذا تتدرج تحته عدة أوجه نذكر منها:

الوجه الأول: العدل في الكلام والمنطق قال تعالى: " وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ " ⁽²⁾

الوجه الثاني: العدل مع النفس والأهل والأقربين قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ " ⁽³⁾

الوجه الثالث: العدل في كتابة الدين قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ " ⁽⁴⁾

الوجه الرابع: العدل في الشهادة قال تعالى: " وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ " ⁽⁵⁾ وذلك عن النساء المطلقات وهن في العدة.

الوجه الخامس: العدل بين الطائفتين المتنازعتين من المؤمنين قال تعالى: " فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ " ⁽⁶⁾

الوجه السادس: العدل بين الزوجات قال تعالى: " فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً " ⁽⁷⁾

وكذلك العدل في الوصية ، والعدل في النفقة ، والعدل بين الأولاد ، وغير ذلك . ⁽⁸⁾

¹ القصري - شعب الإيمان- ج 1 - ص 282.

² سورة الأنعام / 152.

³ سورة النساء / 135.

⁴ سورة البقرة / 282.

⁵ سورة الطلاق / 2.

⁶ سورة الحجرات / 9.

⁷ سورة النساء / 3.

⁸ د . احمد الشرباصي - اخلاق القران- ص 24 - 26.

المسألة الأولى: عناية الإسلام بالنظافة والطهارة:

قال تعالى في وصف أصحاب الصفة: "لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسَسَ عَلَى النَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقَّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ" ⁽¹⁾ قيل في التفسير: يحبون أن يتطهروا من الأحداث والجنابات والنجاسات بالماء. وقال عطاء: كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل علي الجنابة. ⁽²⁾ وقال تعالى: : "وَيَتَابَكَ فَطَهَّرَ" ⁽³⁾ وقال صلي الله عليه وسلم : " الطهور شرط الإيمان" ⁽⁴⁾ قيل في معناه أن الطهور شرط أي نصف الإيمان نظراً لاشتراطه لصحة الصلاة . وقيل الإيمان هنا الصلاة ، فالطهور مكمل وشرط لها. فإن مادة الطهارة واشتقاقاتها وردت في واحدٍ وثلاثين (31) موضعاً في القرآن ، وهذا يدل علي أهمية الطهارة والنظافة في الشرع الحنيف . وقال تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" ⁽¹⁾ فالطهارة حسية

¹ سورة التوبة / 108.

² السهر وردي ، عوارف المعارف ، ص 170.

³ سورة المدثر/ 4.

⁴ مسلم ، صحيح مسلم ، ج 1 ، ص 203 ، رقم الحديث (223) ، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء.

¹ سورة البقرة / 222.

ومعنوية ، فالحسية كطهارة البدن والثوب والمكان، ومعنوية كتطهير القلوب من الشرك والحقد والحسد وغيرها. (1) فالطهارة المعنوية هي الغاية القصوى من قصد الشارع ، فتطهير الظاهر أصلاً شرع لتطهير الباطن ، وهو تطهير القلوب عما سوى الله تعالى . فنري كثيراً من الناس يمضي جل وقته في تزيين الظواهر ، وبواطنهم خراب محشوة بخبائث الكبر ، العجب ، والجهل ، والرياء ، والنفاق، حتى جعلوا البذاذة (2) التي هي من الإيمان قذارة والرعونة نظافة ، وصيروا المنكر معروفاً ، والمعروف منكراً. (3)

المسألة الثانية: طهارة ماء البحر وحل ميته:

عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال: - قال رسول الله -صلي الله عليه وسلم- : في البحر " هو الطهور ماؤه الحل ميته" (4) والحديث وقع جواباً عن سؤال (5) فأفاد -صلي الله عليه وسلم- أن ماء البحر طاهر مطهر لا يخرج عن الطهورية بحال. ولم يجب -صلي الله عليه وسلم- بقوله : نعم ، مع إفادتها الغرض ، بل أجاب بهذا اللفظ ليقرن الحكم بعلمته ، والطهورية المتناهية في بابها، وكان السائل لما رأي ماء البحر خالف المياه بملوحة طعمه ، ونتين ريحه توهم أنه غير مراد من قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ

1 د. طارق محمد عقيل السليمان، نظافة وطهارة البيئة ، منظور إسلامي ، ص 13- 14 ، بحث من بحوث. منظمة العواصم والمدن الإسلامية ، بعنوان : النظافة في إطار حماية البيئة ، القاهرة ، محرم 17- 22- 1407 هـ - 21 - 26 / 9 / 1986 م.

2 التواضع في اللباس وقد سبق تعريفها وأصلها في حديث " إن البذاذة من الإيمان ، وقد سبق تخريجه .

3 ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين - ص 24.

4 أبو داؤود ، سنن أبي داؤود ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 69 ، رقم الحديث (83) ، كتاب الطهارة ، باب الوضوء بماء البحر .

5 كما في الموطأ أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل ، الإمام مالك ، الموطأ ، ج 1 ، ص 22 ، رقم الحديث (41) ، كتاب الطهارة - باب الوضوء بماء البحر ،

وفي مسند أحمد من بني مدليج ، الإمام احمد ، المسند ، ج 2 ، ص 461 ، رقم الحديث (8720) ، مسند أبي هريرة. وفي الطبراني اسمه " عبد الله " فقال يا رسول الله : إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فان توضحنا به عطشنا ، أفنتوضأ به ؟ فقال : -صلي الله عليه وسلم- : هو الطهور ماءه الحل ميته- الطبراني ، المعجم الكبير ، ج 2 ، ص 186 ، باب الجيم ، كتاب جابر بن عبد الله .

مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ". (1) أي بالماء المعلوم إرادته ، فسأل عنه ، فأفاده صلي الله عليه وسلم الحكم وزاده حكماً لم يسأل عنه ، وهو حل ميتته ، وذلك لما عرف - صلي الله عليه وسلم - اشتباه الأمر علي السائل في ماء البحر ، أشفق أن يشتهه عليه حكم ميتته ، فبين له حكم الميتة . قال ابن العربي : وذلك من محاسن الفتوى أن يُجاء في الجواب بأكثر مما سئل عنه تنميماً للفائدة وإفادة لعلم غير المسؤول عنه. والمراد بميتته ، ما مات فيه من دوابه مما لا يعيش إلا فيه ، لا ما مات فيه مطلقاً، فإنه وإن صدق عليه لغة أنه ميتة بحرٍ فمعلوم أنه لا يراد ما ذكرناه . (2) وكون ماء البحر ميتته يحل أكلها ، لما فيه من شدة الملوحة ، التي هي أحد المواد الحافظة للأشياء ، فالإسلام اهتم غاية الاهتمام بنظافة طعام وشراب المسلم ، حتى يعيش صحيحاً معافى يعمر دنياه ، ويعمل لأخرته. ومن ذلك أن أمره الشارع وحته علي غسل يديه قبل الأكل ، وأن يسمي الله ، وأن لايسرف . قال تعالى: "يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ" (3) وقال -صلي الله عليه وسلم-: "إن لجسدك عليك حقاً" (4) في تغذيته مادياً ، وروحياً ، مادياً بالطعام والشراب الطاهر التنظيف الصحي ، وروحياً باتباع هدي النبي صلي الله عليه وسلم ، وتغذية قلبه بالأذكار وقراءة القرآن . ومن تأمل هدي النبي صلي الله عليه وسلم - وجده أفضل هدي في حفظ الصحة ، إذ كان صلي الله عليه

¹ سورة المائدة / 6.

² الصنعاني : محمد بن إسماعيل اليمني الصنعاني ، سبيل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ، صححه وعلق عليه : محمد بن عبد العزيز الخولي ، ج 1 ، ص 16 - 18 ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، بدون .

³ سورة الأعراف / 31.

⁴ البخاري ، الجامع الصحيح ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 697 ، رقم الحديث (1874) ، كتاب الصوم ، باب حق الجسد في الصوم.

وسلم - حسن التدبير في مطعمه ، ومشربه ، وملبسه، ومسكنه، ونومه ، ويقظته ، وحركته ،
وسكونه ، وغيرها. (1)

المسألة الثالثة: آداب قضاء الحاجة:

ينبغي أن يبعد عن أعين الناظرين في الصحراء ، وأن يستتر بشئ إن وجده ، وأن لا يكشف
عورته قبل الانتهاء إلي موضع الجلوس ، وأن لا يبول في الماء الراكد ، ولا الظل الذي يستظل به
الناس ، ولا في قارة الطريق ، قال - صلي الله عليه وسلم- : " لا يبولن أحدكم في مستحمة ثم
يتوضأ فيه فإن عامة الوسواس منه" (2) فالوسواس في نظر الناس محقر بل ربما يصفونه بالجنون .
(3) كما نهى - صلي الله عليه وسلم - أن يُبال في الماء الراكد بل والجاري أيضا . عن جابر عن
النبي صلي الله عليه وسلم قال: "نهى رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يُبال في الماء الراكد". (4)
وعنه أيضاً قال: نهى رسول الله -صلي الله عليه وسلم- أن يُبال في الماء الجاري" . (5) والحكمة في
ذلك كله حتى لا يتلوث الماء الذي يشربه ويستعمله المسلمون، فنتشر الأمراض والأوبئة التي تفتك
بالأمة فتشل حركتها وينهار اقتصادها . كما نهى - صلي الله عليه وسلم - عن التغوط في
الطريق. قال -صلي الله عليه وسلم- : "من سل سخيمته علي طريق عامر من طرق المسلمين فعليه
لعنة الله والملائكة والناس أجمعين". (6) والسخيمة ، الغائط وكل ذلك المقصود منه النظافة والطهارة
وصحة البيئة ، وهذا من سماحة الإسلام ورفقه وتطوره. (7)

1 د . محمد مدحت صابر الشافعي ، من هدي الإسلام والتربية الجسمية ، ص 3-7 ، مركز البحوث التربوية والنفسية بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، بدون.
2 النسائي ، المجتبي من السنن ، ج 1 ، ص 34 ، رقم الحديث (36) ، كتاب الطهارة ، باب كراهية البول في المستحم .
3 الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 1 ، ص 161 .
4 مسلم ، صحيح مسلم ، ج 1 ، ص 235 ، رقم الحديث (281) ، كتاب الطهارة ، باب النهي عن البول في الماء الراكد .
5 الطبراني ، المعجم الأوسط ، ج 2 ، ص 208 ، رقم الحديث (1749) ، دار الحرمين ، القاهرة ، 1415 هـ .
6 الحاكم ، المستدرک ، ج 1 ، ص 269 ، رقم الحديث (665) ، كتاب الطهارة . والبيهقي ، السنن الكبرى ، ج 1 ، ص 68 ، رقم الحديث (475) ، كتاب الطهارة ، باب النهي عن التخلي في طريق الناس وظلهم .
7 علي سعيد عبد البديع عبد ربه ، النظافة في الإسلام ، ص 33 ، بحث من بحوث منظمة العواصم والمدن الإسلامية - بعنوان : النظافة في إطار حماية البيئة ، القاهرة ، 2- 26 / 9 / 1989م.

المسألة الرابعة: سنن الفطرة:

أمر النبي -صلي الله عليه وسلم- بالاعتناء بسائر أجزاء البدن كحلق الشعر الزائد في الجسم ، وقص الشارب ، فقال -صلي الله عليه وسلم-: " خمسٌ من الفطرة الاستحداد، والختان ، وقص الشارب ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظافر " (1) والمراد بالفطرة في الحديث: السنة القديمة التي اختارها الأنبياء ، واتفقت عليها الشرائع، وكأنها أمر طبيعي فُطروا عليه ، وقيل المراد بها: الدين. وفي هذا التشريع قمة النظافة ، والاعتناء بالجسم ، وشكله الخارجي . (2) وقد كشف الطب الحديث بعد قرون من بعثة سيدنا محمد -صلي الله عليه وسلم- برسالة الإسلام ، وأمره بتقليم الأظافر ، أهمية ذلك لصحة الفرد منعاً لتخزين الأوساخ ، بما تحمله من بكتريا وفطريات، وفيروسات ، وطفيليات. وفي حلق الشعر فوائد صحية، تمنع نمو البكتريا والروائح الكريهة بسبب إفرازات الغدد العرقية في الإبطين والعانة، ولمنع تراكم آثار الطعام وإفرازات الأنف في الشوارب، كما فيه عناية بالمظهر والزينة. وفي الختان فوائد منها: منع تراكم الإفرازات وما تختزنه من بكتريا قد تسبب التهابات تمتد إلي الجهاز البولي والتناسلي. والختان سنة من سنن الفطرة للرجال، أما ختان الإناث فلم يبينه الإسلام ولم يأمر به، وإنما أجازَه - صلي الله عليه وسلم - لمن شاء، ولكنه منع المغالاة فيه. (3)

المسألة الخامسة: حكمة الاستنجاء:

الاستنجاء يكون بالحجارة أو الماء أو هما معاً، فإن كان بالحجارة فيستحب فيه الوتر، قال صلي الله عليه وسلم: " من استجمر فليؤثر " (4) ويستحب أن يده بعد قضاء حاجته بحائط أو

¹ البخاري ، الجامع الصحيح ، ج 5 ، ص 2209 . رقم الحديث (5550) كتاب اللباس ، باب تقليم الأظافر .

² عفيف طبارة ، روح الدين الإسلامي ، ص 433 ، بدون .

³ د. نبيل عبد السلام هارون ، البرهان العلمي للإسلام ، ص 149 - 151 ، عني بنشره: مركز عباد الرحمن لبيان علوم القرآن ، مبرة الطبيات الخيرية ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، 1415 هـ .

⁴ البخاري ، الجامع الصحيح ، ج 1 ، ص 71، رقم الحديث (159) ، كتاب الوضوء ، باب الاستنثار .

بالأرض لإزالة الرائحة إن بقيت.⁽¹⁾ فإطلاق اسم النجاسة علي كل ملوث بالجراثيم ، أو علي الأقل عرضة لنقل العدوى والمرض إلي الإنسان ، ولذلك شرع الإسلام الاستنجاء والطهارة من الغائط والبول والدماء وغيرها من النجاسات. ومن حكمة الاستنجاء أن الشارع حدده باليد اليسري لإزالة النجاسة دون اليمنى، التي قرر بها التحية وتناول الطعام ، كما أن النبي -صلي الله عليه وسلم- أوصي بغسل اليدين عند الاستيقاظ من النوم قال: " إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده في الإناء حتى يغسلها ثلاث مرات فان أحدكم لا يدري أين باتت يده" ⁽²⁾ ومن وصايا النبي -صلي الله عليه وسلم- في النظافة أن لا يبول أحد من الناس في الماء الدائم ، أو الجاري ، ثم يغتسل فيه ، ففي هذا وقاية له ولغيره من الناس من الأمراض ، خاصة البلهارسيا والدستاريا وغيرها من الأمراض. ⁽³⁾ فإن عناية الإسلام بالنظافة والصحة جزء من عنايته بقوة المسلمين المادية والأدبية ، والإسلام يتطلب أجساما تجري في عروقها دماء العافية ويمتلاً أصحابها فتوة ونشاطا ، وكل ذلك يعود علي الإسلام والمسلمين بالخير والنفعة في دنياهم وآخرتهم. ⁽⁴⁾

المسألة السادسة: حكمة النهي عن الأكل في آنية الذهب والفضة:

قال رسول الله -صلي الله عليه وسلم-: " لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة". ⁽⁵⁾ الحديث دليل علي تحريم الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة وصحافهما سواء كان ذهباً خالصاً أو مخلوطاً بالفضة ، قال النووي: إنه انعقد الإجماع علي تحريم الأكل والشرب فيهما. واختلف في العلة فقيل: للخلاء، وقيل: بل لكونه ذهباً

¹ الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 1 ، ص 163.

² " مسلم " صحيح مسلم ، ج 1 ، ص 233 ، رقم الحديث (278) ، كتاب الطهارة ، باب كراهة لمس المتوضئ وغيره يده المشكوك فيها في إناء.

³ عفيف طيارة ، روح الدين الإسلام ، ص 434.

⁴ علي سعيد عبد البديع عبد ربه ، النظافة في الإسلام ، ص 38.

⁵ البخاري ، الجامع الصحيح ، مصدر سابق ، ج 5 ، ص 2069 ، رقم الحديث (5110) ، كتاب الأطعمة ، باب الأكل في إناء مفضض.

وفضة. ولا يحرم استعمالها في غير الأكل والشرب ، حسب ضوابط الشرع المتعلقة بأحكام الذهب والفضة . وقيل: يلحق بهما نفائس الأحجار الكريمة كالياقوت والجواهر وغيرها، والأظهر عدم إحقاقه وجوازه علي أصل الإباحة وعدم ورود الدليل.⁽¹⁾ فالإسلام بتحريمه في الأكل والشرب في هذه الآنية يحرص كل الحرص علي سلامة وصحة الإنسان ، لأن هذه الآنية قابلة للتحلل عند تعرضها للتسخين وطبخ الأكل فيها ، وهذا مما يضر بصحة المسلم. ومن عناية الإسلام بصحة المسلم وخاصة فيما يتعلق بأكله وشربه ، حرم عليه الميتة والدم ولحم الخنزير قال تعالى: "إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"⁽²⁾ كما حرم عليه الخمر وكل مسكر وكل أنواع المخدرات. وسن له الشارع آداباً للأكل والشرب منها : الشرب جالساً إلا لضرورة ، وأن لا يتنفس في الإناء وأن يأكل ويشرب ما كان بارداً ، وأن لا يتربع في جلسته ، وأن يبدأ أكله وشربه بالتسمية ، ويختمه بالحمد لله رب العالمين.⁽³⁾

المسألة السابعة: الحكمة والعلة في نجاسة سؤر الكلب:

قال رسول الله -صلي الله عليه وسلم-: "طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاًهن بالتراب".⁽⁴⁾ ومعني ولغ فيه الكلب أدخل لسانه في الإناء فحركه. والحديث دليل علي نجاسة فم الكلب من حيث الأمر بالغسل لما ولغ فيه، وأن الغسل سبع مرات أولاًهن بالتراب ، أو أخراهن بالتراب كما جاء في بعض الأحاديث⁽⁵⁾ وقد نهى الإسلام أصلاً عن اقتناء الكلاب لغير حاجة لمظنة النجاسة التي تسببها بالأواني ، وما يحصل للمسلم من ضرر عند استعمالها. كما أن الكلب ينبج الضيف ، ويُروع المارة والسائل وربما أذي بعض الناس خاصة الأطفال ، فيسبب لهم

¹ الأمير الصنعاني ، سيل السلام ، ج 1 ، ص 38 – 39.

² سورة البقرة / 173.

³ عفيف طبارة ، روح الدين الإسلامي ، 433 – 440.

⁴ مسلم ، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 234 ، رقم الحديث (379) ، كتاب الطهارة ، باب حكم ولوغ الكلب.

⁵ الأمير الصنعاني ، سيل السلام ، ج 1 ، ص 28.

داء السعير قال- صلي الله عليه وسلم:- "من اتخذ كلباً إلا كلب صيد أو زرع أو ماشية انتقص من أجره كل يوم قيراط".⁽¹⁾ فنجاسة سؤر الكلب ثابتة بالطب الحديث ، فالدودة الشريطية بالكلاب سبباً لكثير من الأمراض المستعصية ، وهذه الدودة لا توجد تامة النمو إلا في الكلاب والخنزير ، وكذلك في بنات آوى والذئاب ، فالشارع حرم اقتنائها ومخالطتها ، بل همّ بقتلها وإعدامها قال -صلي الله عليه وسلم:- " لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها"⁽²⁾ فالواقع والأحداث أثبتت ضرر ونجاسة لعاب الكلاب وعضها يسبب السعير الذي هو من أخطر الأمراض. فالتمسك بالهدي النبوي في كيفية التعامل مع الكلاب ونحوها ، هو المنقذ الوحيد من الوبائيات.⁽³⁾

¹ مسلم ، صحيح مسلم ، ج 3 ، ص 1203 ، رقم الحديث (1575) ، كتاب المساقاة ، باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه ، وبيان تحريم اقتنائها إلا لصيد.

² الترمذي ، سنن الترمذي ، ج 4 ، ص 78 ، رقم الحديث (1486) ، كتاب الأحكام والفوائد ، باب قتل الكلاب.

³ علي سعيد عبد البديع عبد ربه ، النظافة في الإسلام ، ص 34 - 35.

المسألة الأولى: أسرار السواك:

قال -صلي الله عليه وسلم-: " لو لا أن اشق علي أمتي لأمرتهم بالسواك قبل كل صلاة " (1) ويُستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء ، كلما تغير الفم . وعند غسل الجمعة ، وعند القيام من الليل. فالسواك مطهرة للخم من الروائح الكريهة ، ومرضاة للرب لامتنال أمر نبيه -صلي الله عليه وسلم- . (2) وكان -صلي الله عليه وسلم- يستاك في الليل مراراً ، وقال علي كرم الله وجهه: السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم . وكان أصحاب النبي -صلي الله عليه وسلم-، يروحون والسواك علي آذانهم والأفضل خشب الأراك أو غيره . (3) وقد تبين من بحوث العلماء أن السواك بالأراك يحتوي علي مادة تمنع تسوس الأسنان ، وتقتل الجراثيم ، فتشفي الأفواه من الأمراض، كما أنه يساعد علي تنشيط الدورة الدموية. والسواك بالأراك يغني عن الفرشاة وهو أفضل منها. وفي إحدى المعارك بين المسلمين والكفار في موقعة الفسطاط التي سبقت فتح مصر ، رأي الكفار المسلمين يستاكون فظنوا أنهم يشحذون أسنانهم لأكلهم ففروا هاربين ، وإنما كان ذلك مرضاة لربهم فنصرهم . كما أن السواك يطهر الفم ويجعل المسلم لا ينفر من أخيه المسلم إذا التقيا ، وكذا الزوج مع زوجته والعكس ، وكل ذلك يؤدي إلي الألفة والمحبة بين الناس. (4)

المسألة الثانية: أسرار الوضوء وفوائده:

¹ البخاري ، الجامع الصحيح ، ج 1 ، ص 303 ، رقم الحديث (874) ، كتاب الجمعة ، باب السواك يوم الجمعة.

² السهر وردي ، عوارف المعارف ، ص 173.

³ الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 1 ، ص 163 - 164 .

⁴ علي سعيد عبد البديع عبد ربه ، النظافة في الإسلام ، ص 32.

بعد السواك ومعرفة أحكام الوضوء ، أن يستحضر المتوضئ قلبه في غسل الأعضاء ، وكان بعض الصالحين يقول إذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة ، وإذا دخلت الوسوسة فيه دخلت في الصلاة ، والعارفون بالله كانوا يستديمون الوضوء ، والوضوء سلاح المؤمن، والجوارح إذا كانت في حماية الوضوء الذي هو أثر شرعي يقل طروق الشيطان عليها. وكانوا يتوضؤون كلما استيقظ أحدهم بالليل، وكانوا لا يسرفون في الماء امتثالاً لأمر الله ونبیهم -صلي الله عليه وسلم- لأن ذلك يؤدي إلي الوسواس، وكان إبراهيم الخواص لا يحمل معه إلا ركوة من الماء وربما كان لا يشرب منها إلا القليل: يحفظ الماء للوضوء. (1) وللوضوء فوائد عديدة منها: أنه مكفر للذنوب والمعاصي ، وهذه من أعظم وأجل الفوائد قال - صلي الله عليه وسلم - : " من توضأ فأحسن الوضوء ، خرجت خطاياها من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره". (2) وقال عمر -رضي الله عنه- إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان. وقال مجاهد: من استطاع أن لا يبيت إلا طاهراً ذاكراً مستغفراً فليعمل ، فإن الأرواح تُبعث علي ما قبضت ، عليه. (3) فالوضوء يتكرر في اليوم واللييلة خمس مرات ، وللمتفل أكثر من ذلك ، فهذا التكرار عبارة عن نظافة وطهارة ، فوق طهارة فهذه تقي العيون من إصابتها بالرمد ، لأن العين تُغسل بالماء عدة مرات في اليوم ، وكذلك غسل المنخرين بالماء البارد ، من أهم أسباب الوقاية من الزكام المتكرر، وفوائد غسل الوجه واليدين والأذنين ظاهرة لكثرة ما يصيب الوجه والأجزاء المعرضة عادة من الأمراض الجلدية والالتهابات ، فإن غسلها عدة مرات كل يوم أحسن وقاية لها ، فقد اتضح أخيراً أن كثيراً من الجراثيم تصيب الإنسان بطريق اختراق الجلد أيضاً ، ولا شك أن الغسل المتكرر من الوقاية البسيطة الفعالة ، أما الجراثيم التي تدخل

¹ السهر وردي ، عوارف المعارف ، ص 175 - 176.

² مسلم ، صحيح مسلم ، ج 1 ، ص 216 ، رقم الحديث (245) ، كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة.

³ الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 1 ، ص 167.

الغم فإن غسل اليدين وقاية للجسم منها .⁽¹⁾ فقد أثبت الطب دور اليدين كناقل رئيس للميكروبات ، كما أثبتت البحوث التجريبية دور الوضوء الفعلي في الحد من أعداد البكتيريا علي سطح الجلد ، وأكد الطب الفوائد العظمي للوضوء في تطهير الجسم ، ومنع انتشار المرض.⁽²⁾ فالوضوء عبارة عن مقدمة وتهيئة ونشاط ونظافة لمقابلة واستقبال الرب سبحانه وتعالى بشعيرة الصلاة ، فيقف أمام ربه سبحانه وتعالى من غير عنت ولا إرهاق ، فالوضوء نظافة وعبادة وخير وسيلة لنظافة المرء طول الليل والنهار، بل طول حياته.⁽³⁾

المسألة الثالثة: أسرار وفوائد الغسل والسر في حرمة الجماع في الحيض:

قال تعالى: " ... وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ... " ⁽⁴⁾ وقال -صلي الله عليه وسلم- " إنما الماء من الماء " ⁽⁵⁾ أي أن الاغتسال من الإنزال ، فالماء الأول المعروف ، والثاني المني وفيه من البديع والجناس التام. وحققة الاغتسال إفاضة الماء علي الأعضاء. ⁽⁶⁾ فالغسل من الجنابة واجب . وأن يعم ذلك الغسل جميع البدن للرجل والمرأة ، عقب الاتصال الجنسي أو الاحتلام ، أو الحيض. والطهارة عملية نافعة جداً للرجل والمرأة علي السواء . فقد ثبت طبيياً وعملياً أن الجسم الإنساني يفقد شيئاً من حيويته وقوته بعد الانتهاء من الاتصال الجنسي، وليس من شئ يعيد إليه تلك القوة الحيوية مثل أن يغسل الإنسان جسمه كله ، ويدلك جزءاً جزءاً بالماء النظيف. ⁽⁷⁾ وكذلك أن يكون قد تم عبر عملية جنسية صحيحة ، أي أن تكون المرأة طاهرة، غير حائض ولا نفساء ، وقد سماه الله تعالى أذي ، فمدلول الكلمة ظاهر لكل سامع يفهم معني الأذي، قال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ

¹ عفيف طبارة - روح الدين الإسلامي- ص 431 - 432 .

² د. نبيل عبد السلام هارون - البرهان العلمي للإسلام- ص 147 - 148.

³ إبراهيم الشوري - النظافة والنظام في الإسلام - ص 7 - المكتب العربي السعودي - الرياض - بدون.

⁴ سورة المائدة / 6.

⁵ مسلم - صحيح مسلم - مصدر سابق - ج 1 - ص 269 - رقم الحديث (343) - كتاب الحيض - باب إنما الماء من الماء.

⁶ الأمير الصنعاني - سبل السلام- ج 1 - ص 135 - 136.

⁷ عفيف طبارة ، روح الدين الإسلامي ، ص 432.

هُوَ أَدَى فَاغْتَرَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (1) . وقد كشف الطب الحديث ما في إفرازات الحيض من مواد سامة تضر بالجسم إذا بقيت فيه ، كما أن الأعضاء التناسلية تكون في حالة احتقان ، والأعصاب تكون في حالة اضطراب، بسبب إفرازات الغدد الداخلية ، وهذا سبب لكثير من الأمراض التناسلية. (2) فمن جامع امرأته وهي حائض ، أو في دبرها فهو ملعون، ووقع في الإثم ، وكثير من الجهال واقعون في هذه المعاصي ، وذلك من قلة معرفتهم وسماعهم العلم. (3)

¹ سورة البقرة / 222.

² علي سعيد عبد البديع عبد ربه ، النظافة في الإسلام ، ص 37.

³ الإمام الذهبي ، الكبائر ، ص 70.

المسألة الأولى: الحكم والأسرار في الأذان والإقامة:

قال تعالى: "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (1)

قيل نزلت في المؤذنين. وقال صلي الله عليه وسلم: " لا يسمع صوت المؤذن جنّ ولا أنسّ ولا شيءٌ إلا شهد له يوم القيامة" (2) قال سعيد بن المسيب: من صلي بأرض فلاة صلي عن يمينه ملك وعن شماله ملك ، فإن أذن وأقام صلي وراءه أمثال الجبال من الملائكة. (3) فالأذان والإقامة هما الإعلانان المتشابهان: عن العقيدة والإيمان ينوه المصلي فيهما بعظمة الله الذي ليس لصفته حد محدود ، ولا نعت موجود ، ولا أجل محدود. يبدأ بلفظ "الله" لأنه أفضل ما يُفتتح به الكلام ، ووقعه في القلوب شيء عظيم ، ومعني "أكبر" أكبر من كل شيء لما خلق كل شيء. يكبره المؤذن وهو الغني بذاته عن كل تكبير ويكرر تكبيره ليدل أنه كبير عن أن يقاس بحجم أو أن يحويه مكان ، أو أن يوصف. ثم يشهد لنبيه -صلي الله عليه وسلم- بالرسالة والأداء. ويردها تأكيداً للتصريح بصدق ماجاء به من عند ربه، وينادي إلي الصلاة ، امتثالاً لأمر الله عز وجل ، ويثني النداء ليعلم الثقيلين الدعوة إلي الطاعة ، والوقف الروحانية، ويختتم الأذان بذكر توحيد سبحانه ملخصاً عقيدته بالعبودية له دون غيره. فالأذان فيه تذكير للساهي ، وتنبيه للغافل ، وتعريف لمن جهل الوقت، واشتغل عن الصلاة، وفيه المجاهرة بالدعوة إلي الإسلام والإيمان، والإقامة تكرير وتقرير لوحداية الله. وهي إعلان لإقامة الصلاة المنوه بها ، وتهيئة وتعبئة للدخول إلي ساحة رب

الأرباب ليس دونه حاجب أو أبواب. (4)

¹ سورة فصلت / 33.

² البخاري ، الجامع الصحيح ، ج 1 ، ص 221 ، رقم الحديث (584) ، كتاب الأذان ، باب رفع الصوت بالنداء

³ الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج1 ، ص 181.

⁴ كامل سليمان ، مفتاح الخلاص ، الصلاة في الميزان : من السنة والقران علل تشريعها وخطرها ، ص 209 ، 214 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1405 هـ - 1985 م .

المسألة الثانية: حكمة تشريع الصلاة:

فرضت الصلاة بمكة ليلة المعراج ، وهذا يدل علي علو مكانتها وأهميتها . والصلاة تهذب النفس وتؤدي لاستقامتها قال تعالى: "اِنَّ مَا اُوْحِيَ اِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَاَقِمِ الصَّلَاةَ اِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللّٰهِ اَكْبَرُ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ" (1) فالصلاة عرش الموحدين ، فإنه يجتمع فيها ألوان العبادات قياماً ، وركوعاً ، وسجوداً ، وقراءةً ، وتهليلاً ، وتحميداً ، وتكبيراً ، ودعاءً ، وافتقاراً إلي الله . فالصلاة مرضاة للرب ، وحب الملائكة ، وسنة الأنبياء ، ونور المعرفة ، وأصل الإيمان ، وإجابة الدعاء ، وقبول الأعمال ، وبركة الرزق ، وسلاح من الأعداء ، وكرهية الشيطان ، ونور في القلب ، ومؤنس في القبر. (2) فالصلاة راحة للنفس والقلب والضمير ، تذكر المرء بربه فيستعين به علي الصعوبات ، ودفع المضار ، والمصائب ، ويذكره فيرضي بحكمه ، ويصبر علي الشدائد في سبيله ، ولذلك يقول الله عز وجل: "وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ" (3) والصلاة مكفرة للذنوب والمعاصي ، قال صلي الله عليه وسلم: " أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا لا يبقى من درنه شيء ، قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا . (4) فالصلاة تزكي النفس وتطهرها قال تعالى: "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى" (5) وهي صلة بين العبد وربه، (6) وللصلاة أيضاً حكمٌ وفوائد صحية وطبية منها: تنشيط شرايين المخ ، وتقوية جدران المخ الدماغية ، ومنها تجنب

¹ سورة العنكبوت / 45.

² عبد الرحمن الصفوري الشافعي ، نزهة المجالس ، ص 154.

³ سورة البقرة / 45.

⁴ البخاري ، الجامع الصحيح ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 197 ، رقم الحديث (505) ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل الصلاة لوقتها.

⁵ سورة الاعلي / 14 - 15.

⁶ د. عبد العزيز بن عبد الرحمن المحميد ، العبادة وأثرها في تربية النفس الإنسانية ، ص 165 ، 167 ، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية - الرياض - الطبعة الأولى - 1424 هـ .

جلطة الساق الوريدية وقرح الظهر ، فصلاة الفجر تزيل الكسل ، وتبعث علي النشاط ، ويختم اليوم بصلاة العشاء التي تؤدي إلي سكون النفس والعقل.⁽¹⁾

المسألة الثالثة: آداب الصلاة وصلاة أهل القرب:

الصلاة عماد الدين ، وغرة الطاعات ، ومن أحسن آدابها الخشوع قال تعالى: "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ"⁽²⁾ . قال -صلي الله عليه وسلم-: "ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله"⁽³⁾ . وكان عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهما - إذا قام في الصلاة كأنه عود، من الخشوع وكان يسجد فتنزل العصافير علي ظهره لا تحسبه إلا جذع حائط ، وصلي يوماً في الحجر ، فجاء حجر قذافة فذهب ببعض ثوبه فما انفتل. وكان علي بن الحسين -رضي الله عنهما- إذا توضأ اصفر وجهه فقل له: وما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فقال: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟ ومن آدابها الإخلاص وحضور القلب ، فإن الصلاة تشتمل علي أذكار ومناجاة وأفعال ومع عدم حضور القلب والإخلاص ، لا يحصل المقصود. ومن آدابها التفهم لمعني الكلام من تدبر القرآن فيها والأذكار ، وقبل ذلك كله مراعاة أركان وواجبات وسنن الصلاة بحضور القلب والعلم والمعرفة.⁽⁴⁾ أما صلاة أهل القرب وهم الذين عرفوا شروطها وأركانها وآدابها الظاهرة والباطنة المذكورة آنفاً ، فهؤلاء كانوا يستعدون للصلاة قبل دخول وقتها بالوضوء ، ثم يصلون السنن الراتبة، وفي ذلك سر وحكمة، فإذا قدم السنة انجذب باطنه إلي الصلاة الفرض ، كما أن السنة الراتبة تُذهب الغفلة والكدورة من الباطن ، وهي مقدمة صالحة تنزل بها البركات، والنفحات، ثم يجدد التوبة مع الله

¹ د. نبيل عبد السلام هارون ، البرهان العقلي للإسلام ، ص 152 .

² سورة المؤمنون / 1 - 2 .

³ مسلم ، صحيح مسلم ، ج 1 ، ص 206 رقم الحديث (228) ، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه .

⁴ ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ص 26 - 27 .

تعالى عند الفريضة ، عن كل ذنب عمله، ثم يصلي في جماعة ويتوجه بكلياته إلى الله تعالى. قال بعضهم: ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها غير ما أقول . ويتذكر عظمة الخالق ، ومقام المعبود ، ويقوم بحق العبودية لله تعالى عند كل ركن وسنة وغيرها ، ويدعو أثناء الصلاة بما شاء . وسئل الجنيد ، ما فريضة الصلاة؟ قال: قطع العلائق ، وجمع الهم ، والحضور بين يدي الله. (1)

المسألة الرابعة: حكم وأسرار الصلاة من خلال عرض لأفعالها:

يقف المسلم بين يدي الله عزوجل بجميع جوارحه ، وهذه الخاصية من خصائص الصلاة دون غيرها . فإن الصائم يمكن له أن يتكلم ويلتفت ويضحك ، وكذا الحج، والزكاة وغيرها . وهذا يدل على عظم قدر الصلاة (2) فصارت أعضاؤه كلها ألسنة يدعو بها ظاهراً وباطناً ، أو يشارك الظاهر الباطن بالتضرع والتقلب ، والهيئات ، في تملقات متضرع سائل محتاج بادئاً بقوله " الله أكبر " يجمع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا يغيب عن قلبه حالة التكبير أن يصلي الصلاة بعينها. وحكى عن الجنيد أنه قال: لكل شئ صفوة وصفوة الصلاة التكبير الأولى. وإنما كانت التكبير صفوة لأنها موضع النية وأول الصلاة . ثم يقرأ الفاتحة وما بعدها بحضور قلبٍ وجمع همٍ ومواطأة بين القلب واللسان. والهيبة والخشوع والتعظيم والوقار والمشاهدة والمناجاة(3) وسورة الفاتحة هي السبع المثاني ، وفيها من المعاني العظيمة الجمّة ما فيها ، فيبدأ المسلم المصلي بالاستفتاح باسم الله عزوجل ويوصفه رحمان الكبار ، والمؤمنين ، ورحيم الصغار ، وسائر العالمين ، ثم ينتقل إلى حمده سبحانه وشكره ، وأنه رب الكون ، ويتذكر هذه الربوبية الهائلة ، ثم الإقرار بأن الله مالك ومتصرف وباعث عباده يوم القيامة. (1) ثم يطلب العبد الاستعانة والثبات على الدين، وذلك بعد أن يتوجه إلى

¹ السهر وردي ، عوارف المعارف ، ص 181 – 191 .
² محمد بن نصر المروزي ، تعظيم قدر الصلاة ، ص 97 .
³ السهر وردي ، عوارف المعارف ، ص 181 – 182 .
¹ كامل سليمان ، مفتاح الخلاص ، ص 233 – 234 .

الله بالعبادة والاستعانة. كما اشتملت السورة علي الاقتداء بالمثل الصالحة وصراط الذين أنعمت عليهم ، وأخيراً يطلب المسلم ويدعوا ربه أن لا يجعله من المغضوب عليهم - وهم اليهود- ولا الضالين -وهم النصارى- وإنما يثبته علي الإسلام. ثم يقول المصلي " آمين " أي استجب لي يا رب العالمين. لأن حالة المصلي مع ربه كحالة المريض مع طبيبه، فإن المريض يهرع إلي الطبيب أملاً في الشفاء ، فكذلك المصلي في طلبه الهداية من ربه يطلب الدواء الشافي من أمراض الأعمال والاعتقادات الباطلة. (1) ثم يركع مستويماً في ركوعه. ويقول: "سبحان ربي العظيم" ثلاثاً وهو أدني الكمال، ويكون قلبه في الركوع متصفاً بمعني الركوع من التواضع والإخبات ، ثم يرفع رأسه قائلاً "سمع الله لمن حمده" عالماً بقلبه ما يقول ، ثم يهوي ساجداً ويكون مكبراً مستيقظاً حاضراً خاشعاً عالماً بما يهوي فيه وإليه وله ، ويسرح قلبه في فضاء الكشف والعيان ، ويتفاوت الناس في ذلك. ويكون في سجوده سابقاً في بحر شهوده ويقول: "سبحان ربي الأعلي" ثلاثاً ، ويسجد علي مواضع السجود ، فإن ذلك أبلغ في الخشوع ، ثم يرفع رأسه مكبراً ويجلس علي رجله اليسري وينصب اليميني ، موجهاً بالأصابع إلي القبلة ، ثم يتشهد وهو سر المعراج ، وهو معراج القلوب ومقر الوصول ، بعد قطع مسافات الهيئات ، علي تدرج طبقات السموات. والتحيات سلام علي رب البريات فليذعن لما يقول . ويتأدب مع من يقول ، ويدري كيف يقول ، ويسلم علي النبي -صلي الله عليه وسلم- ويمثله بين عيني قلبه ، لأنه سبب الهداية ، ويسلم علي عباد الله الصالحين ، ويرفع أصبعه في الشهادة ، فهذه هيئة خشوع القلب إليها ، ومطرده الشيطان. ويدعو في آخر صلاته لنفسه وللمؤمنين ثم يسلم. (1)

¹ عفيف طبارة ، روح الدين الإسلامي ، ص 245-246.
¹ السهر وردي ، عوارف المعارف ، ص 185 – 187.

المسألة الأولى: آداب وأسرار صلاة الجمعة:

يوم الجمعة يوم عظيم، عظم الله به الإسلام ، وخصص به المسلمين، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ".⁽¹⁾ فحرم الاشتغال بأمور الدنيا ، وبكل صارف عن السعي إلي الجمعة. وقال صلي الله

¹ سورة الجمعة / 9.

عليه وسلم: " والصلوات الخمس والجمعة إلي الجمعة ، ورمضان إلي رمضان ، مكفرات لما بينهن ، إذا اجتنبت الكبائر".⁽¹⁾ والجمعة من أفضل الأيام ، كما أن رمضان من أفضل الشهور، ومكة من أفضل البلدان . ومن آدابها أن يستعد لها يوم الخميس عزماً عليها ، واستقبالاً لفضلها ، فيشتغل بالدعاء ، والاستغفار والتسبيح بعد العصر ، لأنها ساعة الإجابة ، وأن يغسل ثيابه ، ويتطيب ويبكر إليها ، ولا يتخطي الرقاب ، وأن يطلب الصف الأول ، وأن ينصت إلي الخطبة ، ويعي معانيها ، ومقاصدها ، قيل: لبشر بن الحارث: نراك تبكر وتصلي في آخر الصفوف ، فقال: إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد.⁽²⁾ وأن يقيم في المسجد حتى يصلي العصر ، وإن قام إلي المغرب فهو أفضل ، حتى يراقب الساعة الشريفة ساعة الإجابة. وأن يكثر من الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم- وأن يقرأ سورة الكهف ، وأن يتصدق في يوم الجمعة بما أمكن ، ويستحب أن يصلي صلاة التسبيح يوم الجمعة.⁽³⁾ فصلاة الجمعة خير وبركة للمسلمين ، ففيها ينتظف المسلمون ، ويغتسلون ويتطيبون ، وتكثر جماعتهم ، ويتفقد بعضهم بعضاً ، ويتغذون بالنصائح ، والإرشادات ، من الإمام فتزودهم سائر الأسبوع.⁽⁴⁾

المسألة الثانية: فضل وأسرار صلاة الجماعة:

قال تعالى: "فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ" ⁽¹⁾ وقال -صلي الله عليه وسلم-: "صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين

¹ مسلم ، صحيح مسلم ، ج 1 ، ص 209 ، رقم الحديث (233) ، كتاب الطهارة ، باب الصلوات الخمس والجمعة ورمضان إلي رمضان مكفرات لما.

² الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج1 ، ص 219 - 227.

³ ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ص 30 - 31 .

⁴ إبراهيم الشوري ، النظافة والنظام في الإسلام ، ص 5 48.

¹ سورة النور / 36 - 37 .

درجة".⁽¹⁾ وسئل ابن عباس -رضي الله عنهما- عن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلي في الجماعة ولا يجمع؟ فقال : إن مات هذا فهو في النار. قال حاتم الأصم : ⁽²⁾ فانتني مرة صلاة الجماعة فعزاني أبو إسحاق وحده ، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف نفس، لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا . وكانوا ربما يسيئون الظن من تخلف عن العشاء، أن يكون قد نافق ، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما.⁽³⁾ فصلاة الجماعة سنة مؤكدة. وفي الجماعة تمثيل بالمساواة في الإسلام ، حيث يقوم الفقير بجنب الغني، والفرد العادي ، في جنب الأمير ، وربما يتقدم عليه في الصف ، ففي صلاة الجماعة في مسجد الحي مثلاً ، اتصال بعضهم مع بعض، ومزيد العلم بأحكام الإسلام، ولا سيما الصلاة . عن طريق التساؤل ، والمفاهمة ، والتعاون ، وقضاء حوائج بعضهم بعضاً ، وتفقد المريض ومعاونة المحتاج ، ومن حلت به مصيبة. كما أن في صلاة الجماعة تعويد علي إطاعة القائد ، وكأنهم في صفوف الجهاد ، كما أن في صلاة الجماعة تشجيعاً وترغيباً للكسالى ومن كان مشغولاً بشئ ، أن يتبع الجماعة ويصلي في المسجد ، كما أن في صلاة الجماعة في المسجد معرفة الضيف ، وإكرامه ، وفيها فوائد روحية ، وصحية ، بالمجيء والذهاب والرجوع من المسجد كما هو معروف من فوائد المشي والحركة.⁽¹⁾

¹ مسلم ، صحيح مسلم ، ج 1 ، ص 450 ، رقم الحديث (648) ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة .
² حاتم بن علوان ، أبو عبد الرحمن ، المعروف بالأصم ، زاهد ، اشتهر بالورع والتقشف ، له كلام معروف في الزهد والحكم . من أهل بلخ ، زار بغداد ، واجتمع بالإمام احمد بن حنبل ، وشهد بعض المعارك والفتوح ، توفي سنة 237هـ - 851 م . الزركلي ، الاعلام ، ج 2 ، ص 125

³ ابن حجر الهيتمي ، الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ج 1 - ص 115 .
¹ أبو النصر مبشر الطرازي الحسيني ، الإسلام الدين الفطري الأبدي ، ج 2 ، ص 17 ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1405هـ - 1984م .

المطلب الأول: معني الزكاة ومنزلتها وحكمة مشروعيتها:

الزكاة في اللغة معناها: مال معروف " وركي " ماله تزكية أدي عنه زكاته، وركي نفسه أيضاً مدحها ، وقوله تعالى: " تزكيتهم بها" قالوا : تطهرهم بها. وتزكي تصدق.⁽¹⁾ وشرعاً هي: مال مخصوص يُؤخذ من مال مخصوص ، إذا بلغ قدرًا مخصوصاً ، في زمنٍ مخصوصٍ ، يُصرف في جهاتٍ مخصوصة.⁽²⁾

أما منزلة الزكاة ، فهي الركن الثاني العملي بعد الصلاة، وقرنت به الصلاة في اثنتين وثمانين موضعاً، فلم ترد آية في القرآن تدعو إلي إقامة الصلاة ، إلا مقرونة بالدعوة إلي إيتاء

¹ الرازي ، مختار الصحاح ، ص 273 ، مادة ، (ز ك ا) .
² أبي الحسن الشاذلي ، متن العزية للجماعة الأزهرية ، وبهامشه الشرح المسمي بالكواكب الدرية / لعبد المجيد الشر نوبي الأزهرى ، ص 117 ، الدار السودانية للكتب ، السودان ، الخرطوم ، 1421هـ - 2000 م .

الزكاة. فالزكاة والصلاة دعامتان متينتان بُني عليهما الإسلام، ومن ذلك قوله تعالى: "فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة".⁽¹⁾ ورغب فيها الله عز وجل حيث قال: "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ".⁽²⁾ من البخل والدناءة ، والطمع ، والقسوة ، ورغب فيها -صلي الله عليه وسلم- فقال: " ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه : ما نقص مال من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزاً ، ولا فتح عبد باب مسألة ، إلا فتح الله عليه باب فقر".⁽³⁾ وحذر الله عز وجل الذين يمتنعون عن أداء الزكاة بقوله: "وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" ⁽⁴⁾ فالزكاة أحد أعمدة الدين وأساسه.⁽⁵⁾

أما الحكمة من مشروعيتها:

- أولاً: ابتلاء وامتحان العباد في أحب الأشياء إليهم وهو المال قال تعالى: "الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا"⁽¹⁾ فامتحنوا في المال هل سيؤدون حق الله فيه، فيقدمون طاعة الله ورسوله ومحبتها علي المال، أم يقدمون ويحبون المال علي طاعة الله ورسوله.
- ثانياً: التطهير من صفة البخل فإنه من المهلكات، قال تعالى: "وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَى

¹ سورة الحج / 78.

² سورة التوبة / 103.

³ الإمام احمد بن حنبل ، المسند ، ج 4 ، ص 231 ، رقم الحديث (18060) ، حديث أبي كبشة الأنصاري رضي الله عنه.

⁴ سورة آل عمران / 180 .

⁵ عفيف طيارة ، روح الدين الإسلامي ، ص 342 – 343.

¹ سورة الكهف / 46.

أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ". (1) وقال -صلي

الله عليه وسلم-: " ثلاثٌ مهلكات: شح مطاع ، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه". (2)

فالزكاة تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك، وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى.

• **ثالثاً: شكر النعمة** - فإن الله عز وجل علي عبده نعمة في نفسه ، وفي ماله ، فالعبادات

البدنية شكر لنعمة البدن ، والمالية شكر لنعمة المال. (3)

• **رابعاً: تصون المال وتحصنه** من تطلع الأعين وامتداد أيدي الآثمين والمجرمين.

• **خامساً: عون الفقراء والمحتاجين**، تأخذ بأيديهم لاستئناف العمل والنشاط ، إن كانوا قادرين

وتساعدهم علي ظروف العيش إن كانوا عاجزين. (4)

• **سادساً: الإلفة والمودة وحفظ الدين بين المسلمين** ، فالغني يساعد أخاه المسلم الفقير ، ولا

يتركه لغير المسلمين ، حتى يبذل دينه ، وخاصّة في زماننا هذا ، وفي ظل عمل المنظمات

الأجنبية ذات الغرض الخفي وهو تنصير أبناء المسلمين بالغذاء. (1)

¹ سورة الحشر/ 9.

² الطبراني ، المعجم الأوسط ، ج 5 ، ص 328 ، رقم الحديث (5452) ، باب من اسمه محمد.

³ الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين ، ج 1 ، ص 262 - 263.

⁴ د. وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، ج 2 ، ص 732 ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1404 هـ - 1984 م.

¹ أبو النصر مبشر الطرازي ، الإسلام الدين الفطري الابدي ، ج 2 ، ص 24.

المطلب الثاني: أسرار الزكاة من خلال عرض لشروطها وأنواعها ومستحقيها:

من شروط وجوب الزكاة:

- أولاً: الإسلام فلا تجب علي كافر بالإجماع ولا تصح ولا تُقبل منه.
- ثانياً: المِلْك التام للمال ، والتصرف فيه ، فتجب الزكاة في الماشية المرهونة.
- ثالثاً: الحول قال -صلي الله عليه وسلم-: " لا زكاة في مالٍ حتى يحول عليه الحول".⁽¹⁾
- رابعاً: كون المال مما تجب فيه الزكاة ، كالأنعام ، والنقدين ، والمعدن ، والركاز ، وعروض التجارة ، والزرور ، والثمار.
- خامساً: كمال النصاب في كل شئ مما ذُكر آنفاً كما هو مبين في كتب الفقه.⁽¹⁾
- سادساً: الحرية فلا تجب الزكاة اتفاقاً علي العبد ، لأنه لا يملك ، والسيد مالك لما في يده ، والمُكاتب ونحوه وإن ملك لأن ملكه ليس تاماً.
- سابعاً: البلوغ والعقل ، وهما شرطان عند الحنفية ، فلا زكاة علي صبي ، أو مجنون ، في مالهما لأنهما غير مخاطبين بالعبادة كالصلاة والصوم ، وعند الجمهور تجب الزكاة في

¹ ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ج 1 ، ص 571 ، رقم الحديث (1792) ، كتاب الصيام ، باب من استفاد مالا .
¹ الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 1 ، ص 258 .

مالهما ويخرجها عنهما الولي ، فالصبي والمجنون من أهل المواساة ، ولهذا تجب عليهما

نفقة الأقارب لتحقيق مصلحة الفقراء ، وتدريب النفس علي الجود والإنفاق.⁽¹⁾

فكون المال يكون مملوكاً لصاحبه فهذا قمة العدل والإنصاف ومراعاة حال النفس

البشرية ، فقد يكون الشخص تحته مال وفير ، ولكنه ليس بصاحبه ، أو لاحرية للتصرف

فيه.أما السر في كون المال يبلغ النصاب فصاحب المال القليل ، لو أخذت الزكاة منه ، لأدي

لحرمانه من جل ماله ، فيشعر بالحوجة والحرج ، والتضجر ، ولكن الشرع رأى مراعاة ذلك فلم

يوجب الزكاة في المال الذي لم يبلغ النصاب . وحتى النصاب حدده الشرع بالحد المعقول ، الذي لا

ترفضه النفوس البشرية ذات العقل والطابع البشري السليم. أما السر في كون المال يمضي عليه

حول كامل ، وهو سنة قمرية ، وهو مملوك لصاحبه ، لأن المال عرض زائل ، فقد تصيبه مصيبة

فجأة تؤدي لإتلافه ، وهلاكه ، فتحصل الحسرة والندم علي صاحبه ، لذا رأي الإسلام الحول في

إيجاب الزكاة علي المال البالغ النصاب حتى ينتفع صاحبه بما يملك ، ثم يؤخذ منه الفائض زكاة

واجبة. ومن عدالة الإسلام وسماحته أن جعل الزكاة في المال الزائد البالغ النصاب بعد قضاء ديون

المزكي وضرورياته الحياتية ، حتى لا يصير هو فقيراً يؤخذ المال منه ، فالإسلام يحارب الفقر ،

فلا يمكن أن يساعد علي الفقر ، وهذا قمة العدل والإنصاف والتخطيط السليم لشعيرة الزكاة.⁽¹⁾

أما الأنواع التي تجب فيها الزكاة فخمسة :

النقدان ولو غير مضروبين ، وما يحل محلها من الأوراق النقدية ، والمعدن والركاز ،

وعروض التجارة ، والزرورع ، والثمار ، والأنعام الأهلية والسائمة عند الجمهور ، وكذا المعلوفة عند

¹ د. وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، ج 2 ، ص 738 – 739 .
¹ عفيف طيارة ، روح الدين الإسلامي ، ص 346-347 .

المالكية.⁽¹⁾ فالناظر لهذه الأنواع الخمسة يجدها تشمل جميع أنواع الأموال ، وتعم جميع الأصناف ، فلا أحد يكاد يعمل عملاً إلا ويندرج تحت هذه الخمسة أنواع . فلذا تجب الزكاة علي كل عامل وكادح ، إذا بلغ ماله النصاب ، ومالم يذكر تحت هذه الأنواع الخمسة من المعادن النفيسة ، فقد أدرجه بعض العلماء مع المعادن والكنوز.⁽²⁾ وهذه الأنواع الخمسة بتفاصيلها وفروعها المعروفة في كتب الفقه ، لها آداب لمن أراد أن يخرجها . منها:

أولاً: الإسرار فإن صدقة السر تطفئ غضب الرب ، والذي يتصدق بيمينه بحيث لا تعلم شماله هو أحد السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، ولأن السر يُخلص الإنسان من الرياء . والريا مضيق للأجر والثواب.

ثانياً: أن تحذر من المن . وحقيقته أن تري نفسك محسناً إلي الفقير متفضلاً عليه ، وعلامته أن تتوقع منه شكراً ، أو تستنكر تقصيره في حقك ، وعلاجه أن تعرف أنه المحسن إليك بقبول حق الله منك . فإن من أسرار الزكاة تطهير القلب وتركيبته عن رذيلة البخل وخبث الشح.

ثالثاً: أن تخرجها من أطيب أموالك وأجودها قال الله تعالى: "وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ" ⁽¹⁾. وهذا ذم . قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ" ⁽²⁾. وهذا حث وندب علي إنفاق الأجدود والأنفس ، والمقصود من هذا إظهار درجة الحب ، والإنسان يُؤثر الأحب إليه الأنفس دون الأخصس.

¹ د. وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، ج 2 ، ص 740.

² عفيف طبارة ، روح الدين الإسلامي ، ص 345.

¹ سورة النحل / 62.

² سورة البقرة / 267.

رابعاً: أن تُعطي بوجهٍ طلقٍ مستبشر وأنت به فرحان غير مستكره.

خامساً: أن تتخير لصدقتك محلاً تزكو به الصدقة ، وهو المتقي العالم ، الذي يستعين بها علي

طاعة الله عزوجل وتقواه ، أو الصالح المعيل ذو الرحم.⁽¹⁾

وتُعطي هذه الزكاة بأدابها وأسرارها التي ذكرناها لمستحقيها الذين ذكرهم الله عزوجل في

قوله: " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي

سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"⁽²⁾. فلم يترك الإسلام أمر الزكاة إلي تقدير

ولي الأمر ، بل بين المصارف وعينها بالنص القرآني الذي لا يقبل التأويل ، حتى لا تتدخل النفوس

التي بطبعها قد تميل إلي ذوي القربي ، فتعطيه وقد تمنع آخر ، وهو في أشد الحاجة إليها. وهذه

الأصناف الثمانية تشمل جميع شرائح المجتمع خاصة الفقراء الذين بدأ الله بهم ، لأنهم هم السواد

الأعظم ، والغالبية العظمي في الشعوب⁽¹⁾. وهؤلاء-الأصناف الثمانية- استتبط لهم العلماء آداباً

ينبغي أن يتحلوا بها منها:

أولاً: أن يفهم أن الله تعالي إنما أوجب صرف الزكاة إليه ليكفيه ما أهمه ويجعل همومه همماً واحداً

في طلب رضي الله عز وجل.

ثانياً: أن يشكر المُعطي ويدعو له ويُثني عليه قال -صلي الله عليه وسلم-: " من لا يشكر الناس لا

يشكر الله " ⁽²⁾ ومن تمام الشكر أن لا يحتقر العطاء وإن قل ولا يذمه.

ثالثاً: أن ينظر فيما يُعطاه ، فإن لم يكن من جِل لم يأخذه أصلاً ، إلا أن يُضيق عليه الأمر فيأخذ

قدر حاجته.

¹ الإمام الغزالي ، كتاب الأربعين في أصول الدين ، ص 29 - 30.

² سورة التوبة / 60

¹ عفيف طيارة ، روح الدين الإسلامي ، ص 351.

² الترمذي ، سنن الترمذي ، ج 4 ، ص 239 ، رِقن الحديث (1955) ، كتاب البر والصلة ، باب الشكر لمن أحسن إليك .

رابعاً: أن يتوخي مواقع الشُّبه في قدر ما يأخذ ، فيأخذ القدر المباح ، ولا يأخذ أكثر من حاجته .
فإن كان غارماً لم يزد علي مقدار الدَّين ، وكل ذلك موكول إلي اجتهاده. والورع ترك ما
يريب. (1)

¹ ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ص 36 – 37 .

المطلب الثالث: دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية:

المشكلات الاقتصادية في عصرنا تحتل مكان الصدارة بالنسبة لغيرها من المشكلات ، فالمشاكل الاقتصادية تعتبر من أكبر العوامل في قيام الحكومات أو سقوطها ، ومن أكبر المهددات الأمنية في العالم . والإسلام ليس بمعزلٍ عن هذه المشكلات بل له موقف إيجابي منها ، وللزكاة دور مؤكد في حلها . ومن أبرز هذه المشكلات الاقتصادية علي نطاق العالم خمس: مشكلة البطالة - مشكلة الفقر - ومشكلة الكوارث والديون - ومشكلة التفاوت الاقتصادي الفاحش - وأخيراً مشكلة النقود وحبسها.

أولاً: مشكلة البطالة: البطالة مشكلة اقتصادية واجتماعية وإنسانية ، ذات خطر علي الفرد ويقوده إلي الانحراف ، وخطر علي المجتمع بتفشي داء الحسد ، الذي يقود إلي العدوان والسطو والسرقة والنهب والقتل ، ومن ثم كره الإسلام البطالة وحث علي العمل قال تعالي: " فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (1)

وقال -صلي الله عليه وسلم-: " ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داؤود كان يأكل من عمل يده" . (2) وقال -صلي الله عليه وسلم-: " إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة قالوا: فما يكفرها يا رسول الله قال: الهموم في طلب المعيشة" . (3) فدور الزكاة في محاربة العطالة خاصة العطالة الإجبارية بسبب الإعاقة وغيرها ، فالزكاة تدعم هؤلاء ، وكذلك الصناديق الخيرية ، وأهل البر والإحسان ، ولو عن طريق المضاربة ، أو الشركة ونحوها.

¹ سورة الجمعة / 10 .

² البخاري ، الجامع الصحيح ، ج 2 ، ص 730 ، رقم الحديث (1966) كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمل يده.

³ الطبراني ، المعجم الأوسط ، ج 1 ، ص 38 ، رقم الحديث (102) باب أول الكتاب.

ثانياً: مشكلة الفقر: وهو من أخطر المشاكل والمهددات الأمنية للدول ، واستعاذ رسول الله صلي الله عليه وسلم:منه وقال " اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر".⁽¹⁾ فدور الزكاة في معالجة الفقر ظاهر للعام والخاص من المسلمين ، وكذلك نفقات المحسنين والصدقات المستحبة ، والنذور والكفارات ، وكل ذلك يؤدي لتقليل ظاهرة الفقر ، وأثرها السيئ على الأمة .

ثالثاً: مشكلة الكوارث والديون: وهي من المشاكل التي تصيب الناس دون أن يعدوا لها عدتها ، أو يحسبوا لها حسابها، فالزكاة كانت في الصدر الأول تعين أصحاب الكوارث والديون ، فكثيراً ما كان -صلي الله عليه وسلم- يقول لصحابته تصدقوا علي أخيكم ، وفي سهم الغارمين كفاية ، لو تم توظيفه علي نحو صحيح.⁽¹⁾

رابعاً: مشكلة التفاوت الاقتصادي الفاحش: حاربه الإسلام وسعي في تقليل خطورته بتشريع الزكاة ، وكونها كل عام ، وطبق ذلك رسول الله -صلي الله عليه وسلم- عملياً حينما وزع أموال بني النضر التي أخذت صلحاً علي المهاجرين دون الأنصار، لأنهم تركوا أموالهم وديارهم بمكة ، وذلك تحقيقاً لمبدأ العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادي قال تعالي: "مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ".⁽²⁾

خامساً: مشكلة كنز النقود وحبسها: لا توجد آية في كتاب الله تنذر كائز المال بعذاب أليم كهذه الآية: "يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنِ

¹ " ابن عبد البر " أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ج 16 - ص 120 ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - بدون.

¹ د . يوسف القرضاوي ، دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية ، ص 7 - 41 . دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1422هـ . 2001م .

² سورة الحشر / 7 .

سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ
عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَأُخْرُوعُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْنِزُونَ" . (1) لذا شرع الله الزكاة كل عام وحث علي الصدقة وتممية مال اليتيم ، واستثماره ، فمن
أدي زكاته فليس بكانز ، كما قال ابن عمر -رضي الله عنهما- . (2)

¹ سورة التوبة / 34 - 35 .

² عيد الله ناصح علوان - التكافل الاجتماعي في الإسلام ، ص 44 - 51 ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة - الطبعة السابعة ، 1428هـ - 2007م .

المطلب الرابع: حكمة زكاة الفطر:

زكاة الفطر: فرضت في السنة الثانية من الهجرة ، وهي واجبه بالسنة. واختلف في وجه إضافتها للفطر فقيل: من الفطرة وهي الخلقة لتعلقها بالأبدان . وقيل: لوجودها بالفطر. وذكرت زكاة الفطر بعد زكاة الأموال. ولذا سميت بزكاة الأبدان. (1) وفرضها رسول الله -صلي الله عليه وسلم- كما جاء في حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: "فرض رسول الله -صلي الله عليه وسلم- زكاة الفطر من رمضان صاعاً من تمرٍ ، أو صاعاً من شعيرٍ ، علي العبد ، والحر ، والذكر ، والأنثى ، والصغير ، والكبير من المسلمين". (1) والصاع (2) المقصود بصاع النبي -صلي الله عليه وسلم- وتؤدي من جل عيش أهل ذلك البلد. (3) وتجب في آخر رمضان ، واختلفوا في تحديد الوقت فقال مالك : تجب بطول الفجر من يوم الفطر وقول ابي حنيفة مثله ، وعند الشافعي بغروب الشمس من آخر يوم من رمضان ومصرفها فقراء المسلمين. (4)

فكونها تجب علي كل فرد الصغير ، والكبير ، والذكر ، والأنثى ، والحر ، والعبد ، حتى المولود قبل الفجر ففي هذا غاية وهدف ، وهو تكثير وزيادة الزكاة وعدد الذين يخرجونها وتقليل عدد الذين يأخذونها ، وكونها تفرق في آخر رمضان وبحلول عيد الفطر المبارك ، حتى تعم الفرحة كل مسلم ، لأن يوم العيد يوم فرح للمسلمين. فينبغي أن لا يكون فيه أحد من الناس مهموماً ، أو محزوناً ، بسبب الفقر والحرمان. ومن **حكمتها:** أنها شرعت لتكون طهرة للصائم ، مما عسي أن

¹ الشيخ احمد بن محمد الصاوي المالكي ، بلغة السالك لأقرب المسالك إلي مذهب الإمام مالك ، وبهامشه : الشرح الصغير ، للقطب الشهير ، احمد بن محمد الدردير ، تقديم : احمد محمد عثمان صابر ودكتور حسن بشير صديق ، ج 1 - ص 425 ، الدار السودانية للكتب ، السودان ، الخرطوم ، 1428هـ - 1998م .

¹ البخاري ، الجامع الصحيح ، ج 2 ، ص 547 ، رقم الحديث (1432) ، كتاب أبواب صدقة الفطر ، باب فرض صدقة الفطر..
² عبارة عن أربعة أمداد والمد حفنة بكفي الرجل المعتدل ، سيد سابق ، فقه السنة ، ج 1 ، ص 364 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1407هـ - 1987م .

³ صالح عبد السميع الابي الأزهري ، الثمر الداني في تقريب المعاني ، شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، ص 218 ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1426هـ - 2006م.

⁴ الإمام القاضي ابي الوليد محمد بن احمد محمد بن احمد بن رشد القرطبي الأندلسي ، الشهير بابن رشد الحفيد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي ، ج 2 ، ص 44 ، دار الحديث ، القاهرة ، 1425هـ - 2004م.

يكون وقع فيه من اللغو والرفث ، ولتكون عوناً للفقراء والمعوزين . وهذا تعليم وتربية للصائمين الذين كانوا في طاعة وعبادة لله ، حتى لا يظنوا بأنفسهم الكمال والعصمة ، فيخرجوا زكاة الفطر وفي قرارة أنفسهم أنهم مقصرون ، في طاعة الله وعبادته ، لذا أخرجوا هذه الزكاة .

والملاحظ لهذه الزكاة أن نصابها قليل جداً ، وهو مقدار "صاع" من غالب قوت البلد ، وفي هذا حكمة وتربية لجميع أفراد الأمة ، علي البذل والعطاء ، والكرم ومحاربة هوى النفس من البخل ، والشح ، فحتي الفقير يخرج زكاة الفطر لو اجتمعت عنده عدة زكوات. فأراد المشرع أن يكون أفراد هذه الأمة كلهم يشاركون في العطاء والبذل والتعاون ، حتى تدوم المحبة بينهم ، لذا قلل المشرع نصابها ، وربطها الشارع بالعيد حتى يفرح الفقراء ، وينوهم قال -صلي الله عليه وسلم- "أغنوهم في هذا اليوم"⁽¹⁾

ومصرف زكاة الفطر الفقراء لأنهم هم السواد الأعظم من الأمة والغالبية العظمي من الشعوب ، وإن كان باقي ثمانية الأصناف تصح لهم زكاة الفطر ، ولكن هؤلاء أولي ، لذا قدمهم الشارع علي غيرهم.⁽²⁾

¹ الدار قطني ، علي بن عمر ، سنن الدار قطني ، ج 2 ، ص 152 رقم الحديث (67) ، كتاب زكاة الفطر ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون.
² عفيف طبارة ، روح الدين الإسلامي ، ص 361 - 369.

المطلب الأول: تعريف الصوم وفضله وخصوصيته:

الصوم في اللغة: الإمساك عن الطعام ، وقال الخليل: الصوم القيام بلا عمل. والصوم أيضاً ركود. وقوله تعالى: " فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا " (1) قال : ابن عباس -رضي الله عنهما- : صمتاً. قال أبو عبيدة: كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو "صائم" (2)

أما الصوم شرعاً: الإمساك عن شهوتي البطن والفرج ، يوماً كاملاً بنية التقرب إلى الله تعالى ، في غير زمن الحيض ، والنفاس ، وأيام الأعياد. (1)

أما فضله فقد وردت فيه أحاديث كثيرة نذكر بعضاً منها:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلي الله عليه وسلم- قال: " كل عمل ابن له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل : إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه. ، ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك". (2) فالصوم يضاعفه الله أضعافاً كثيرة بغير حصر عدد ، فإن الصيام من الصبر وقد قال الله تعالى: "قُلْ يَعْبادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ" (3) قال - صلي الله عليه وسلم-: " الصوم نصف الصبر" (4) وقال -صلي الله عليه وسلم-: " إن للجنة باباً يقال له: الريان يقال يوم القيامة: أين الصائمون؟ فإذا دخل آخراًم أغلق ذلك الباب " (5) وقال صلي

¹ سورة مريم / 26.

² الرازي ، مختار الصحاح ، ص 374 ، مادة ص ، و ، م .

¹ أبي الحسن الشاذلي ، متن العزية للجماعة الأزهرية- ص 130.

² مسلم ، صحيح مسلم ، ج 5 ، ص 808 رقم الحديث (1151) - كتاب الصيام - باب فضل الصيام.

³ سورة الزمر/ 10.

⁴ الإمام احمد بن حنبل ، المسند ، ج 5 ، ص 665 ، رقم الحديث (23148) ، مسند أحاديث رجال من أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم.

⁵ مسلم ، صحيح مسلم ، ج 2 ، ص 808 ، رقم الحديث (1152) ، كتاب الصيام ، باب فضل الصيام .

الله عليه وسلم: " الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب منعته الطعام

والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان "(1)

وقال -صلي الله عليه وسلم-: " من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه " (2)

وتكفير الصيام للذنوب مشروط بالتحفظ مما ينبغي التحفظ منه من اللغو والرفث وغيرها. (3)

أما خصوصيته: فنسبته إلى الله تعالى من بين سائر الأركان ، إذ قال تعالى فيما حكاه عنه نبيه -

صلي الله عليه وسلم- إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به. (1) وإن كانت العبادات كلها له ، كما شرف

البيت بالنسبة إلى نفسه والأرض كلها له لمعنيين :

أحدهما: أن الصوم كف وترك ، وهو في نفسه سر ، ليس فيه عمل يُشاهد وجميع أعمال الطاعات

بمشهد من الخلق ومرآي. والصوم لا يراه إلا الله عز وجل فإنه عمل في الباطن بالصبر المجرد.

والثاني: أنه قهر لعدو الله عز وجل. فإن وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات، وإنما تُقوى الشهوات

بالأكل والشرب، والجوع يقهر الشيطان بتجفيف مجاريه. فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة

وصار جنة. (2)

المطلب الثاني: التهيئة والبشارة برمضان:

¹ الإمام احمد بن حنبل ، المسند ، ج 2 ، ص 174 ، رقم الحديث (6626) مسند عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .
² البخاري ، الجامع الصحيح ، ج 1 ، ص 22 ، رقم الحديث (83) ، كتاب الإيمان ، باب صوم رمضان إيماناً واحتساباً .
³ ابن رجب الحنبلي ، كتاب لطائف المعارف ، ج 1 ، ص 168 - 180 .

¹ سبق تخريجه

² الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 1 ، ص 284 - 285 .

كان -صلي الله عليه وسلم- يدعو ببلوغ رمضان ، فكان إذا دخل رجب يقول: " اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان".⁽¹⁾ وكان الصحابة يدعون الله عز وجل ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعونه ستة أشهر أخرى أن يتقبل منهم ، كما جاء في بعض الآثار. ومن التهيئة والبشارة برمضان كان صلي الله عليه وسلم يصوم أكثر شعبان ، وحث أمته علي ذلك ، حتى يكون لهم بمثابة التمرين والتدريب لرمضان ، ولما سئل عن سبب إكثاره من صيام شعبان قال: ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلي رب العالمين عز وجل ، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم"⁽¹⁾ كما كان -صلي الله عليه وسلم- يبشر صحابته ويقول: " قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، كتب الله عليكم صيامه ، فيه تُفتح أبواب الجنان ، وتُغلق فيه أبواب الجحيم ، وتُغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم"⁽²⁾ قال بعض العلماء: هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضاً بشهر رمضان ، كيف لا يبشر المؤمن بفتح أبواب الجنان ، كيف لا يبشر المذنب بغلاق أبواب النيران، كيف لا يبشر العاقل بوقت يُغل فيه الشياطين ، ويبشر بفضل ليلة القدر وثوابها العظيم. وما ورد عن نهية -صلي الله عليه وسلم-، عن الصوم قبل رمضان بيوم أو بيومين في حديث " لا تقدموا رمضان بيوم أو يومين إلا من كان يصوم صوماً فليصمه"⁽³⁾ فالعلماء لهم فيه ثلاثة معانٍ:

¹ الطبراني ، المعجم الأوسط ، ج 4 ، ص 186 ، رقم الحديث (3939) باب الزاي من اسمه علي
¹ النسائي ، المجتبى من السنن ، ج 4 ، ص 201 ، رقم الحديث (2357) ، كتاب الصيام ، باب صوم النبي - صلي الله عليه وسلم - بأبي هو وأمي وذكر اختلاف الناقلين للخبر.
² الإمام احمد بن حنبل ، المسند ، ج 2 ، ص 385 ، رقم الحديث (8979) ، مسند أبي هريرة رضي الله عنه.
³ مسلم ، صحيح مسلم ، ج 2 - ص 762 ، رقم الحديث (1082) ، كتاب الصيام ، باب لا تقدموا صيام رمضان بيوم أو يومين.

أحدها: أنه علي وجه الاحتياط لرمضان ، فُئني عن التقدم قبله لئلا يزداد في صيام رمضان ما ليس منه ، كما نهي عن صيام يوم العيد لهذا المعني ، حذراً مما وقع فيه أهل الكتاب في صيامهم فزادوا فيه بآرائهم وأهوائهم.

والثاني: الفصل بين صيام الفرض والنفل ، فإن جنس الفصل بين الفرائض والنوافل مشروع ، ولهذا حُرِّم صيام يوم العيد ، كما شُرِّع الفصل بين الفجر وسنته ، وصلاتها في البيت والاضطجاع بعدها ، كما كان يفعل صلي الله عليه وسلم .

والثالث: أنه أمر بذلك للتقوي علي صيام رمضان ، فإن مواصلة الصيام قد تضعف عن صيام الفرض وذلك لمن يضعفه الصيام. بخلاف من صار الصيام له عادة بالتطوع فيجوز له مواصلة الصيام ، وهو ظاهر الحديث. ⁽¹⁾ فإن وصل شعبان برمضان فجاز ، لحديث أم سلمة -رضي الله عنها-: " لم يكن يصوم من السنة شهراً تاماً إلا شعبان يصل به رمضان. ⁽²⁾ كما فصل صيام شعبان عن رمضان مراراً. وكل ذلك تشريع للأمة. ⁽³⁾

¹ ابن رجب الحنبلي ، كتاب لطائف المعارف ، ص 136 – 160.
² أبو داؤود ، سنن أبي داؤود ، ج 1 ، ص 731 ، رقم الحديث (2636) ، كتاب الصيام ، باب فيمن يصل شعبان برمضان.
³ الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 1 – ص 291.

المطلب الثالث: الحكم والأسرار من الصيام:

سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم شهر رمضان شهر الصبر، قال -صلي الله عليه وسلم-: " الصوم نصف الصبر"⁽¹⁾ والصبر ثلاثة أنواع: - صبر علي طاعة الله ، وصبر عن محارم الله ، وصبر علي أقدار الله المؤلمة. وتجتمع الثلاثة في الصوم ، فإن فيه صبراً علي طاعة الله ، وصبراً عما حرم الله علي الصائم من الشهوات ، حتى الحلال منها، وصبراً علي ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش ، وضعف النفس والبدن. ومن الحكم كذلك: مضاعفة الأجر للأعمال وكثرة الحسنات، وهذا مما ينفع المسلم دنيا وأخرى، قال -صلي الله عليه وسلم- : " من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه" .⁽¹⁾ فتضاعف الأعمال فيه لا حدّاً ولا عدد له.⁽²⁾

ومن حكم الصوم: تحصيل التقوى لتركية النفس قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " ⁽³⁾ ومن الحكم أيضاً سد مسالك الشيطان لكسر الشهوات ، لأن الجوع والعطش يكسران شهوة المعاصي بسد مسالك الشيطان. ومن الحكم كذلك: تكثير الصدقات ، لأن الصائم إذا جاع تذكر ما عنده من الجوع فيحثه ذلك علي إطعام الجائع. كما أوجب الشارع صدقة الفطر تكثيراً للصدقات في شهر المواساة. ومن الحكم والأسرار: تثبيت مظاهر التيسير لشكر الرعوف الرحيم ، فمن ذلك الشيخ الكبير ، والمرأة العجوز ، يسقط عنهما الصيام ويطعمان، وكذا المريض والحامل والمرضع والمسافر ، وكل من له عذر وهذا يمثل قمة التيسير ورفع الحرج

¹ سبق تخريجه .

¹ ابن خزيمة ، صحيح ابن خزيمة ، ج 3 ، ص 191 ، رقم الحديث (1887) كتاب الصيام ، باب فضائل شهر رمضان إن صح الخبر.

² ابن رجب الحنبلي ، كتاب لطائف المعارف ، ص 168 - 169.

³ سورة البقرة / 183 .

والمشقة وسماحة الدين.⁽¹⁾ ومن حكم وأسرار الصوم: تقوية الإرادة ، والعزيمة ، وصفاء الذهن ، واتقاد الفكر ، وإلهام الآراء الثاقبة ، إذا تخطي الصائم مرحلة الاسترخاء. قال لقمان لابنه: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة.

كما أن الصوم يعلم النظام ، والانضباط ، لأنه يجبر الصائم أن يتناول الطعام والشراب في وقت محدد ، وموعد معين. والصوم يشعر بوحدة المسلمين الحسية في المشارق والمغرب ، فهم جميعاً يصومون ويفطرون في وقت واحد ، لأن ربهم واحد وعبادتهم موحدة . كما ينمي الصوم في الإنسان عاطفة الرحمة ، والأخوة ، والشعور برابطة التعاون ، التي تربط بين المسلمين فيما بينهم ، فتقوي أواصر الروابط الاجتماعية بين الناس . كما أن الصوم يجدد حياة الإنسان بتجدد الخلايا ، وطرح ما شاخ منها وإراحة المعدة ، وجهاز الهضم ، وحمية الجسد والتخلص من الفضلات المترسبة ، والأطعمة غير المهضومة ، والعفونات أو الرطوبات التي تتركها الأطعمة والأشربة ، وكل ذلك من أسرار الصيام . كما أن الصوم جهاد للنفس مما علق بها من من شوائب الدنيا ، وآثامها وكسر حدة الشهوة والأهواء ، وتهذيبها في طعامها وشرابها، بدليل قول النبي -صلي الله عليه وسلم-: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" ⁽¹⁾ أي يضعف شهوة النكاح. ⁽²⁾ ومن أسرار وحكم الصوم ، أن الصوم يقي الشخص في مفردته والمجتمع في مجموعه ، من الحيوانية وشريعة الغاب ، بتهيئة الفرد الصالح العامل ، علي خيره فيكون إنساناً مع إنسان لا حيواناً ضارباً مع إنسان ، والصوم يعلم

¹ د . عبد الله الزبير عبد الرحمن ، سؤالات الصائمين ، من منشورات مجمع الفقه الإسلامي ، السودان (1) ص 8 - 17 شركة الدار الوطنية للإعلام ، الطبعة الأولى ، رمضان 1421هـ - 2000م .

¹ البخاري ، الجامع الصحيح ، مصدر سابق ، ج 5 ، ص 1950 رقم الحديث (4778) كتاب النكاح ، باب قول النبي صلي الله عليه وسلم ، من استطاع منكم الباءة

² د . وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وادلته ، ج 2 ، ص 568 - 569 .

المراقبة والخشية لله تعالى في السر والعلن ، وذلك أن أمر الصيام موكول إلي نفس الصائم ، لا رقيب عليه إلا الله ، فإذا ترك الصائم شهوته لأجل الله ، وصبر علي إغراءات الطيبات والشهوات منه ، بأن الله يراقبه وأنه مطلع علي سر نفسه ، وتكرر ذلك شهراً كاملاً ، فلا جرم أن تحصل له المراقبة والخشية لله في السر والعلن . فبذلك لا يخدع ولا يغش ولا يظلم ، ولا يهضم حقاً ، ولا يسعى في الفساد بين الناس . أما مجرد الإمساك عن الطعام والشراب وعدم مراقبة الله وظلم الآخرين ، فهذا ليس هو الصيام الذي فرضه علي المؤمنين . قال -صلي الله عليه وسلم-: " من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" ⁽¹⁾ فروح الصائم مراقبة الله وكونه لوجهه تعالى. ⁽²⁾

ومن حكم وأسرار الصوم : تحقيق العبودية لله ، فيتذكر العبد الصائم احتياجه لنعم الله عليه ، كالأكل والشرب وأنه مجرد من كل قوة ، حتى الملوك والرؤساء والقادة، يتذكرون أنهم كالشعب في حاجة إلي رزق الله وطعامه. والصوم يغذي الروح ويقوي القلب ، فتصعد النفس وتهبط شهوتها وعدوانها فرمضان شهر القوة المعنوية ، التي هي بدورها تغذي وتقوى القوة البدنية ، فمعظم فتوحات المسلمين تمت في رمضان ، كبدر ، وفتح مكة ، وغيرها . ومن أسرار رمضان أنه شهر الحرية ، والمقصود بها العبودية لله وحده بأن لا يستعبدك أحد ممن يساويك في الإنسانية ، من الأتس والجن ، فرمضان مدرسة لتخريج الأحرار بالمعني العلمي الصحيح لا بما تعارف عليه الناس والعامه بأن الحرية هي الفوضى فالصوم " رجولة " مستعلنة وإرادة مستعلية ، تجعل النفس تسمو فوق الصغائر من القول الساقط ، وجهل الجاهل ، وشتم الشاتم ، واعتداء الظالم . والصوم عبارة عن طريقة عملية

¹ البخاري ، الجامع الصحيح ، ج 2 ، ص 673 ، رقم الحديث (1804) كتاب الصوم ، باب من لم يدع قول الزور والعمل به.
² عفيف طبارة ، روح الدين الإسلامي ، ص 254 - 255.

لتربية الرحمة في النفس ومن حكم وأسرار الصوم: أضعاف سلطان العادات ، فقد بلغ ببعض الناس سلطان العادات إلي حد الاستعباد ، فلو تأخر عنهم الأكل ساءت أخلاقهم ، وهم أساري للمكيفات من القهوة والشاي والتدخين. فالصوم يقوي الإرادة ويقضي علي سطوة هذه العادات. (1) كما أن للصوم فوائد صحية طبية: فهو يقلل مضار السمنة ، وسكر الدم ، والزلال عند السيدات ، وتخفيف حدة أمراض القلب ، وتصلب الشرايين وراحة للمعدة ، والقولون ، وتجديد خلايا الجسم ، وتخفيف التوتر النفسي ، أو ضغط الدم. والمتأمل توقيت الصيام يري الحكمة في اختيار الشهور القمرية ، حيث يدور وقت الصيام من عامٍ إلي عامٍ عبر فصول السنة ، فلا يستأثر بلد بصوم الصيف دوماً ولا صوم الشتاء دوماً. (1)

كما أن رمضان يقضي علي بواعث الجريمة بتزك المحرمات من الظلم ، والاعتداء ، والفواحش ، ومحاربة الشيطان ، الذي يوقع العداوة والبغضاء بين الناس بالجوع ، قال -صلي الله عليه وسلم-: " إن الشيطان يجري من ابن آدم مبلغ الدم وإنني حشيت أن يقذف في قلوبكما" (2) فحصول التقوى بسبب الصيام أكبر دافع لمحاربة الجريمة بأنواعها. (3)

المطلب الرابع: آداب الصيام:

للصيام آداب كثيرة نذكر بعضاً منها:

¹ د . مصطفى السباعي ، أحكام الصيام وفلسفته في ضوء الكتاب والسنة ، ص 41 – 105. دار الوراق للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1420 هـ 1990 م .

¹ عفيف طيارة ، روح الدين الإسلامي ، ص 440 – 441.

² البخاري ، الجامع الصحيح ، ج 5 ، ص 2296 ، رقم الحديث (5856) ، كتاب الأذان ، باب التكبير والتسبيح

³ د . عبد العزيز عبد الرحمن المحميد ، العبادة وأثرها في تربية النفس الإنسانية ، ص 171 .

أولاً: ضبط الظاهر والباطن ، وكف الجوارح عن الآثام والمعاصي .وليس من الآداب أن يمسك المرید من المباح ويفطر بحرام الآثام.

ثانياً: أن يتسحر استعمالاً للسنة ، وهو ادعي إلى الصوم لمعينين أحدهما: عود بركة السنة عليه. والثاني:التقوية بالطعام علي الصيام قال صلي الله عليه وسلم: " تسحروا فإن في السحور بركة".⁽¹⁾

ثالثاً: أن يُعجل الفطر عملاً بالسنة ، وإن لم يرد تناول الطعام إلا بعد العشاء.

رابعاً: أن يُقلل الطعام عن الحد الذي كان يأكله وهو مفطر ، لأن مقصود الصوم هو قهر النفس ، وأن يمتنع في صومه من ملاعبة الأهل والملامسة ، فإن ذلك أنزه للصوم.⁽¹⁾

خامساً: غض البصر ، وكفه عن الاتساع في النظر إلي كل ما يذم ويكره ، وإلي كل ما يشغل القلب ويلهي ، عن ذكر الله عز وجل ، وحفظ اللسان عن الهذيان ، والكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والفحش ، والجفاء ، والخصومة ، والمرء ، وشغله بذكر الله عز وجل وتلاوة القرآن ، وكف السمع عن الإصغاء إلي كل مكروه ومحرم سماعه ، وكذلك كف بقية الجوارح عن الآثام.

سادساً: أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقاً مضطرباً بين الخوف والرجاء ، إذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقربين ، أو يرد عليه فهو من الممقوتين؟ فقد روي عن الحسن البصري أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال: إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا ، وتخلف قوم فخابوا ، فالعجز كل العجز للضحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابِقون ، وخاب فيه المبطلون.⁽²⁾

¹ البخاري ، الجامع الصحيح ، ج 2 ، ص 678 ، رقم الحديث (1823) ، كتاب الصوم ، باب بركة السحور من غير ايجاب السحور .
¹ السهر وردي ، عوارف المعارف ، ص 197 – 198 .
² الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 1 ، ص 288 – 290 .

سابعاً: يستحب الجود في رمضان ، وفعل المعروف وكثرة الصدقة ، إقتداءً بالرسول -صلي الله عليه وسلم- .

ثامناً: ويستحب دراسة القرآن لأن رمضان ، هو شهر القرآن قال تعالى: "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (1).

تاسعاً: ويستحب الاعتكاف في رمضان ، ولا سيما في العشر الأواخر وزيادة الاجتهاد فيه عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: " كان النبي -صلي الله عليه وسلم- إذا دخل العشر شد منزله وأحيا الليل وأيقظ أهله" (1) ويعني بالعشر، العشر الأواخر من رمضان. ومعني شد المنزر: أعرض عن النساء وقيل : كناية عن الجد والتشمير في العمل. (2)

عاشراً: المحافظة علي صلاة التراويح ، ويقال لها الصلاة الجامعة ، ويدخل وقتها بعد العشاء (3)

الحادي عشر: صيام ستة أيام من شوال ولو متفرقة ، ويحصل ثوابها ولو صام قضاء أو نذراً أو غير ذلك ، فمن صامها بعد أن صام رمضان كأنما صام الدهر فرضاً . قال -صلي الله عليه وسلم- : "من صام رمضان ثم أتبعه بستة من شوال فكأنما صام الدهر" (4) فصيام شهر رمضان بعشرة أشهر ، وصيام ستة أيام بشهرين ، فذلك سنة ، يعني الحسنه بعشر أمثالها. (5)

¹ سورة البقرة / 185.

¹ - البخاري - الجامع الصحيح ، ج 2 - ص 711 ، رقم الحديث (1920) ، كتاب صلاة التراويح ، باب في العشر الأواخر من رمضان.

² ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ص 39.

³ عيد الرحمن الصفوري ، نزهة المجالس ، ص 232.

⁴ مسلم ، صحيح مسلم ، ج 2 ، ص 822 ، رقم الحديث (1164 0) ، كتاب الصيام ، باب استحباب صيام ستة من شوال.

⁵ . د . وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، ج 2 - ص 589.

المطلب الخامس: مراتب الصيام ومقامات الصائمين:

وللصوم ثلاث مراتب: صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص. فأما صوم العموم: فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة.⁽¹⁾ قال -صلي الله عليه وسلم- : " من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"⁽²⁾ وقال -صلي الله عليه وسلم-: " رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر"⁽³⁾ قيل هو الذي يجوع بالنهار ويفطر علي الحرام، وقيل: هو الذي يصوم عن الحلال من الطعام ، ويفطر

¹ ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ص 40.

² سبق تخريجه.

³ ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ج 1 ، ص 539 ، رقم الحديث (1960) ، كتاب الصيام ، باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم.

علي لحم الناس بالغيبة. قال سفيان : من اغتاب فسد صومه. وعن مجاهد : خصلتان تفسدان الصوم: الغيبة والكذب. وهذا هو صوم العوام.⁽¹⁾

وأما صوم الخصوص: فهو كف النظر ، واللسان ، واليد ، والرجل ، والسمع ، والبصر ، وسائر الجوارح عن الآثام.⁽²⁾ وأن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار ، حتى يستفيد من الصوم في قهر عدو الله. وكسر الشهوة والعادات . التي تجعل الصائم أسير هواه . وأن لا يكتر من النوم بالنهار ، حتى يحس بالجوع والعطش، ويستشعر ضعف القوي ، فيصفو عند ذلك قلبه ، حتى يخف عليه تهجده وأوراده . فهذا صوم الخواص.⁽¹⁾

أما صوم خصوص الخصوص: فهو صوم القلب عن الهمم الدنيئة والأفكار المبعدة عن الله تعالى، وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية.⁽²⁾ فيحفظ الرأس وما حوي ، ويحفظ البطن وما وعى ، ويذكر الموت والبلى ، ويريد الآخرة فيترك زينة الدنيا. فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه ، وفرحه برؤيته . رؤي بشر-رضي الله عنه- في المنام فسئل عن حاله؟ فقال : علم قلة رغبتني في الطعام فأباحني النظر إليه . وهذا أعلي مقامات الصائمين. فهم في أعلي عليين ، والدرجة الدنيا مقام الخواص.⁽³⁾

¹ السهر وردي ، عوارف المعارف ، ص 198.

² ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين- ص 40.

¹ الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 1 ، ص 289.

² ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ص 40.

³ ابن رجب الحنبلي ، كتاب لطائف المعارف ، ص 178 - 179.

المطلب السادس: قمة الشهر ليلة القدر وفرحة العيد:

قال تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ".⁽¹⁾ وروي عن مجاهد رضي الله عنه: أن النبي -صلي الله عليه وسلم- ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله هذه السورة "ليلة القدر خير من ألف شهر". وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلي الله عليه وسلم- قال: "من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"⁽²⁾ وكان -صلي الله عليه وسلم- يجتهد في العبادة في العشر الأواخر من رمضان، ويوقظ أهله، لإدراك ذلك الفضل العظيم، وحتى تتأسي به أمته، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد منزره وأحيا ليله وأيقظ أهله"⁽³⁾ فدل ذلك عند العلماء، أن ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان،

¹ سورة القدر / 1 - 3 .

² البخاري، الجامع الصحيح، مصدر سابق، ج 2، ص 672، رقم الحديث (1802)، كتاب الصوم، باب، من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية.

³ سبق تخريجه.

والأوتار منها. (1) قال -صلي الله عليه وسلم-: " تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان " (2)

أي اطلبوها بجد في العبادة. ولقد رآها كثير من الصحابة في السبع الأواخر من رمضان ، ويحددها أبي بن كعب ، وابن عباس -رضي الله عنهما- وكثير غيرهما بأنها ليلة السابع والعشرين ، وقيل لا تفارق ليلة جمعة من أوتار آخر الشهر . هذه محاولات ، أما الثابت اليقين فهو : أن القرآن لم يعينها تعييناً واضحاً، وأن الرسول -صلي الله عليه وسلم- لم يحددها تحديداً تاماً. ولقد قال أسلافنا -رضي الله عنهم-:

أخفي الرب أموراً في أمور الحكم : ليلة القدر في الليالي لثحيا جميعها، والصلاة الوسطي في الصلوات ، ليحافظ علي الكل ، وساعة الإجابة في الجمعة ، ليدعو في جميعها ، والاسم الأعظم من أسمائه ليدعي بالجميع، ورضاه في طاعته ، ليحرص العبد علي جميع الطاعات ، وغضبه في معاصيه ، لينزجر عن الكل . والولي في المؤمنين ليحسن الظن بكل منهم. ومجئ الساعة في الأوقات ، للخوف منها دائماً ، وأجل الإنسان عنه ليكون دائماً علي أهبة. (1) وكان -صلي الله عليه وسلم- يعتكف (2) في المسجد العشر الأواخر من رمضان ويحيي الليل كله بالصلاة ، وذكر الله ، وقراءة القرآن لئال الثواب في ليلة القدر. (3) قال الشيخ أحمد الصاوي، في حاشيته

¹ ابن رجب الحنبلي ، كتاب لطائف المعارف ، ص 206 – 207.
² البخاري ، الجامع الصحيح ، ج 2 ، ص 710 ، رقم الحديث (1913) ، كتاب صلاة التراويح ، باب ، تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر.

¹ د. عبد الحلیم محمود ، العبادة: أحكام وأسرار ، ج 1 ، ص 128 – 130 ، دار النصر للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1388هـ - 1968م .

² المقصود به لزوم المسجد والإقامة فيه بنية التقرب إلي الله عزوجل. سيد سابق ، فقه السنة ، ج 1 ، ص 419.

³ سيد سابق ، فقه السنة ، ج 1 ، ص 418.

علي الجلالين: فعلي هذا يحصل ثوابها - ليلة القدر - لمن قامها ، ولو لم يعلمها، نعم العالم بها أكمل ، هذا الأظهر. (1)

فالعيد: سمي عيداً لأن فيه عوائد الإحسان ، وفوائد الامتتان من الله إلي عبده، وقيل لأنه يعود كل سنة بفرح جديد، وقيل لأنهم عادوا من طاعة الله تعالى، وهي صيام رمضان إلي طاعة الله ورسوله وهي صيام ستة من شوال. (2) فالعيد مغزي اجتماعي وإنساني ، فأما الاجتماعي : ما يضيفه علي القلوب من أنس ، وعلي النفوس من بهجة ، وعلي الأجسام من راحة ، وهو ما يدعو له من تجديد أواصر الحب بين الأصدقاء ، والتراحم بين الأقرباء ، والتعاون بين الناس ، الضعفاء والمساكين ، وذوي الحاجات بصدقة الفطر ، والهدايا ، فتعم الفرحة جميع الناس. أما المعني أو المغزي الإنساني: فهو أنه يُشرك أعداداً لا حصر لها من أبناء الشرق والغرب بالفرح والسرور في وقت واحد ، وفي ذلك تقوية للروابط الفكرية ، والروحية ، بين جميع المسلمين. (1)

¹ الصاوي ، حاشية الصاوي علي تفسير الجلالين ، ج 4 ، ص 337.
² عبد الرحمن الصفوري الشافعي ، نزهة المجالس ، ص 240 - 241.
¹ د. مصطفى السباعي ، أحكام الصيام وفلسفته ، ص 136-137 .

المطلب الأول: تعريف الحج وفضله وفضل البيت:

الحج في اللغة: القصد ، وفي العرف قصد مكة للنسك. (1)

وفي الشرع: فهو عبادة ذات إحرام ، ووقوف بعرفة ، وطواف ، وسعي ، وغير ذلك. (1) أما فضله فقد وردت فيه أحاديث كثيرة نذكر منها:

قال -صلي الله عليه وسلم-: " من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه" (2) فالحج يكفر الذنوب والخطايا ويهدمها. قال -صلي الله عليه وسلم-: " الحج يهدم ما قبله" (3) فمن أدي نسكه ورجع منه فإن آثامه تسقط عنه إذا اتقى الله عز وجل في أداء نسكه ، كما أن الحج يدخل صاحبه الجنة، قال صلي الله عليه وسلم: " الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة" (4) فالحج المبرور ما اجتمع فيه فعل أعمال البر ، مع اجتناب أعمال الإثم. قيل للحسن الحج المبرور جزأؤه الجنة ؟ قال : آية ذلك : أن يرجع زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة . وقيل له جزاء الحج المغفرة ؟ قال: آية ذلك: أن يدع سيء ما كان عليه من العمل. وقال بعض السلف: علامة قبول الطاعة أن توصل بطاعة بعدها ، وعلامة ردها أن توصل بمعصية. ما أحسن الحسنه بعد الحسنه ، وأقبح

¹ الرازي ، مختار الصحاح ، ص 122 ، مادة " ح ، ج ، ج .

¹ صالح عبد السميع الابي الأزهرى ، الثمر الداني في تقريب المعاني ، ص 22.

² البخاري ، الجامع الصحيح ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 646 ، رقم الحديث (1724) كتاب أبواب العمرة ، باب قول الله عز وجل " لا فسوق ولا جدال في الحج "

³ ابن خزيمة ، صحيح ابن خزيمة ، ج 4 ، ص 131 رقم الحديث(2515) كتاب المناسك ، باب ذكر البيان ان الحج يهدم ما كان قبله من الذنوب والخطايا .

⁴ البخاري ، الجامع الصحيح ، ج 2 ، ص 629 ، رقم الحديث (1683) كتاب أبواب العمرة ، باب وجوب العمرة وفضلها .

السيئة بعد الحسنه. ⁽¹⁾ ويعتبر الحج من أفضل الأعمال والقربات إلى الله عز وجل ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "سئل رسول الله -صلي الله عليه وسلم- أي العمل أفضل؟ قال: "إيمان بالله ورسوله ، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله . قيل ثم ماذا؟ قال حج مبرور". ⁽²⁾ كما أن الحُجَّاج وفد الله وحق علي الله أن يكرم وافته وإكرامه بالمغفرة واستجابة الدعاء. قال -صلي الله عليه وسلم-: " الحج والعمار وفد الله ، إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم". ⁽³⁾ كما أن الحج سبب للغني ونفي للفقر ، قال -صلي الله عليه وسلم-: " تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة". ⁽¹⁾ الحجة المبرورة هي التي لا يقع فاعلها في معصية. ⁽²⁾

أما فضل البيت مكة المشرفة: قال -صلي الله عليه وسلم- " إن الله قد حبس عن مكة الفيل ، وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنها لم تحل لأحد كان قبلي ، وإنما أحلت لي ساعة من نهار ، وإنها لن تحل لأحد بعدي" ⁽³⁾ وقال -صلي الله عليه وسلم-: " الحجر الأسود ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة" . ⁽⁴⁾ وقال -صلي الله عليه وسلم-: " لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الاقصي". ⁽⁵⁾ والصلاة تضاعف في المسجد الحرام . و قال -

¹ ابن رجب الحنبلي ، كتاب لطائف المعارف ، ص 67 - 70.

² البخاري ، الجامع الصحيح ، ج 1 ، ص 18 ، رقم الحديث (26) كتاب الايمان ، باب من قال أن الإيمان هو العمل.

³ البيهقي ، شعب الايمان ، ج 3 ، ص 476 ، رقم الحديث (4106) باب المناسك ، فضل الحج والعمرة.

¹ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج 3 ، ص 175 ، رقم الحديث (810) كتاب الصوم ، باب ثواب الحج والعمرة.

² د . عبد الحلیم محمود ، العبادة : أحكام وأسرار ، ج 1 ، ص 158 - 161.

³ البخاري ، الجامع الصحيح ، نفس المصدر ، ج 6 ، ص 2522 ، رقم الحديث (6486) كتاب الديات ، باب من قتل له قتيلا فهو بخير النظرين.

⁴ علي بن حسام الدين التقي الهندي ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ج 12 ، ص 388 ، رقم الحديث (34728) كتاب الفضائل من قسم الأفعال ، باب الحجر الأسود ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1989م.

⁵ البخاري ، الجامع الصحيح ، ج 2 ، ص 703 رقم الحديث (1893) كتاب الصوم ، باب صوم يوم النحر.

صلي الله عليه وسلم-: " صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام" (1)
ولهذا تشد الرحال إليه لفضل الصلاة والطواف ومشاهدة الكعبة. (2)

المطلب الثاني: آداب الحج:

للحج آداب وفضائل كثيرة ذكرها العلماء نذكر منها:

أولاً: أن ترتاد للطريق رقيقاً صالحاً ونفقةً طيبةً حلالاً ، فالزاد الحلال ينور القلب ،والرقيق الصالح يذكر الخير ويزجر عن الشر.

ثانياً: أن يوسع في الطريق بالطعام وبطيب الكلام مع الرفقاء والمكاري.

ثالثاً: أن يترك الرفث " قول الفحش" والجدال ، والتحدث بالفضول في أمر الدنيا ، بل يقصر لسانه علي الفكر وتلاوة القرآن.

رابعاً: أن يكون رث الهيئة ، أشعث ، أغبر ، غير متزين ، بل علي هيئة المساكين ، حتى لا يُكتب في جملة المترفين.

خامساً: أن ينزل عن الدابة أحياناً ، ويمشي برجليه تخفيفاً للأعضاء بالتحرك ، ودفعاً للنشاط وإدراك المشقة في الحج.

سادساً: أن يكون طيب النفس ، بما أنفق من نفقة ، وبما أصابه من تعب وخسران ، وأن يري ذلك من آثار قبول الحج فيحتسب الثواب عليه. (1)

¹ مسلم ، صحيح مسلم ، ج 2 ، ص 1012 رقم الحديث (1012) ، كتاب الحج ، باب فضل الصلاة في مسجدي مكة والمدينة.
² الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 1 ، ص 297 – 300.
¹ الإمام الغزالي ، كتاب الأربعين في أصول الدين ، ص 33.

سابعاً: أن يبدأ قبل ذلك كله بالتوبة ، ورد المظالم ، وقضاء الديون ، وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته ، إلي وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع .

ثامناً: أن يستصحب من المال الحلال ما يكفيه لذهابه ، ورجوعه من غير تقشير .

تاسعاً: أن يؤمروا عليهم أحسنهم خلقاً ، وأرفقهم بالأصحاب.

عاشراً: وينبغي للحاج أن يُطيب الكلام ، وإطعام الطعام ، وإظهار محاسن الأخلاق ، فإن السفر يخرج خفايا الباطن.

الحادي عشر: أن يكون خالياً في حجه من تجارة تشغل قلبه ، وتفرق همه ، ليجتمع علي طاعة الله .

الثاني عشر: أن يودع رفاقه وإخوانه المقيمين ، ويلتمس أدعيتهم ، ويصلي ركعتين في منزله ويخرج ، ويستودع أهله وماله ، ويستعمل الأدعية والأذكار المأثورة عند خروجه من منزله ، وفي ركوبه ونزوله ، وفي كل مناسك الحج. (1)

الثالث عشر: أن لا يعاون أعداء الله من الظلمة والمعتدين. (2) الذين ينشرون الرعب والخوف في قلوب المسلمين ، بالتبرع والصدقة والإنفاق عليهم ، فإن تسليم المال إليهم إعانة علي الظلم وتيسير لأسبابه. (3)

الرابع عشر: أن يجتهد الحَاج وغيره في الأيام العشر من ذي الحجة ، بالذكر والتهليل والتسبيح وذكر الله ، وقراءة القرآن ، والصيام ، خاصة عرفة لغير الحاج ، قال -صلي الله عليه وسلم-: "ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلي الله من هذه الأيام " يعني العشر- قالوا: يا رسول الله ولا

¹ ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ص 42 - 43 .

² بما يعرف عندنا اليوم "بالأرهابين" الذين يفجرون أنفسهم وسط المسلمين .

³ الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 1 ، ص 321 .

الجهاد في سبيل الله ؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء".⁽¹⁾

الخامس عشر: صوم يوم عرفه لغير الحاج ، سُئِلَ صلي الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفه؟ قال : يكفر السنة الماضية والباقية.⁽²⁾ فيندب لغير الحاج ، أما الحاج فالأفضل له الفطر إتباعاً لفعله - صلي الله عليه وسلم-.⁽³⁾

السادس عشر: ويندب ترك حلق الشعر ، من سائر البدن ، وترك قلم الأظافر ، لتسعة الأيام الأولي من ذي الحجة ، لمن يريد الضحية ، ولو بتضحية الغير عنه.⁽¹⁾

¹ أبو داؤود ، سنن أبي داؤود ، ص 1141 ، رقم الحديث (2438) كتاب الصيام ، باب صوم العشر .
² مسلم ، صحيح مسلم ، ج 2 ، ص 818 ، رقم الحديث (1162) كتاب الصيام ، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم عرفه وعاشوراء والاثنتين .
³ محمد بن عجلان الصديقي الشافعي ، دليل الفالحين ، ج 4 ، ص 47 - 48 .
¹ الصاوي ، بلغة السالك شرح اقرب المسالك ، ج 2 ، ص 550 .

المسألة الأولى: حكم وأسرار الإحرام وما يتبعه:

أركان الحج أربعة: الإحرام ، والطواف ، والسعي ، والوقوف بعرفة . والركن: ما لا بد من فعله ولا يجزي عنه دم ولا غيره. ⁽¹⁾ فعلي الحاج أن يتذكر في كل فعل من أفعال الحج ، أنه تذكرة للتذكر وعبرة للمعتبر . فمن ذلك: أن يتذكر بتحصيل الزاد ، زاد الآخرة من الأعمال ، وليحذر أن تكون أعماله فاسدة من الرياء والسمعة ، فلا تصحبه ولا تنفعه ، فإذا فارق وطنه ودخل البادية وشهد تلك العقبات ، فليتذكر بذلك خروجه من الدنيا بالموت ، إلي ميقات القيامة وما بينهما من الأهوال. ومن ذلك : أن يتذكر وقت إحرامه وتجرده من ثيابه ، إذا لبس المحرم الإحرام لبس الكفن ، وأنه سيلقي ربه علي زي مخالف لزي أهل الدنيا ، وإذا لبى فليستحضر تلبية إجابة الله تعالى إذ قال: "وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ" ⁽¹⁾ وليرج القبول ، وليخش عدم الإجابة ، وكذلك إذا وصل الحرم ينبغي أن يرجوا الأمن من العقوبة ، غير أنه ينبغي أن يكون الرجاء غالباً ، لأن الكرم عميم وحق الزائر مرعي. ⁽²⁾ فبغسل الإحرام يعلن ، عن إخلاصه في الطهر الباطن والطهر الظاهر ، بالصورة الجميلة : صورة ملابس الإحرام نقية طاهرة بيضاء ، صافية خلت خلواً تاماً من الدنس والخبائث ، ويثبت كل ذلك بالشعار القوي الدائم في الحج : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. ⁽³⁾ هذا الصفاء وهذا الطهر يجب أن يستمر بعد الحج دوماً مدي الحياة. ⁽⁴⁾ فبزي الإحرام ، يتكاتف الأمير مع الحقير ، والغني

¹ الصاوي ، بلغة السالك شرح اقرب المسالك ، ج 2 ، ص 476.

¹ سورة الحج / 27 .

² ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ص 43 - 44.

³ البخاري ، الجامع الصحيح ، ج 5 ، ص 2213 ، رقم الحديث (5572) ، كتاب اللباس ، باب التلبية .

⁴ د . عبد الحلیم محمود ، العبادة : أحكام وأسرار ، ص 154.

مع الفقير ، وكل الناس سواسية إمام الله يرددون هذه التلبية ويعلمون إيمانهم من جديد ، بوحداية الله سبحانه وتعالى ، معترفين بأن الحمد كله له ، لأن النعم كلها منه. ⁽¹⁾ وهذه التلبية بمنزله النشيد الحربي " الجلالة" الذي ينشده الجند للحماسة والإقدام ، فهي كذلك للمحرم تقوده للنشاط والقوة ، مستعيناً بالله تعالى. ⁽²⁾ فإذا أبصر المحرم البيت الحرام ، استحضر عظمته في قلبه ، وشكر الله تعالى علي تليغته رتبة الوافدين إليه ، وليستشعر عظمة الطواف به. ⁽³⁾ ويقول عند رؤيته للبيت: " اللهم أنت السلام ومنك السلام ، حيينا ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتكريماً ومهابةً ، وزد من حجه أو اعتمره تكريماً وتشريفاً. ⁽⁴⁾ وهذا الدعاء يدل علي أن من أهداف الحج وأسراره ، غرس حب السلام في النفوس ، واستئصال روح الكراهية والبغضاء منها ، وتوجيه الناس أن يعيشوا أخوة متحابين. ⁽¹⁾ ثم بعد ذلك يبدأ بالطواف بالبيت.

المسألة الثانية: حكم وأسرار الطواف ⁽²⁾ وما يتبعه:

أن يستشعر عظمة الطواف بالبيت، ويعتقد عند استلام الحجر ، أنه مُبَايَعُ لله علي طاعته ، ويضم إلي ذلك عزمته علي الوفاء بالبيعة ، ولينذكر بالتعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم ، لجوء المذنب إلي سيده وقرب المُجِب. ⁽³⁾ وأن يراعي آداب الطواف من الغُسل ، والطهارة للبدن ، والثوب والأدعية المأثورة ، والدعاء ، وتقبيل الحجر الأسود إن تيسر ذلك ، وصلاة ركعتين عند المقام. ⁽⁴⁾ والطواف حول الكعبة هو بمثابة تحية الكعبة التي هي أول بيت وضع للناس ، والحجر الأسود هو حجر الزاوية للكعبة ، وقد وُضع هناك كشعار أو رمز يدل علي الاستسلام والعبودية

¹ أبو النصر مبشر الطرازي ، الإسلام الدين الفطري الابدی ، ص 30.

² عفيف طبارة ، روح الدين الإسلامي ، ص 263 .

³ ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين- ص 44.

⁴ البيهقي ، سنن البيهقي ، ج 5 ، ص 73 ، رقم الحديث (8986) ، كتاب الحج ، باب القول عند رؤية البيت.

¹ عفيف طبارة ، روح الدين الإسلامي ، ص 262.

² المقصود الطواف بأنواعه كطواف الإفاضة وهو ركن وطواف القوم والوداع وهما سنة.

³ ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ص 44.

⁴ الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 1 ، ص 308 - 309 .

الخالصة لله ، بتقبيله دون إدراك العلة في ذلك ، قال سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: " أني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك. (1) ثم إن الطواف حول الكعبة شُبِّهَ بالملائكة الحآفين بعرش الرحمن الطآنفيين حوله ، المسبحين له ، لا يفترون ، وفي هذا من سمو الروح ما فيه. (2) وأن يشرب من ماء زمزم ، لما فيه من البركة والشفاء ، قال -صلي الله عليه وسلم-: " خير ماء علي وجه الأرض ماء زمزم ، فيه طَعَامُ الطُّعْمِ وَشِفَاءُ السُّقْمِ ". (1) وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَتَضَلَّعَ مِنْهُ ، أَي أَنْ يَمَلَأَ بَطْنَهُ مِنْهُ حَتَّى يَبْلُغَ الْأَضْلَاعَ. (2)

المسألة الثالثة: حكم وأسرار السعي وما يتبعه:

بعد الطواف يستحب له أن يصعد الصفا ، ثم يكبر إذا ظهرت الكعبة ، ويسعى سبعة أشواط ، ويسرع بين الميلين الأخضرين ، وأن يدعو الله بما شاء ، والطهارة مستحبة ، وليست بواجبه فيه. (3) فعلي الساعي بين الصفا والمروة ، أن يمثلها بكفتي الميزان وتردده بينهما في عرصات القيامة ، أو تردد العبد إلي باب دار الملك إظهاراً لخلوص خدمته ورجاء الملاحظة بعين ، رحمته ، وطمعاً في قضاء حاجته . (4) فعلي الساعي أن يدرك طيلة سعيه مبدأ الرحمة الإلهية. ذلك أن أصل هذا السعي إنما هو عمل السيدة الكريمة أم إسماعيل " هاجر " حينما اشتد العطش بابنها فقامت تسعي رحمةً بابنها وحناناً عليه وشفقةً به ، فيتمثل الساعي هذا الشعور طيلة سبعة أشواط ، فينخرس في كيانه ويشيع في أرجاء ذاته ، فيصير المسلم رحيماً عطوفاً بأخوته المسلمين وغيرهم ، فينشر الرحمة

¹ البخاري ، الجامع الصحيح ، ج 2 ، ص 579 ، رقم الحديث (1520) ، كتاب الحج ، باب ما ذكر في الحجر الأسود.

² عفيف طيارة ، روح الدين الإسلامي ، ص 263.

¹ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج 11 ، ص 98 ، رقم الحديث (11167) باب العين ، أحاديث عبد الله بن عباس.

² أبو المنذر خليل بن إبراهيم ، الطرق الحسان في علاج إمراض الجان ، ص 106.

³ الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 1 ، ص 310.

⁴ ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ص 44.

أينما حل في المحيط الإنساني. ⁽¹⁾ فالسعي بين الصفا والمروة يبعث النشاط في الجسم ، وهو أشبه بالتمارين الرياضية والعسكرية ، مما يساعد علي إكمال باقي شعائر الحج بهمة ونشاط عالٍ. كما إن في السعي بين الصفا والمروة من كمال العبودية واللجوء إلي الله ، في كشف الضر وغفران الذنوب ، وصلاح النفوس ، لأن في ذلك الموضوع كشف الله الضر عن هاجر وولدها إسماعيل ، وفجر لهما ماء زمزم ، بعد أن كاد العطش أن يهلكهما. ⁽¹⁾ ومن السنة أن يحلق شعر رأسه ، إذا كان متمتعا ، والمرأة تقصر الشعر ، والأصلح يستحب له امرار الموس علي رأسه. ⁽²⁾

المسألة الرابعة: حكم وأسرار ركن الحج "الأعظم" عرفة:

الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم قال -صلي الله عليه وسلم-: "الحج عرفة" ⁽³⁾ فالوقوف بها ولو لحظة بعد الزوال ، وإن كان وقته من الزوال إلي طلوع الفجر يوم النحر ، ولعظمته وأهميته صح فيه وقوف الحائض والجُنُب حتى يدركه الجميع وهذا من كرم الله وفضله ، ⁽⁴⁾ ويستحب في هذا اليوم الإكثار من الدعاء والتضرع إلي الله عز وجل ، والإكثار من التسبيح والتحميد والتهليل والثناء علي الله عزوجل والتوبة. ولا يصوم الحاج هذا اليوم ليقوى علي المواظبة علي الدعاء ، ولا يقطع التلبية يوم عرفة ، فيدعو تارةً ويلبي تارةً أخرى ، وأن لا ينفصل من طرف عرفة إلا بعد غروب الشمس. ⁽⁵⁾ فعلي الحاج أن يتذكر في عرفات ، أن ازدحام الخلق وارتفاع أصواتهم واختلاف لغاتهم ، كأنه يوم الموقف إمام الله رب العالمين. ⁽⁶⁾ فعرفة يوم مغفرة الذنوب والتجاوز عنها ، والعنق من النار ، والمباهاة بأهل الموقف .وقف الفضيل بن عياض بعرفة والناس

¹ د . عبد الحلیم محمود ، العبادة : أحكام وأسرار ، ج 1 ، ص 151 .

¹ عفيف طبارة ، روح الدين الإسلامي ، ص 264.

² الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 1 ، ص 315 .

³ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج 3 ، ص 237 ، رقم الحديث (889) كتاب الصوم ، باب فيمن أدرك الإمام بالجمع .

⁴ عيد الرحمن عبد السلام الصفوري الشافعي ، نزهة المجالس ، ص 258.

⁵ الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 1 ، ص 311 .

⁶ ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ص 44.

يدعون ، وهو يبكي بكاء التُّكلى المُحترقة قد حال البكاء بينه وبين الدعاء ، فلما كادت الشمس أن تغرب رفع رأسه إلي السماء وقال : واسوأته منك وإن عفوت. ووقف بعض الخائفين بعرفة إلي قرب غروب الشمس فنادي الأمان الأمان فقد دنا الانصراف. وقال ابن المبارك : جئت إلي سفيان الثوري عشية عرفة وهو جاثٍ علي ركبتيه وعيناه تهملان فقلت له: من أسوأ هذا الجمع حالاً؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر له. (1) فيوم عرفة عبارة عن مؤتمر سنوي يحضره ملايين من المسلمين يأتيون من مختلف أنحاء العالم ، يقفون في صعيدٍ واحدٍ ، يسألونه المغفرة والتوبة ، وتظهر فيه المساواة بين الناس ، وهو أعظم مظهر ، يمثل الاشتراكية الحقة بكل معانيها ، ومن أسرار الوقوف بعرفة: تجديد الشخصية والانخلاع من الماضي المشوب بالإثم والباطل ، وتجديد العهد مع الله علي استئناف حياة نظيفة مستقيمة. (2)

المسألة الخامسة: حكم وأسرار رمي الجمار وقصة النحر وفضله:

بعد أن يفيض الحاج من عرفة يتوجه نحو المزدلفة ، والوقوف بالمشعر الحرام ، وهو مستحب ، وبعد الفجر يتوجه إلي مني لرمي الجمار ، وهو واجب يجبر بالدم. (3) ويقصد بذلك الانقياد للأمر ، وإظهار الرق ، والعبودية ، ومجرد الامتثال من غير حظ النفس ، لأن بعض هذه المناسك لا تُدرك عليها. (4) فالرجم أو رمي الجمار يعتبر من أواخر أعمال الحج وهو صورة رائعة : صورة العزم المصمم علي الابتعاد المطلق عن الإثم والمعصية . ممثلةً هذه الصورة في رجم إبليس: مصدر الشر والإثم . إن الحج ينتهي بقتل إبليس بالرجم - أو بتعبير أدق - ينتهي بقتل الشر حتى

¹ ابن رجب الحنبلي ، كتاب لطائف المعارف ، ص 312 - 315 .

² عفيف طيارة ، روح الدين الإسلامي ، ص 264.

³ الصاوي ، بلغة السالك شرح أقرب المسالك ، ج 2 ، ص 276.

⁴ ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ص 44.

لا يتسلل مرة أخرى إلي النفس. (1) وأصل القصة: أن سيدنا إبراهيم عليه السلام لما رأى في منامه أن الله يأمره يذبح ابنه، ولم يكن له ولد غيره ، وقد رزقه الله إياه علي كبر وشيوخه ، سارع في تنفيذ أمر الله ، فعرض له إبليس اللعين فرماه بسبع حصيات ثم عرض له مرة أخرى فرماه كذلك ، ثم الثالثة فرماه بسبع حصيات ، ففي هذا تظهر قيمة الإيمان الذي لا يتزعزع و" العبودية" لله علي أكمل صورها من الأب وابنه ، والطاعة ، والاستسلام لله وأمره ، من الأب لابنه ، فجاء النداء من الله تعالي الرحيم "وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ" (1) جاء جبريل بكبشٍ من الجنة فذبحه إبراهيم عليه السلام فصارت سنة الأضحية يوم النحر. (2) فالأضحية سنة مؤكدة ، وقيل واجبة ، وذكرت عقب الحج لمناسبة ذكر الهدى فيه ، وهي به أشبهه ، والضحية في يوم العيد وتاليه أفضل من الصدقة في تلك الأيام . قال -صلي الله عليه وسلم-: " ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب إلي الله من إهراق الدم" (3) وكونها أفضل عمل لأنها سنة في ذلك اليوم وشعيرة من شعائر الإسلام ، خاصة في تلك الأيام . (4) والهدى منه ما هو مستحب للمفرد ، والمعتمر المفرد ، ومنه ما هو واجب للقارن والمتمتع ، ومن ترك واجباً كرمي الجمار والمبيت بمني ونحوهما. (5)

المطلب الرابع: فضل المدينة ، والحكم والأسرار من زيارة قبر النبي صلي الله عليه وسلم:

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله -صلي الله عليه وسلم- ، فالأعمال فيها أيضاً مضاعفة قال -صلي الله عليه وسلم-: " صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا

¹ د . عبد الحلیم محمود ، العباداة : أحكام وأسرار ، ج 1 ، ص 148 - 149 .

¹ سورة الصافات / 104 - 107 .

² محمد علي الصابوني ، النبوة والأنبياء ، ص 220 - 221 .

³ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج 4 ، ص 83 ، رقم الحديث (1493) كتاب الاضاحي ، باب فضل الأضحية .

⁴ الصاوي ، بلغة السالك شرح اقرب المسالك ، ج 2 ، ص 550 .

⁵ سيد سابق ، فقه السنة ، ج 1 ، ص 652 .

المسجد الحرام" (1) وكذلك كل عمل بالمدينة. وبعد مدينته الأرض المقدسة . وقال -صلي الله عليه وسلم-: " من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها". (2) وقال -صلي الله عليه وسلم-: " لا تُشد الرحال إلا إلي ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى" (3) فمن قصد زيارة المدينة فليصل علي رسول الله -صلي الله عليه وسلم- في طريقه كثير ، ويستحب أن يغتسل ويتطيب ، ويلبس أنظف ثيابه ، وليدخل المدينة متواضعاً ومعظماً لها ولرسول الله -صلي الله عليه وسلم- ، ثم يقصد المسجد ويدخل ويصلي ركعتين بجانب المنبر ، ثم يأتي قبر النبي -صلي الله عليه وسلم- للزيارة ويستقبل القبر ، ويستدبر القبلة ، ويسلم علي -النبي صلي الله عليه وسلم- بالتعظيم والاحترام والوقار ، ثم يسلم علي صاحبيه أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما- ، ثم يدعو بما شاء ، متجهاً إلي القبلة ، ثم يأتي الروضة فيصل فيهما ركعتين ، ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله -صلي الله عليه وسلم-: " ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري علي حوضي " (1) وكذا يستحب زيارة قبور شهداء أحد والبييع ، والصلاة في مسجد قباء ، ومسجد الفتح وهو علي الخندق ، وكذا سائر المساجد والمشاهد. (2)

فعلي الزائر للمدينة : إذا لاحت له أن يتذكر أنها البلدة التي اختارها الله لنبيه -صلي الله عليه وسلم- ، وشرع إليها هجرته ، وجعل فيها بيته ، ثم ليتمثل في نفسه مواضع أقدام رسول الله -صلي الله عليه وسلم- ، وتردده فيها ، وتصور خشوعه وسكينته ، فإذا قصدت زيارة القبر فاحضر قلبك لتعظيمه ، والهيبة له ، ومثل صورته الكريمة في خيالك ، واستحضر عظيم مرتبته في قلبك ثم سلم

¹ سبق تخريجه .

² الترمذي ، سنن الترمذي ، ج 5 ، ص 719 ، رقم الحديث (3917) كتاب المناقب ، باب فضل المدينة المنورة.

³ سبق تخريجه.

¹ الطبراني ، المعجم الأوسط ، ج 1 ، ص 223 ، رقم الحديث (733) باب أول الكتاب .

² الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج 1 ، ص 299 ، 319.

عليه ، وأعلم أنه عالم بحضورك وتسليمك .⁽¹⁾ فهذه الزيارة لقبر النبي -صلي الله عليه وسلم- بعد الحج أو في أي وقت آخر ، فقد وردت أحاديث صحيحة وحسنة تثبت سنية هذه الزيارة ، منها قوله -صلي الله عليه وسلم-: " من زار قبري وجبت له شفاعتي " ⁽²⁾ ولا يخفي ما في هذه الزيارة من التذکر والاعتبار ، وتحكيم العلاقة الروحية بين الزائر ، وبين رسول الله -صلي الله عليه وسلم- مع ما فيها من زيارة مسجده المبارك ، وزيارة دار الهجرة وهي المدينة المنورة ، والتفكر في تاريخها الغابر حيث موطن الرعيل الأول من المهاجرين والأنصار ، الذين آمنوا بالله ورسوله حق الإيمان ، وعززوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، وزيارة صاحبيه أبابكر وعمر الفاروق ، تُذكر جهادهم وحبهم ونصرتهم لهذا الدين ، وكذا زيارة قبور الشهداء ، وأمّهات المؤمنين ، ومسجد قباء ، والقبلتين ، وموضع غزوة أحد ، كل هذه المشاهد تُذكر الفرد المسلم بنصرة الدين ، وكيف انتشر ، وكيف كان جهاد الصحابة وحبهم لله ورسوله.⁽¹⁾

المطلب الأول: وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ولو طوي بساطه وأهمل عمله لتعطلت النبوة واطمحت الديانة وعمت الفترة

¹ ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ص 44 .
² الدار قطني ، سنن الدار الدار قطني ، ج 2 ، ص 228 ، رقم الحديث (194) كتاب الحج ، باب وضوء رسول الله صلي الله عليه وسلم .
¹ أبو النصر مبشر الطرازي ، الإسلام الدين الفطري الايدي ، ج 2 ، ص 34 .

واستشري الفساد واتسع الخرق وخرّبت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد . 1 ويدل على وجوبه بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه ، الآيات والأخبار والآثار أما الآيات فقوله تعالى "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ " 2 ففي الآية بيان الإيجاب فإن قوله تعالى "وَلْتَكُنْ" أمر وظاهر الأمر الإيجاب وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذ حصر وقال "وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا قام به أمة سقط عن الآخرين وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تعالى: "لَيْسُوا سَوَاءً مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ " 1 لم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى: "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مَنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" 2 وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال عز وجل : "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ" 3 وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس ، وقال تعالى: "فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِقَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ" 4 فبين أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل على الوجوب قوله تعالى: "الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ" 5

1 "الغزالي" أبي حامد محمد بن محمد الغزالي - إحياء علوم الدين - ج 2 - ص 333 - ويزيله كتاب المعنى عن حمل الأسفار - للعلامة زين الدين العراقي - دار الفكر - بيروت لبنان - الطبعة الثانية - 1409 هـ - 1989 م .

2 سورة آل عمران / 104 .

1 سورة آل عمران / 113-114 .

2 سورة المائدة / 78-79 .

3 سورة آل عمران / 110 .

4 سورة الأعراف / 165 .

الْمُنْكَرِ " 1 فقرن ذلك بالصلاة والزكاة في نعت الصالحين والمؤمنين وقال تعالى: "فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ " 2 فبين أنه أهلك جميعهم إلا قليلاً منهم قاموا ينهون عن الفساد ، وقال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ" 3 وذلك هو الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين.4 أما الأخبار: فمنها قوله- صلي الله عليه وسلم- "إياكم والجلوس علي الطرقات ، قالوا ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيه قال: فإذا أبيتم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقها ، قالوا: وما حق الطريق ؟ قال: غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " 1 وأيضاً قوله- صلي الله عليه وسلم- "من رأي منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" 2 . أما الآثار قال أبو الدرداء رضي الله عنه: لتأمرن بالمعروف ولتنهئن عن المنكر أو ليسلطن عليكم سلطاناً ظالماً لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم وسئل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن ميت الأحياء فقال:الذي لاينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه. 3

المطلب الثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سفينة النجاة :

- إنه آمان الأمة من الهلاك ، وحصانة المجتمع من الانحلال وطوق النجاة للأمة وقد شبه الرسول - صلي الله عليه وسلم- المجتمع بسفينة إن تُرك فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غرقت قال - صلي الله عليه وسلم- : "مثل القائم في حدود الله ، والواقع فيها كمثل قوم ... علي سفينة ، فصار بعضهم

1 سورة الحج / 41 .

2 سورة هود / 116 .

3 سورة النساء / 135 .

4 "الغزالي " أبي حامد محمد بن محمد الغزالي - إحياء علوم الدين- ج 2 - ص 333-336 .

1 البخاري - صحيح البخاري- ج 2 - ص 870 - رقم الحديث (2333) - كتاب المظالم - باب أفتية الدور والجلوس فيها والجلوس علي الصعدات .

2 سبق تخريجه .

3 الغزالي ، إحياء علوم الدين، ج2، ص333-339

أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا علي من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا علي أيديهم نجوا جميعاً " 1 في هذا الحديث دلالة علي أن الذي يرتكب معصية ، أو يتهاون في عمل طاعة أنه ليس حراً في تصرفه بل يجب أن يؤخذ علي يده ، ففي الحديث عن أبي بكر رضي الله عنه قال : "يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية : "يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ .." 2 وإني سمعت الرسول -صلي الله عليه وسلم- يقول : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا علي يديه أو شك أن يعمهم الله بعقاب منه " 1 إن الأمة الإسلامية إنما حازت الشرف والخيرية علي الأمم الماضية بهذا الأمر العظيم- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- وبعض الناس يعتقد أو يظن أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص بالملتزمين بالدين وأهل الصلاح أما ذلكم الإنسان المرتكب لبعض المعاصي والأخطاء فليس أهلاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا ظن خاطئ فليس ارتكاب معصية من المعاصي مبرراً ولا مسوغاً لتترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال الشاعر:لئن

لم يعظ الناس من هو مذنب فمن يعظ العاصين بعد محمد؟! 2

المطلب الثالث : أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

أركان الحسبة 3 أربعة هي :

¹ البخاري - صحيح البخاري- ج 2 - ص 882 - رقم الحديث (2361) - كتاب الشركة - باب تقويم الأشياء بين الشركاء بقيمة عدل.

² سورة المائدة / 104 .

¹ الترمذي - الجامع الصحيح سنن الترمذي - ج 4 - ص 467 - رقم الحديث (2168) - كتاب الفتن - باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر .

² عبد الرحمن بن عبد الله السند - الدين النصيحة - ص 57-59 - دار الوراق ودار النيرين للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت والرياض ودمشق الطبعة الثانية - 1423 هـ - 2002 م .

³ عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

أولها المحتسب: وله شروط وهو أن يكون مكلفاً مسلماً قادراً فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والعاجز، ويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا مأذونين ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمرأة والمحتسب أن ينهي بالوعظ وتارة بالقهر حسب الشخص والظروف والمكان. 1

وله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما ليس من خصائص الولاية والقضاة وأهل الديوان ونحوهم ، وكثير من الأمور الدينية هو مشترك بين ولاية الأمور فمن أدي فيه الواجب وجبت طاعته فيه ، فعلي المحتسب أن يأمر العامة بالصلوات الخمس في مواقيتها ، ويعاقب من لم يصل بالضرب والحبس، ويتعاهد الأئمة والمؤذنين ، فمن فرط منهم فيما يجب من حقوق الإمامة ، أو خرج عن الأذان المشروع ألزمه بذلك ، واستعان فيما يعجز عنه بوالي الحرب ، والحكم وكل مطاع يعين علي ذلك ، وذلك أن الصلاة هي أعرف المعروف من الأعمال ، وهي عمود الإسلام وأعظم شرائعه، وهي قرينة الشهادتين ، ويأمر المحتسب بالجمعة والجماعات ، وبصدق الحديث ، وأداء الأمانات ، وينهي عن المنكرات من الكذب والخيانة ، وما يدخل في ذلك من تطيف المكيال والميزان ، والغش في الصناعات ، والبياعات والديانات ، ونحو ذلك ، ويدخل في المنكرات ما نهى الله عنه ورسوله من العقود المحرمة مثل عقود الربا والميسر، ومثل بيع الغرر وربا النسئئة ، وربا الفضل وتصريفة الدابة اللبون، وسائر أنواع التدليس. (1)

وثانيها: المحتسب فيه: وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس ، ومعلوم كونه منكراً بغير اجتهاد. فالمنكر هو كل محذور الوقوع في الشرع ، والمنكر أعم آخر، معصية ، والمنكر يجب إنكاره في حال تلبس الشخص به، فإذا خرج من المنكر واختفي لا ينبغي تتبعه ، وكذا

¹ "الغزالي" أبي حامد محمد بن محمد الغزلي - إحياء علوم الدين- ج 2 - ص 339-340 .
1 ابن تيمية " تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية ، الحسبة في الإسلام ، تحقيق سيد بن محمد بن ابي سعدة ، ص (16 - 20) ، مكتبة دار الارقم ، الكويت ، الطبعة الاولى (1403 هـ - 1983 م) .

من يستتر نفسه بالمعصية فلا يتجسس عليه ، وأن يكون المنكر الذي يراد النهي عنه ، متفق عليه بين العلماء كالخمر والزنا وترك الصلاة وغيرها ، أما ما فيه خلاف ، وقابل للاجتهد فلا إنكار فيه كالدعاء عقب الصلوات المكتوبة وغيره. (1) فليس للمجتهد أن يعترض بالردع والزجر علي مجتهد آخر ، في موقع الخلاف ، إذ كل مجتهد في الفروع مصيب عندنا. ومن قال إن المصيب واحد، فهو غير متعين عنده، فيمتنع زجر أحد المجتهدين للآخر علي المذهبين. (2)

وثالثهما: المحتسب عليه:- وهو كل إنسان ، فيؤمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، ولو كان صبيا يشرب الخمر أو يلعب القمار، والمجنون لو كان يفعل المنكرات يمنع من ذلك ، وكل ما فيه ضرر للغير، إلا العبادات كالصلاة والصوم فلا ينكر عليه ، ولا يؤمر بها. (1) كما يجب علي الإنسان - أي الذي يريد أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر - أن ينظر نفسه أولا فيأمرها بأنواع البر والعمل بما ضيعت منها، ويرى ما هي عليه من المنكرات ظاهراً وباطناً فينهاها عنه ، ثم يتعدي إلي أهل داره فيأمرهم وينهاهم وجيرانه قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ". (2) ثم كلما ظهر له شيء لزمه فرضه حيث ما حل أو نزل لأن الله يقول في كتابه: "أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (3) فالألف في تأمرون الناس بالبر" للتوبيخ ، والتقدير وليست بنهي ، لو نهاه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو في نفسه غير مؤتمر لأدى ذلك إلي تضييع فرضين:-

1 "الغزالي"، إحياء علوم الدين ، ج 2 ، ص (340 - 342).
2 امام الحرمين الجويني ، كتاب الإرشاد الي قواطع الأدلة في اصول الاعتقاد ، تحقيق د. محمد يوسف موسي وعلي عبد المنعم عبد الحميد ، ص 369 ، مكتبة الخانجي ، مصر ، الطبعة الاولى (1399 هـ - 1978 م).
1 "الغزالي" ، إحياء علوم الدين ، ج 2 ، ص 345.
2 سورة التحريم / 6.
3 سورة البقرة / 44.

الفرض الأول: الذي لزمه في نفسه، والفرض الذي لزمه في غيره، فيجتمع عليه إثمَان. فلو اجتمع الصلاح في النفس ، والأمر للغير كان الكمال ، وأفضل الناس في هذا الشأن منزلة الذي إذا ظهر علي المنكر تغيير بظهوره عليه ، كما ورد في الخبر: " خياركم الذين إذا رأوا ذكر الله " (1) وذكر الله من أعظم درجات المعروف. (2)

رابعها: نفس الاحتساب:- وله درجات وآداب: - أما الدرجات والحاجة، التعرف ثم التعريف أي معرفة المعروف والمنكر ، وتوضيحهما للشخص المراد أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، ثم النهي ، ثم الوعظ والنصح ، ثم السب والتعنيف ، ثم التغيير باليد ، ثم التهديد بالضرب ، ثم إيقاع الضرب ، وتحققه ، ثم شهر السلاح ، ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجند. أما الآداب:

فيجب علي الأمر بالمعروف ، والناهي عن المنكر أن يعرف المنكر بوقوعه وظهوره دون تجسس ، أو استراق سمع ، أو اقتحام دار ، أو مس الثوب وفحصه ليعرف ما بداخله ، كما ينبغي للأمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، أن يعرف الشخص الذي وقع في المنكر ، المنكر حتى يتركه بلطف من غير عنف ، وأن ينهي بالوعظ والنصح بآيات الله تعالي ، والأخبار الصحيحة في السنة ، ولا يحتج للمبالغة والاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة . فإن لم يمتنع بذلك ، فله أن يتدرج في باقي الدرجات المذكورة آنفاً، من النهي ثم السب ، ثم التعنيف ،

...الخ . ولكن ذلك لا يتم إلا بالقاضي والحاكم، إلا عند الضرورة والحاجة ، فله أن يدفع باليد علي قدر الحاجة. (1) ثم الذي يتعاطى الأمر بالمعروف لو لم يكن ورعاً لا ينحسم عنه الأمر بالمعروف ،

1 أحمد بن حنبل ، المسند ، ج 6 ، ص 459 ، رقم الحديث (17312) .
2 القصري، شعب الإيمان ، ج1، ص 271.
1 "الغزالي " ، 'حياء علوم الدين ، ج 2 ، ص (346 - 360).

إذما يتعين عليه في نفسه ، فرض متميز عما يتعين عليه به في غيره. ولا تعلق لأحد الفرضين بالآخر . ثم الأمر بالمعروف فرض علي الكفاية ، فإذا قام به كل صقع من فيه غناء ، سقط الفرض عن الباقيين. وللأمر بالمعروف أن يصد مرتكب الكبيرة بفعله إن لم يندفع عنها بقوله. ويسوغ لأحد الرعية ذلك ، مالم ينته الأمر إلي نصب قتال وشهر سلاح ، فإن انتهى الأمر إلي ذلك ، رُبط ذلك الأمر بالسلطات واستعين به. وإذا جار والي الوقت ، وظهر ظلمه وغشمه ، ولم يروعِ عما رُجر عن سوء صنيعه بالقول فلأهل الحل والعقد التواطؤ علي درئه ، ولو بشهر الأسلحة ونصب الحروب ، مالم يكن ذلك يؤدي إلي فتنة عامة ، تؤدي إلي الخروج علي الحاكم.⁽¹⁾

المطلب الرابع: أقسام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فأما الأمر بالمعروف: فينقسم إلي ثلاثة أقسام: أحدها: ما يتعلق بحقوق الله تعالى. والثاني: ما يتعلق بحقوق الآدميين. والثالث: ما يكون مشتركاً بينهما.

- فأما المتعلق بحقوق الله عز وجل فهو: يلزم الأمر به في الجماعة دون الانفراد ، كترك الجمعة في وطن مسكون ، وصلاة الجماعة في المساجد ، وإقامة الأذان فيها للصلوات ، فإن تعطلت هذه الشعائر ، فعلي المحتسب أن يأمر بإقامتها ، وإلا أدبوا علي ذلك ، بخلاف ترك هذه الشعائر من الأفراد فيؤمرون بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، بالنصح والإرشاد.

1 امام الحرمين ، كتاب الارشاد الي قواطع الادلة في أصول الاعتقاد ، ص (269 – 270).

- فأما المتعلق بحقوق الأدميين: فهذا ضربان: عام وخاص. فأما العام: فكالبلد إذا تعطل شربه، أو كان يطرقه بنوالسبيل من ذوي الحاجات، فكفوا عن معונتهم، وكذا لو استهدمت مساجدهم .
 - وأما الخاص: فكالحقوق إذا مطلّت ، والديون اذا أخذت ، وكفالة من تجب كفالته من الصغار واليتامي ، وأما قبول الوصايا والودائع ، فببب له أن يأمر فيها أعيان الناس وآحادهم ، ويجوز أن يأمر بها علي العموم حتأ علي التعاون علي البر والتقوي.
 - أما ما كان مشتركاً بين حقوق الله وحقوق الأدميين: فمثال ذلك ، اخذ الأولياء بنكاح الأيامي اكفائهن اذا طُلبت. وإلزام النساء أحكام العدة إذا فورقن ، وله تأديب من خالف في العدة من النساء ، وليس له تأديب من امتنع من الأولياء. ويأمر السادة بحقوق العبيد والإماء ، وأن لا يكلفهم من الأعمال ما لا يطيقون، وأن يأمر أهل البهائم أن لا يحملوها ما لا تطيق من المتاع.
- (1) أما أقسام النهي عن المنكر: فينقسم الي ثلاثة أقسام: أحدها: ما كان من حقوق الله والثاني : ما كان من حقوق الأدميين. والثالث: ما كان مشتركاً بين الحقين. فأما النهي عنها في حقوق الله تعالى فعلي ثلاثة أقسام: أحدها: ما تعلق بالعبادات : كالقاصد مخالفة هيئتها المشروعة ، او المتعمد تغيير أوصافها المسنونة ، أو امتنع عن الزكاة ، أو الصوم ، أو الحج ، أو ابتدع قولاً أو فعلاً خرق به الاجتماع.
- وثانيها: ما تعلق بالمحظورات ، بأن يمنع الناس من مواقف الريب ، ومظان التهمة فينتقدم الإنكار ، ولا يعجل بالتأديب قبل الإنكار ، ويمنع من يجاهر بشرب الخمر، فتراق منه ويؤدب، وكذا لعب القمار وغيره من المنكرات الظاهرة.

1 المارودي " ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري " الاحكام السلطانية والولايات الدينية- تعليق ، خالد عبد اللطيف السبع- ص (397 – 399) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية (1420 هـ - 1999 م) .

وثالثها: ما تعلق بالمعاملات المنكرة: كالزنا والبيع الفاسدة وما منع الشرع منه ، مع تراضي المتعاقدين به، إذا كان متفقاً على حظره، وكذا يمنع من التطفيف والبخس في المكاييل والموازين وغيرها، مما يتعلق بمعاملات الناس ومعاشهم.

والثاني، ما تعلق بحقوق الأدميين: كأن يتعدى رجل في حد لجاره، أو حريم داره، أو في وضع أجداع على جداره، فلا إعتراض على المحتسب فيه مالم يستعده الجار، لأنه حق يخصه ، فيصح منه العفو عنه والمطالبة به، فإذا وقع الخصام والنزاع وجب على ولي الحسبة التدخل وفض النزاع .
والثالث: ما يُنكر في الحقوق المشتركة: كالمنع من الإشراف علي منازل الناس ، ولا يلزم من علا بناؤه أن يستر سطحه ، وإنما يلزم أن لا يشرف علي غيره . وكذا من كان يطيل الصلاة من الأئمة في المساجد ، حتي يعجز عنها الضعفاء ، وينقطع بها ذوو الحاجات ، أنكر عليهم والي الحسبة ذلك.⁽¹⁾

المطلب الخامس: مراتب النهي عن المنكر:

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول: " من رأي منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف إيمان " ⁽¹⁾ ومن هذا الحديث يتضح لنا أن مراتب تغيير المنكر ثلاث مراتب:

المرتبة الاولى: تغيير المنكر باليد.

المرتبة الثانية: تغيير المنكر باللسان.

المرتبة الثالثة: تغيير المنكر بالقلب.

⁽¹⁾ الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ص 400-412
1 سبق تخريجه.

فاما تغيير المنكر باليد ، فقال بعض العلماء هذا خاص بالأمرء ، وقال بعضهم ، كل من يقدر علي ذلك فالواجب عليه أن يغيره كما قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"⁽¹⁾

ومن التعاون الحث عليه ، وتسهيل طرق الخير إليه ، وسد سبيل الشرور والعدوان بحسب الإمكان.⁽²⁾

وتغيير المنكر باليد أعلي مراتب الإنكار واقواها ، ويلبها التغيير بالقول ، وأضعفها الإنكار بالقلب بأن يكرهه بقلبه ولا يرضي به.⁽³⁾

أما تغيير المنكر باللسان ، فللرعية: بأن يأمر بلسانه ، ويذكر به ، إن قُبل منه ، وإلا استعان بغيره ، أو رفع أمر ذلك الي الحاكم ، إن رجا تغييره هذا في المجاهرين . أما إن وقعت زلة في أهل الستر وخربة⁽⁴⁾ في أهل العفاف ، فمن يستتر فسترها أولي ، ويأمره في السر وحده ولا يكشفه.⁽⁵⁾

أما تغيير المنكر بالقلب : فإذا أظهرت الأمرء المناكير ، وتركت المعروف ، ووضعت السيف ، والعذاب لمن تعرض لها في ذلك ، فيجب إنكاره بالقلب ، والعقد علي ذلك فيقول لقلبه: اللهم إن هذا منكر لو قدرت لغيرته ، وإنما أنكره وأنكر أهله ويقول في المعروف أيضاً ، إذا رأي أنه لا يقدر أن

1 سورة المائدة / 2.
2 الغزالي " ابي حامد محمد بن محمد الغزالي ، مكاشفة القلوب المقرب الي حضرة علام الغيوب - تحقيق : ابو عبد الرحمن صلاح محمد محمد عويضة - ص 42 - دار المنار - القاهرة ، بدون .
3 الشيخ ابراهيم محمد بن احمد الشافعي البيجوري - تحفة المرید في شرح جوهرة التوحيد - ص 121 - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الاولى (1422 هـ - 2001 م) .
4 الخربة : الزلة ، والكلمة القبيحة ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج 1 ، ص 347 ، مادة ، خ ، ر ، ب .
5 القصري ، شعب الايمان ، ص 270 .

يأمر به ، لو قدرت لأمرت بفعل هذا الخير الذي قد ضاع العمل به . لكن يجب علي العلماء
الداخلين علي الأمرء التلطف للأمرء بالقول ، يأمرونهم في السر اذا شهدوا المناكير فيقولون له:
مثلك لا يليق به. إلا ما يُحمد عليه، ويُشكر، وأن هذا الأمر الذي احدثته الخلق يكرهونه منك ،
ويذمونك عليه، ونحو هذا مما يظن أنه ينفع.⁽¹⁾ ومعني ضعف الإنكار بالقلب: دلالاته علي غرابة
الإسلام وعدم انتظامه وتطبيقه في واقع المجتمع.⁽²⁾

المطلب السادس: شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

واعلم أن لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروطاً :

أحدها: أن يكون المتولي لذلك عالماً بما يأمر به وينهي عنه ، فالجاهل بالحكم لا يحل له الأمر
والنهي ، فليس للعوام أمر ولا نهى فيما يجهلونه ، وأما الذي استوي في معرفته العام والخاص ، ففيه
للعالم وغيره الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وثانيها: أن يأمن أن يؤدي إنكاره إلي منكر أكبر منه ، كأن ينهي عن شرب الخمر فيؤدي نهيهِ إلي

قتل النفس أو نحوه فعدم هذين الشرطين يوجب التحريم

1 القصري ،شعب الايمان ، ص 270.

2 الشيخ ابراهيم بن محمد بن احمد الشافعي البيجوري ، تحفة المرید شرح جوهرة التوحيد ، ص 121.

وثالثهما : أن يغلب علي ظنه أن أمره بالمعروف مؤثر في تحصيله ، وأن نهيه عن المنكر مُزيل له ، وعدم هذا الشرط يُسقط الوجوب ويبقى الجواز إذا قطع بعدم الإفادة ، والندب إذا شك فيها. وليس من شروط الوجوب أن لا ييأس من أجابته لأن الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، عليه الأمر أو النهي فقط، لا القبول، فكما قال تعالى: "مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ" (1) ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه ، بل يجب عليه فعله. (2)

ورابعها: التحقق من المنكر ، فيجب عليه - الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر - أن يتحقق فيما يريد أن ينكره منكرًا محققًا دل علي إنكاره كتاب الله أو سنة رسول الله -صلي الله عليه وسلم- أو أجماع المسلمين ، لأن بعض الناس قد يرى فعلاً من الأفعال ، أو يسمع قولاً من الأقوال ، يظنه منكرًا بحسب ما جرت عليه عادات الناس وتقاليدهم ، ولكنه في الشرع ليس بمنكر ، بل هو معروف ، وقد يحصل العكس ، فيرى بعض الناس المعروف شرعاً منكرًا عندهم ، وهذا ما يحدث كثيراً جداً في هذا الزمان.

وخامسها: التثبت من المنكر ، أي أن يتأكد من أنه وقع بالفعل منكرًا فيجب عليه أن يسارع بإنكاره لا بمجرد الظن والشبهات.

وسادسها: أن يأمن علي نفسه من القتل أو الضرب ، أو التعذيب ، المفضي إلي الهلاك ، من قبل من أمره بمعروف أو نهاه عن منكر ، فإن لم يأمن علي نفسه من ذلك ، سقط عنه ولا يُطالب به ،

1 سورة المائدة / 99.
2 الشيخ ابراهيم بن محمد احمد الشافعي البيجوري ، تحفة المرید شرح جوهرة التوحيد ، ص / 222 - 223 .

وكذا أن يأمن علي عرضه من القذف ، والإيذاء والهتك ، وماله من الإلتلاف والسرقة ، فإن لم يأمن من ذلك كله، سقط عنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.⁽¹⁾

أما آداب الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر فكثيرة نذكر منها:

1- **العلم:** أي العلم بالمعروف ، لمن أراد أن يأمره به ، والمنكر لمن أراد أن ينهاه عنه، بحيث يكون المعروف معروفاً في الشرع ، والمنكر منكراً في الشرع ، فالجاهل لا يتصور منه ولا يقبل منه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، من غير معرفة ذلك معرفة تامّة وعلماً يقيناً.

2- **الورع:** ليردعه عن مخالفة معلومة ، فما كل من علم عمل بعلمه .

3- **حسن الخُلق:** ليهديه ويقوده إلي اللطف والرفق ، وهو أصل الباب وأسبابه. فالعلم والورع لا

يكفيان فيه . فإن الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم ، والورع ، ما لم يكن في الطبع قبوله

بحسن الخلق. فهذه الصفات الثلاثة بها يُفعل الأمر بالمعروف ويدفع النهي عن المنكر ،

ويصير من القُربات إلي الله تعالى ، فإن فُقدت لم يندفع المنكر ، وربما صار الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر منكراً ، لمجاوزته حد الشرع . و لا يشترط في الأمر بالمعروف والناهي

عن المنكر، الفقه مطلقاً ، بل له أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فيما يعلمه من ذلك ، ولا

يشترط العمل بكل المعروف والانتهاه عن كل منكر ، فلوكان ذلك كذلك، لم يوجد من يأمر

بالمعروف وينهي عن المنكر ، إلا الأنبياء فقط ، فلا معصوم من البشر أحد إلا الأنبياء.⁽¹⁾

1 عبد غالب احمد عيسي ، أضواء عي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص 35 - 40 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى 1407 هـ - 1987 م .

1 "الغزالي" ، احياء علوم الدين ، ج 2 ، ص 361 - 362.

المطلب السابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شعب الإيمان:

وهما شعبتان مرتبطتان كل واحدةٍ بصاحبتهما ، لأن الأمر بالشئ نهي عن ضده ، والنهي عن الشئ أمر بفعل ضده، والدليل علي أنهما من شعب الإيمان ففي صحيح الاخبار وآيات القرآن الكريم . روت عائشة -رضي الله عنه- في الصحيح أن رسول الله -صلي الله عليه قال-: " إن الله خلق كل إنسان من بني آدم علي ستين وثلاثمائة مفصل ، فمن كبر الله وحمد الله ، وهلل الله ، وسبح الله ، واستغفر الله ، وعزل حجراً من طريق ، أو شوكة ، أو عظماً أو أمر بمعروف ، أو نهي عن منكر ، عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامي ⁽¹⁾ ، فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار" ⁽²⁾ فساق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معدوداً من شعب الإيمان، لأن التهليل والذكر كله وإماطة الأذي الذي هو الشوك ، والعظم والحجر ، من شعب الإيمان . والأمر بالمعروف والنهي

1 السلامي : يفتح الميم هي عظام الاصابع وهي اسم للواحد والجمع ، الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج 1 ، ص 736 .
2 مسلم ، صحيح مسلم ، ج 2 ، ص 698 ، رقم الحديث (1007) ، كتاب الزكاة ، باب بيان اسم الصدقة يقع علي كل نوع من المعروف .

عن المنكر أقوى شعب الإيمان بوجه واضعفه أيضاً بوجه آخر، كما روي ابو سعيد الخدري قال: " سمعت رسول الله -صلي الله عليه وسلم - يقول: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فقلبه وذلك أضعف الإيمان" (1) يعني أن التغيير بالقلب دون اليد، واللسان أضعف الإيمان، فجعله من الإيمان، فكذلك تغييره باللسان، واليد أقوى الإيمان. والأمر بالمعروف هو الحجة كذلك تسميته عند أهل العلم كما قال تعالى: "رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِأَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" (1) لأن الرسل أمرتهم بالمعروف. والنهي عن المنكر هو الوقاية، أي وقاء الناس من العذاب قال تعالى: "وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" (2) يعني أهل المنكر إذا لم يُغير عليهم. فالأمر بالمعروف هو الأمر بفعل الخيرات كلها التي أمر الله بها ورسوله، والنهي عن المنكر هو النهي عن ارتكاب المحرمات كلها، وهو علي مقامات ثلاث: مقام في الظاهر ومقام في الباطن، وهو مقام الإيمان وعالم النفس، فينهى النفس عن الهوي، ويأمرها بالتزام التقوي، وامتثال خواطر المعروف واجتناب خواطر المنكر. ومقام باطن في مقام الإحسان والروح، أمرٌ بالتزام المعروف الحق سبحانه، والإقبال عليه، ونهي عن الإعراض عنه، وإيثار سواه، ونهي عن توهم إله، فإنه أنكر المنكرات. (3)

1 سبق تخريجه.

1 سورة النساء / 165.

2 سورة الانفال / 25.

3 الامام الزاهد ابي محمد عبد الجليل بن موسي بن عبد الجليل القصري، شعب الايمان، ص 267- 269.

المطلب الثامن: الفرق بين المتطوع والمُحتسب والعلاقة بين الحسبة وأحكام القضاء:

الفرق بين المحتسب والمتطوع من تسعة أوجه:

أحدها: أن فرضه متعين علي المحتسب ، بحكم الولاية وفرضه علي غيره داخل في فروض الكفاية.

ثانيها: إن قيام المُحتسب به من حقوق تصرفه الذي لا يجوز أن يتشاغل عنه، وقيام المتطوع به من نوافل عمله الذي يجوز أن يتشاغل عنه بغيره.

ثالثها: أنه منصوب للاستعداد إليه فيما يجب إنكاره وليس المتطوع منصوباً للاستعداد

رابعها: أن علي المحتسب إجابة من استعداه وليس علي المتطوع أجابته.

خامسها: أن عليه أن يبحث عن المنكرات ليصل إلي إنكارها ، ويفحص عما تُرك من المعروف الظاهر ليأمر بإقامته ، وليس علي غيره من المتطوعة بحث ولا فحص .

سادسها: إن له أن يتخذ علي إنكاره أعواناً لأنه عملٌ هو له منصوب ، وليس للمتطوع أن يندب لذلك أعواناً.

سابعها: إن له أن يُعذر في المنكرات الظاهرة لا يتجاوز إلي الحدود ، وليس للمتطوع ذلك. **ثامنها:** إن له أن يرتزق علي حسبته ، ولا يجوز للمتطوع أن يرتزق علي إنكار منكر.

تاسعها: إن له اجتهاد رأيه فيما تعلق بالعرف دون الشرع ، كالمقاعد في الاسواق ، وليس للمتطوع ذلك .

أما العلاقة ما بين الحسبة وأحكام القضاء والمظالم، فهي أن الحسبة واسطة بين احكام القضاء، وأحكام المظالم فاما ما بينهما وبين أحكام القضاء: فهي موافقة لأحكام القضاء من وجهين، ومقصورة عنه .من وجهين، وزائدة عليه من وجهين: فاما الوجهان في موافقتها لاحكام القضاء: فأحدها: جواز الاستعداد اليه وسماعه دعوي المستعدي علي المستعدي عليه في حقوق الأدميين، وليس هذا علي عموم الدعاوي، وإنما يختص بثلاثة أنواع من الدعوي: أحدها: أن يكون فيها يتعلق ببخس وتطفييف في كيل أو وزن. والثاني: ما يتعلق بغش أو تدليس في مبيع أو ثمن. والثالث: فيما يتعلق بمطل وتأخير لدين مستحق مع المكنة. وإنما حصروا ذلك في هذه الأنواع الثلاثة لتعلقها بمنكر ظاهر.

والوجه الثاني: إن له إلزام المُدَّعي عليه للخروج من الحق الذي عليه، وليس هذا علي العموم في كل الحقوق، وإنما هو خاص في الحقوق التي جاز له سماع الدعوي فيها، مع الاعتراف والإقرار. وأما الوجهان في قصورها عن أحكام القضاء: فأحدها: قصورها عن سماع عموم الدعاوي الخارجة عن ظواهر المنكرات. من الدعاوي في العقود والمعاملات وسائر الحقوق والمطالبات. **والوجه الثاني:** إنها مقصورة علي الحقوق المعترف بها، لا المختلف فيها. وأما الوجهان في زيادتها علي أحكام القضاء : فأحدهما: أنه يجوز للناظر فيها أن يتعرض لتصفح ما يأمر به من المعروف، وينهي عنه من المنكر، وليس للقاضي أن يتعرض لذلك إلا بحضور خصم. **والثاني:** أن الناظر في الحسبة من سلطنة السلطنة، فيما تعلق بالمنكرات ما ليس للقضاة، لأن الحسبة موضوعة للرهبنة،

فلا يكون خروج المحتسب إليها بالسلطة والغلظة تجوراً فيها ولا خرقاً والقضاء موضوع للمناصفة فهو بالأناة والوقار أخص.⁽¹⁾

المطلب الأول: معاني ودلالات البر والتقوى والإثم والعدوان في اللغة والاصطلاح:

قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ " (1)

فالبر في اللغة هو: الصلة والجنة والخير والانتساع في الإحسان والحج. ويقال بر حرك وبر بفتح الباء وضمها فهو مبرور والبر: الصدق والطاعة .⁽²⁾

والتقوى في اللغة: أصلها من وقوي ، ووقى وكل ما وقى شيئاً فهو وقاء له ووقاية⁽³⁾

ووقى " الواو والقاف والياء كلمة واحدة تدل علي دفع شئ عن شئ بغيره، ووقيته أقبه وقياً . والوقاية ما يقي الشئ ، واتق الله توفه أي اجعل بينك وبينه كالوقاية.⁽⁴⁾

أما معني الإثم : في اللغة فهو : الذنب وقيل هو: أن يعمل ما لا يحل له ، وفي التنزيل " والإثم والبغي بغير الحق" . ومنه تأثم الرجل : تاب من الإثم واستغفر منه ، الولي، لإثم آثم ومنه أثم فلان بالكسر يَأْثِمُ إِثْماً ومأثماً أي وقع في الإثم أي عقوبة الإثم.⁽⁵⁾

1 الماوردي، الإح2. السلطانية والولايات الدينية، ص 391 – 393.

1 سورة المائدة / 2 .

2 الفيروزبادي ، القاموس المحيط ، ج 1 ، ص 370 ، مادة (ب ، ر ، ر)

3 الفراهيدي " ابي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي ، كتاب العين ، تحقيق . د . مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي ، ج 2 ، ص 238 – 239 ، مادة (و ، ق ، ي) ، دار مكتبة الهلال ، بدون

4 ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة – تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ج 6 ، ص 131 ، مادة (و ، ق ، ي) ، مصطفى الياس الحلبي واولاده ، مصر ، الطبعة الثالثة (1402 هـ - 1980 م) .

أما ما ورد في معني العدوان: في اللغة فهو: ضد الولي ، والجمع الأعداء يقال عدو بيّن . والعدوان والمعادة والأنتى عدوة. والعداء بكسر العين ، الأعداء وهو جمع لا نظير له . والعادي : العدو ، وتعادي القوم من العداوة والعداء بالفتح والمد تجاوز الحد في الظلم ، يقال عدا عليه من باب " سما " وعدواً وعداه يعدوه عدواً جاوزه. والتعدي مجاوزة الشيء إلي غيره . والعدوان " الظلم الفُراح" (1) أما ما ورد في معاني ومدلولات هذه الكلمات الأربعة البر والتقوى والإثم والعدوان. في الاصطلاح فهو:

فالبر والتقوى قيل: لفظان لمعني واحد ، وكررا في الآية للتأكيد . وقيل البر يتناول الواجب والمندوب ، والتقوى تخص الواجب وقيل في البر : رضا الناس وفي التقوى رضا الله. والإثم هو: كل فعل أو قول يوجب إثم فاعله ، أو قائله . والعدوان : التعدي علي الناس بما فيه ظلم وتجاوز الحد . (2) وقال ابن عباس: البر : ما أمرت به ، والتقوى : ما نُهيته عنه. (3)

والبر نوعان: صلة ومعروف : فأما الصلة : فهي التبرع ببذل المال في الجهات المحمودة لغير عوض مطلوب . والنوع الثاني من البر هو : المعروف ويتنوع إلي نوعين: قول وعمل. فأما القول فهو طيب الكلام وحسن البشر ، والتودد وجميل القول ، وهذا يبعث عليه حسن الخلق وجميل الطبع . ويجب أن يكون محدوداً كالسخاء ، فإنه إن أسرف فيه كان ملقاً مذموماً. وأما العمل : فهو بذل الجاه والإسعاد بالنفس والمعونة في النائبة ، وهذا يبعث عليه الخير وإيثار الصلاح لهم. (4)

1 ابن منظور " محمد بن مكرم الافريقي المصري " لسان العرب ، ج 1 ، ص 28 - 29 ، مادة (أ ، ث ، م)
1 الشيخ محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، ص 176 ، مادة (ع ، د ، و) . مكتبة لبنان ، (1992 م) .
2 الشوكاني " ، فتح القدير ، ج 2 ، ص 7 .
3 الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج 4 ، ص 72 .
4 الماوردي " ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، ادب الدنيا والدين - تحقيق : محمد بن محمد بن فريد ، ص 229 - 250 - المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، بدون .

وقال ابن عباس: البر متابعة السنة . وقال بعض العارفين التقوى : ثلاثة : تقوي الخواص . الذين يمتثلون الأوامر ويجتنبون النواهي . وتقوي العوام : وهي تقوي الشرك . وفوقها تقوي خواص الخواص وهي تقوي ما يشغل عن الله. (1)

وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبيعاً عن التقوى فقال : هل أخذت طريقاً ذا شوك ؟ قال نعم : قال : فما عملت ؟ قال : تشمرت وحذرت ، قال : فذاك التقوى. (1)

وقال أبو يزيد البسطامي (2). المتقي من إذا قال ، قال الله ، ومن إذا عمل ، عمل لله. وقيل المتقي الذي اتقى الشرك وبرئ من النفاق. (3)

1 الصاوي ، حاشية الصاوي علي الجلالين ، ج 1 ، ص 7.

1 القرطبي ، احكام القران ، ج 1 ، ج 1 ، ص 207.

2 هو طيفور بن عيس بن علي أحد مشايخ الصوفية وكان جده مجوسياً فأسلم وكان لابي يزيد أخوات صالحات عابدات وهو اجلهم قيل لابي يزيد بأي شيء وصلت الي المعرفة فقال ، ببطن جائع وبدن عابد . كان يقول دعوت نفسي الي طاعة الله فلم تجبني فمنعتها الماء سنة وقال اذا رايتم الرجل قد اعطي من الكرامات حتي يرتفع في الهواء فلا تغفروا به حتي تنظروا كيف تجدونه عند النهي وحفظ الحدود . توفي سنة احدى وستين ومائتين ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 11 ، ص 35 ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، بدون.

3 القرطبي " احكام القران ، ص 207 .

المطلب الثاني: الأدلة من القرآن والسنة والعقل علي أهمية التعاون والتكافل:

التعاون والتكافل الاجتماعي دلت عليه آيات كثيرة من القرآن الكريم ، بصريح القول ، منها قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ " (1) وقوله تعالى: " وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً " (2) ففي هذه الآية حث علي عبادة الله وحده، وعدم الإشراف به، وبر الوالدين، والإحسان إلي ذوي القربى من الأهل واليتامى، أي من مات أبوه وهو دون البلوغ، والإحسان إلي الجار القريب منك في الجوار أو النسب، وكذا الجار البعيد، والإحسان إلي الرفيق في السفر ، ومساعدة المنقطع في سفره والأرقاء إن الله يبغض المتكبر علي عباده بما انعم الله عليه من نعم وكرر " وبذي القربى " و كرر الباء في وبذي القربى إشارة إلي تأكيد حق القرابة. (3)

ومن الأدلة قوله تعالى: " لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنَ

1 سورة المائدة / 2 .

2 سورة النساء / 36.

3 الصاوي ، حاشية الصاوي علي الجلالين ، ج 1 ، ص 219.

السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي
الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ " (1) قال القرطبي : قال علماءنا
هذه آية تضمنت ست عشرة قاعدة : الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته ، والنشر ، والحشر والميزان ،
والصراط ، والخوف ، والشفاعة ، والجنة ، والنار ، والملائكة والكتب المنزلة ، وإنها حق من عند الله
والنبيين ، وإنفاق المال فيما يعين من الواجب والمندوب ، وإيصال القرابة وترك قطعهم وتفقد اليتيم
وعدم إهماله والمساكين كذلك ، ومراعاة ابن السبيل ، والسؤال ، وفك الرقاب ، والمحافظة علي
الصلاة وإيتاء الزكاة ، والوفاء بالعهود والصبر في الشدائد ، وكل قاعدة من هذه القواعد تحتاج إلي
كتاب (1)

أما السنة النبوية : فإن الأحاديث أكثر من أن تحصي نذكر منها:-

روي البخاري في كتاب الأدب: أن النبي -صلي الله عليه وسلم- : قال " تري المؤمنين في تراحمهم
وتواددهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر
والحمى". (2) وقال -صلي الله عليه وسلم-: "والذي نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه
ما يحب لنفسه". (3) وقال أيضا -صلي الله عليه وسلم-: " من كان له فضل زاد فليعد به علي من
لا زاد له " (4) قال أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - راوي الحديث: فنذكر من أصناف المال
ما ذكرحتي رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل ، وهذا يمثل قمة الإيثار والتعاون. (5) وحينما انتصر

1 سورة البقرة / 177.

1 القرطبي ، احكام القران ، ج 2 ، ص 236.

2 البخاري ، صحيح البخاري ، ج 5 ، ص 2238 ، رقم الحديث (5665) ، كتاب الادب ، باب رحمة الناس والبهائم.

3 النسائي " ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي ، المجتبى من السنن ، تحقيق : عبد القادر ابو غدة ، ج 6 ، ص 534 ، رقم

الحديث (11748) ، كتاب الايمان وشرائعه ، باب علامة الايمان ، مكتب المطبوعات الاسلامية ، حلب ، سوريا ، الطبعة الثانية (

1406 هـ - 1986 م .)

4 مسلم ، صحيح مسلم ، ج 3 ، ص 1354 ، رقم الحديث (1728) ، كتاب اللقطة باب استحباب المواساة بفضول المال.

5 عبد الله ناصح علوان ، التكافل الاجتماعي في الاسلام ، ص 11- 12 ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، مصر ،

القاهرة ، الطبعة السابعة 1428 هـ - 2007 م .

رسول الله -صلي الله عليه وسلم- علي بني النضير ⁽¹⁾ ووضع يده علي فيئهم دعا صلي الله عليه وسلم الأنصار - الأوس والخزج- فحمد الله وأثني عليه بما هو أهله ثم ذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين من إنزالهم في منازلهم وإيثارهم علي أنفسهم بأموالهم ثم قال لهم : إن إخوانكم المهاجرين ليس لهم أموال فان شئت قسمت هذه الأموال أي التي أفاء الله علي وخصني بها مع أموالكم بينكم جميعاً، وإن شئت أمسكت أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة فقالوا : بل أقسم هذه فيهم وأقسم لهم من أموالنا ما شئت. ⁽¹⁾ وهذا مما يدل دلالة واضحة علي حرص النبي صلي الله عليه وسلم في إيجاد المجتمع المتكافل المتوازن. وفي تحقيق التعاون الشامل بين أبناء المجتمع الواحد حكماً ومحكومين ، أفراداً وجماعات، صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً . ومن الأدلة كذلك الإجماع : فإن المسلمين في كل زمانٍ ومكانٍ قد أجمعوا علي أهمية التعاون والتكافل والتساند، واتفقوا علي حماية الضعيف ونصرة المظلوم .

أما الدليل الفعلي لنظام التكافل: فإنه من المعلوم بداهة وعقلاً أن المجتمع الذي يقوم علي التعاون والتكافل فهو مجتمع حصين متين ، متمسك لا تؤثر فيه معاول الهدم ، لذا لجأت كثيراً من الدول اليوم إلي الاتحاد وتكوين منظومات اقتصادية ، أو سياسية أو ثقافية ، حتي تقوى شوكتها، كما أن التعاون والتكافل علي مستوي الأفراد يزيل الضغائن والحسد ، والحقد بين أفراد المجتمع . ⁽²⁾ وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر، فالتعاون علي

1 قوم من اليهود بالمدينة وقريتهم يقال لها زهرة وكانت الغزوة في سنة 4 هجرية اول ربيع ، برهان الدين الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج 2 ، ص 559 .

1 برهان الدين الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج 2 ، ص 559 .

2 عبد الله ناصر علوان ، التكافل الاجتماعي في الاسلام ، ص 13 - 18 .

جلب منافعهم والتناصر لدفع مضآرهم ولهذا يقال : الإنسان مدني بالطبع ، فإذا اجتمعوا فلا بد من

أمر يفعلونها يجتلبون بها المصلحة ، وأمر يجتنبونها لما فيها من المفسدة.⁽¹⁾

1 ابن تيمية ، تقي الدين احمد بن عبد الحلیم ، الحسبة في الاسلام ، ص 9.

المطلب الثالث: دلالة قوله تعالى:

" ... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ... " (1)

لما نهاهم عن الاعتداء في قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ " (2) في نفس الآية أمرهم بالتعاون على البر والتقوي أي ليعن بعضكم بعضاً على ذلك . وهو يشمل كل أمر يصدق عليه أنه من البر والتقوي كائناً ما كان، وقيل إن البر والتقوي لفظان لمعني واحد كررا للتأكيد. (1) إذ كل بر تقوي وكل تقوي بر . وقيل البر يتناول الواجب والمندوب إليه، والتقوي رعاية الواجب، فإن جعل أحدهما بدل الآخر فيتجور (2) فمن جمع بينهما فقد تمت سعادته ثم نهاهم سبحانه عن التعاون على الإثم والعدوان، فالإثم: كل فعل أو قول يوجب إثم فاعله أو قائله. والعدوان: التعدي على الناس بما فيه ظلم، فلا يبقى نوع من أنواع الموجبات للإثم، ولا نوع من أنواع الظلم للناس الذين من جملتهم النفس، إلا وهو داخل تحت هذا النهي لصدق هذين النوعين على كل ما يوجد فيه معناهما . ثم أمر عباده بالتقوي وتوعد من خالف ما أمر به فتركه أو خالف ما نهى عنه ففعله بقوله "إن الله شديد العقاب" لمن خالف أمره أو فعل نهيه. (3)

فالخطاب في هذه الآية للمؤمنين نهاهم عن الاعتداء في أي أمر من الأمور في الشهر الحرام، بأن لا يستحلوه بقتال، ولا غارة، ولا تبدلوا الأشهر الحرم ، فإن استبدالها استحلال لها، وذلك

1 سورة المائدة / 2.

2 سورة المائدة / 2.

1 الشوكاني ، فتح القدير ، ج 2 ، ص 7 .

2 القرطبي ، احكام القران ، ج 6 ، ص 40

3 الشوكاني ، فتح القدير ، ج 2 ، ص 7

ما كانوا يفعلونه من النسئ، فأمرهم أن لا يمنعوا الكفار القاصدين البيت على جهة التعبد والقربة فلا يحملنكم بغض قوم صدوكم عن المسجد الحرام ، من قبل أن تعتدوا الحق إلي الباطل فتمنعوهم عن المسجد الحرام، وإن كان هذا الأمر منسوخ بقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " (1) ثم أمرهم تعالى بالتعاون علي البر والتقوى: أي ليعن بعضكم بعضاً، وتحاثوا علي ما أمر الله تعالي ، واعملوا به ، وانتهوا عما نهى الله عنه ، وهذا موافق لما روي عن النبي -صلي الله عليه وسلم- أنه قال : " الدال علي الخير كفاعله " (1) وقال الماوردي: ندب الله سبحانه وتعالى إلي التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له، لأن في التقوى رضا لله تعالي، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بينهما فقد تمت سعادته، وعمت نعمته، والتعاون علي البر والتقوى يكون بوجوده، فواجب علي العالم أن يعين الناس بعلمه ، فيعلمهم، ويعينهم الغني بماله ، والشجاع بشجاعته ، في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة قال -صلي الله عليه وسلم-: " المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد علي من سواهم " (2) ويجب الإعراض عن المعتدين ، وترك النصر له، ورده عما هو عليه، ثم أمر بالتقوى وتوعد توعداً مجملاً بقوله : "إن الله شديد العقاب" للمخالف. (3) وهذا وعيد وتهديد لمن خالفه. (4)

المطلب الرابع: من صور التعاون علي البر و التقوى: الإيثار والمواخاة:

1 سورة التوبة / 28 .
1 احمد بن حنبل ، المسند ، ج 5 ، ص 274 ، رقم الحديث (22414) .
2 أبو داؤود ، سنن ابي داؤود ، ج 2 ، ص 89 ، رقم الحديث (2751) باب، في السرية ترد علي اهل العسكر .
3 القرطبي ، احكام القرآن ، ج 6 ، ص 36 - 46 .
4 الصاوي ، حاشية الصاوي علي الجلالين ، ج 1 ، ص 365.

ومن منازل: " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ " (1) منزلة "الإيثار" قال تعالى: " وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (2) فالإيثار ضد الشح. فإن المؤثر علي نفسه تارك لما هو محتاج إليه. والشحيح : حريص علي ما ليس بيده ، فإذا حصل بيده شئ شح عليه. وبخل بإخراجه ، فالبخل ثمره الشح. والشح يأمر بالبخل. فالبخل : من أجاب داعي الشح . والمؤثر : من أجاب داعي الجود . كذلك السخاء عما في أيدي الناس هو السخاء ، وهو أفضل من سخاء البذل. وهذا المنزل: هو منزل الجود والسخاء والإحسان. وسُمي بمنزل " الإيثار " لأنه أعلي مراتبه، فإن المراتب ثلاث:

أحدها: أن لا ينقصه البذل، ولا يصعب عليه. فهو منزلة " السخاء".

ثانيها: أن يعطي الأكثر ويبقي له شيئاً أو يبقي مثلما أعطي وهو " الجود" .

ثالثها: أن يؤثر غيره في الشئ مع حاجته إليه وهو منزلة " الإيثار". وهذه الصفة اتصف بها الأنصار. (1)

قال أبو يزيد البسطامي: (2) ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ قدم علينا حاجاً فقال

لي: يا أبا يزيد ، ما حد الزهد عندكم؟ فقلت: إن وجدنا أكلنا وإن فقدنا صبرنا . فقال: هكذا زهد كلاب بلخ عندنا . فقلت ما حد الزهد عندكم؟ قال: إن فقدنا شكرنا ، وإن وجدنا آثرنا ، والإيثار : هو تقديم الغير علي النفس وحفظها الدينوية ورغبة في الحظوظ الدينية . وذلك ينشأ عن قوة اليقين ، وتوكيد المحبة ، والصبر علي المشقة ، فالإيثار ، التفضل علي النفس ، فعن أبي هريرة -رضي الله

1 سورة الفاتحة / 5 .

2 سورة الحشر/ 9.

1 ابن القيم الجوزية ، مدارج السالكين ، ج 2 ، ص 303 – 304 .

2 سبقت ترجمته.

عنه- ، أن رجلاً من الأنصار بات به ضيف فلم يكن عنده إلا قوته وقوت عياله، فقال لإمراته :
نومي الصبية وأطفئ السراج وقرى الضيف ما عندك ، فنزلت الآية (1) " وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ
مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ
كَانَ بِهِمْ حَصَصَةٌ وَمَنْ يُوَقِّ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (2) فالإيثار بالنفس فوق الإيثار بالمال
، وأفضل الجود الجود بالنفس، علي حماية رسول الله -صلي الله عليه وسلم- ففي الصحيح أن أبا
طلحة (1) رضي الله عنه- ترس علي النبي -صلي الله عليه وسلم- يوم أحد وكان النبي -صلي الله
عليه وسلم- يستطلع ليرى القوم فيقول له أبو طلحة : لا تشرف يا رسول الله ، لا يصيبونك ! نحري
دون نحرك ووقي بيده رسول الله -صلي الله عليه وسلم- فشلت. (2)

وعند الصوفية أن حد المحبة : إنها الإيثار. ألا تري أن امرأة العزيز لما تناهت في حبها
ليوسف عليه السلام أثرته علي نفسها وقالت: أنا راودته عن نفسه" (3)

والمواخاة أو الأخوة في الله وفي الدين : دعا إليها الله عز وجل وحبب إليها رسوله -صلي
الله عليه وسلم- قال تعالى: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " (4)
وقال تعالى: " وَاللَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ
بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " (5) وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ " (6) وقال -

1 مسلم ، صحيح مسلم ، ج 3 ، ص 1624 ، رقم الحديث (2054) ، كتاب الاشرية ، باب اكرام الضيف وفضل ايثاره.
2 سورة الحشر/ 9.

1 طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن سعد التيمي القرشي يكني ابا محمد يعرف بطلحة الفياض أخي رسول الله صلي الله عليه وسلم
لما قدم المدينة بينه وبين كعب بن مالك لم يشهد بدرًا لانه كان في الشام في تجارة وكان من المهاجرين الاولين شهد احدا وما بعدها من
المشاهد وهو احد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة الذين جعل فيهم عمر الشوري قتل في واقعة الجمل . ابن عبد البر ، ابي عمر يوسف
ابن عبد الله القرطبي ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، تحقيق:الشيخ علي محمد معوض وآخرون ، ج 2، ص316-320 ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون .

2 ابن حبان " ابوحاتم محمد بن حبان بن احمد التميمي ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق : شعيب الاورناوط ، ج 10 ، ص 443
، رقم الحديث (4582) ذكر الاباحة للمرء ان يفدي امامه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية (1414هـ - 1993م)

3 القرطبي ، احكام القران ، ج 18 ، ص 24 - 29 .

4 سورة الحجرات/ 10 .

5 سورة الانفال / 63 .

صلي الله عليه وسلم:- " المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد علي من سواهم" (2)

والمؤاخاة وقعت مرتين، مرة بين المهاجرين قبل الهجرة، ومرة بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة، فأخي رسول الله -صلي الله عليه وسلم- بين كل اثنين أنصاري ومهاجري ، حتى يعن بعضهم بعضاً، ومن أعظم مظاهر هذه الأخوة ما حصل بين صحابييين جليين هما : عبد الرحمن بن عوف (1) من المهاجرين وسعد بن الربيع (2) من الأنصار فقال سعد لعبد الرحمن بن عوف : يا عبد الرحمن إني من أكثر الأنصار مالاً فأنا مقاسمك ، وعندني امرأتان ، فأنا مطلق إحداهما ، فإذا أنقضت عدتها فتزوجها. فقال له : بارك الله لك في أهلك ومالك. (3)

وهكذا وصلت أمور التكافل والأخوة في ذلك العهد ، وربما يراه البعض من الناس ضرب من ضروب الخيال وقصص الأولين الغابرة . وكان الأشعريون (4) في المدينة إذا جاعوا جمع كل واحد ما عنده من الطعام كثيراً كان أم قليلاً ثم يضعونه في صعيد واحد ، ثم يقتسمونه بالسوية . فكتب السيرة والتراث الاسلامي مليئة بمثل هذه القصص والوقائع المشرفة، التي نحن في أمس الحاجة إليها اليوم لاشتداد الفقر والعوز في الأمة الإسلامية ، الذي أدى إلي تنصير عدد كبير من المسلمين عن دينهم خاصة في أفريقيا ودول شرق آسيا والعياذ بالله . (5)

1 سورة الانفال / 64.
2 سبق تخريجه.
1 عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث القرشي الزهري ابو محمد أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة اصحاب الشورى اسلم قديماً وهاجر الهجرتين وشهد بدرأ وسائر المشاهد مات سنة 31هـ ودفن في البقيع . ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة ، ج4 ص776-778 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون.
2 سعد بن الربيع بن عمرو بن ابي زهير الأنصاري الخزرجي أحد نقباء الأنصار أخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الرحمن بن عوف استشهد يوم أحد . ابن حجر ، الإصاية ، ج3 ، ص77.
3 برهان الدين الحلبي ، السيرة الحلبيية ، ج 2 ، ص 292.
4 قدموا علي الرسول -صلي الله عليه وسلم- وهم خمسون رجلاً ، منهم أبو موسي الأشعري ، وبايعوا رسول الله -صلي الله عليه وسلم- ، في خيبر "أبن سعد" ، الطبقات الكبرى، ج 1 ، ص 262 .
5 زكريا بشير امام ، اصول الفكر الاجتماعي في القران الكريم ، ص 88 - 89 ، روائع مجدلاوي ، عمان ، الاردن ، الطبعة الاولى (1420هـ - 2000م)

فالمؤاخاة من أسباب الالفة لأنها تُكسب بصادق الميل إخلاصاً ومصافاةً، ويحدث بخلوص المصافات، رخاءً ومحاماة. وهذا أعلى مراتب الإلفة . ولذلك آخى الرسول -صلي الله عليه وسلم- بين اصحابه لتزيد إلفتهم ويَقْوِي تظافرهم وتتاصرهم. قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- : لقاء الأخوان جلاء الأحزان . وقال علي كرم الله وجهه لابنه الحسن : يا بني الغريب من ليس له حبيب . وقال بعض الأدباء : أفضل الذخائر أخ وفي . وقال بعض البلغاء : صديق مساعد عضد وساعد . وللأخوة أسباب كثيرة منها : التجانس بين المتآخين وهي نتيجة التجانس، ثم الانبساط الناتج عن المواصلة بين المتآخين فإن قوي التجانس قويت الأخوة وأن ضعف ضعفت ثم المواصلة بين المتآخين وهي نتيجة التجانس، ثم الانبساط الناتج عن المواصلة، ثم المؤانسة، ثم المصافاة، وسببها خلوص النية، ثم المودة وسببها الثقة ثم المحبة وسببها الإحسان.⁽¹⁾

المطلب الخامس: أثر العبادات الجماعية في التعاون علي البر والتقوي:

قال تعالى: " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ

لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" (1) وقال تعالى: "نَ الَّذِينَ قَرَّضُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" (2) وقال تعالى: "شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ" (3) فهذه الآيات تدعو في إطارها العام إلي الاجتماع وعدم الفرقة والشقاق ، وأن الفرقة خطر كبير يهدد الأمة الاسلامية في دينها. والناظر لكثير من التشريعات الاسلامية. يلحظ دعوتها إلي الوحدة والاجتماع ، لذا حث الشرع في كثير منها إلي أدائها في جماعات ومن ذلك صلاة الجماعة التي قال عنها -صلي الله عليه وسلم- " صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة" (1) والمقصود من الجماعة بالأصالة إقامة شعائر الدين في دولة الظاهر والباطن، بانتلاف القلوب والأبدان ، فلا بد من طائفة في البلد تقوم بذلك ، وإلا أدي إلي إخفاء الدين ، وذهاب التعاضد والتساعد وغلبت كلمة أهل الكفر علي أهل كلمة الإيمان، وأيضاً فإن صلاة الجماعة في جملة رحمة الله تعالى بالأصاغر ليتفقوا شهود كثرة الجماعة ، ورؤية بعضهم بعضاً. كما أن في صلاة الجماعة التآسي ببعض، وتقوية العزم علي أداء شعائر الدين ، وتآلف قلوب المؤمنين بعضهم بعضاً. لأجل نصره الدين واقامة شعائره وإزالة المنكر ، حتي لا يفسد نظام الدين. (2) فمن نظر لفلسفة صلاة الجمعة يلحظ حكمة الشارع في اجتماع المسلمين ، لأداء هذه الشعيرة ، فنؤدِّي في المسجد الجامع مع الخطبة بالتحذير بالله وطاعة رسوله -صلي الله عليه وسلم- ووحدة المسلمين ، ونحو ذلك، فعند المالكية مثلاً من

1 سورة ال عمران / 103.

2 سورة الانعام / 159 .

3 سورة الشورى / 13 .

1 سبق تخريجه.

2 الشعراني ، ابي المواهب عبد الوهاب بن احمد بن علي الانصاري الشافعي ، الميزان الكبرى ، ج1 ، ص187، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، 1398هـ - 1978م.

دخل يوم الجمعة والإمام علي المنبر ، لا يركع أي لا يصلي تحية المسجد ، وحملوا حديث النبي -
صلي الله عليه وسلم-: " إذا جاء أحدكم المسجد والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجاوز فيهما " (1).
علي قصد الشارع أن يُتصدق علي ذلك الرجل الذي دخل والنبي -صلي الله عليه وسلم- علي
المنبر، وفعلاً رأو حالته وتصدقوا عليه ، وهذه حكمة وفائدة من صلاة الجمعة.(2)

وفي تشريع زكاة الفطر ، الحكمة من فرضيتها ظاهرة ، وهي مساعدة الفقراء ، والمساكين
قال - صلي الله عليه وسلم - " أغنوهم عن السؤال في هذا اليوم " (1) كما أوجبها الشارع علي
الكبير ، والصغير ، والذكر ، والأنثى ، والحر ، والعبد، حتى يكثُر عدد المنفقين فيخرجها الشخص
عن نفسه وعن تلزمه نفقته ، من غالب قوت البلد وجوز أبو حنيفة إخراج القيمة.(2)

فتشريع هذه العبادات التي تُؤدي في جماعة ، يهدف المشرع علي تكريس المشاعر
الجمعية، والعمل على إضعاف النزعات الفردية الخاصة، خصوصاً عندما يحدث تناقض او تعارض
، بين مصلحة الفرد الذاتية ، وبين مصلحة الجماعة المسلمة ، أو عندما تكون مقاصد الدين في
حاجة إلي التضحية والفداء ، من جانب المؤمن ، فيتجاوز النفس والتغلب علي دوائر الأنانية الفردية
. فالقرآن الكريم حث المسلمين علي إقامة العبادات في جماعة حتى تحصل لهم المصلحة العليا
والهدف الأسمى ، وهو التعاون علي البر والتقوي ، وهذا أعظم هدف وغاية من أداء العبادات في
جماعة.(3)

1 مسلم ، صحيح مسلم ، ج 2 ، ص 527 ، رقم الحديث (60) ، كتاب الجمعة ، باب التعليم في الخطبة.

3. ابن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج 1 ، ص 173 .

4 سبق تخريجه.

2 ابن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج 2 ، ص 40- 42 .

3 زكريا بشير امام ، اصول الفكر الاجتماعي في القرآن الكريم ، ص 51 - 55 .

المطلب الأول: تعريف الشيطان في اللغة والاصطلاح والأدلة علي وجوده:

الشيطان: من الشطن : الحبل، وقيل الحبل الطويل الشديد الفتل ، وبئر شطون : بعيدة القعر وملتوية وعوجاء . والشاطن ، البعيد عن الحق والشيطان : مفعال: من شطن إذا بَعُد، وتشيطان الرجل إذا صار كالشيطان ، وفعل فعله ، وقيل الشيطان ، فعلان ، من شاط يشيط إذا هلك واحترق.

(1)

أما الشيطان في الاصطلاح:- فهو كل عاتٍ متمرد من الجن⁽¹⁾ والإنس⁽²⁾. والشيطان صنف من الجن فهم مردة الجن وأشرارهم . فإن ذكر الجن خالصاً قالوا : جنّي فإن أرادوا ممن يسكن مع الناس قالوا : عامر ، والجمع عُمار، فإن كان ممن يعرض للصبيان قالوا: أرواح فإن خبث فهو شيطان. فإن زاد علي ذلك فهو مارد، فإن زاد على ذلك قالوا : عفريت والجمع عفاريت .⁽³⁾ ويوصف الشيطان: بالرجيم أي المرجوم ، المطرود من رحمة الله تعالى، أو بمعني الراجم للناس بوسوسته. والمراد بالشيطان الرجيم ، ما يشمل إبليس وأعوانه وأولاده . وإبليس أبو الشياطين ، كما آدم أبو الإنس.⁽¹⁾ والأدلة علي وجود الجن كثيرة من الكتاب والسنة ، نذكر منها:

قال تعالى: " وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ " ⁽²⁾

وقوله تعالى: " قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا " ⁽³⁾ وقال تعالى: " وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ " ⁽⁴⁾ وقال تعالى: " طَلَعَهَا كَأَنَّهٗ رُغُوسُ الشَّيَاطِينِ " ⁽⁵⁾ فكل ما ذكر في

القرآن علي الحقيقة ، لا الخيال ولا المحال ، ولم ينكر وجود الجن إلا شذمة قليلة من جهال الفلاسفة والأطباء ونحوهم.⁽⁶⁾

1 الجن: من حنن : جن الشيء يجنه جنأ : ستره . وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك ، وجن الليل يجنه جنأ وجنوناً وأجنه : ستره ، وبه سمي الجن لاستتارهم واختفائهم عن الابصار ، ومنه أسم الجنين لاستتاره في بطن امه (ابن منظور ، لسان العرب ، ج 1 ، ص 806 ، مادة) ج ، ن ، ن .)

2 ابن منظور ، لسان العرب ، ج 2 ، 2265 .

3 الشبلي " الشيخ الامام العلامة بدر الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله الشبلي " آكام المرجان في أحكام الجنان " ضبط وتصحيح (احمد عبد السلام - ص 10 - 11 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون .

1 العلامة الشيخ برهان الدين ابراهيم حسن اللقاني ، تحفة المرید في شرح جوهرة التوحيد ، ص 234.

2 سورة الاحقاف / 29.

3 سورة الجن / 1 .

4 سورة الصافات / 7 .

5 سورة الصافات / 65 .

6 الشبلي " بدر الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله الشبلي ، آكام المرجان في احكام الجنان ، ص 8 - 9 .

أما من السنة فقوله -صلي الله عليه وسلم- : لأبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال:
قال لي رسول الله -صلي الله عليه وسلم- : " إني أراك تحب الغنم والبادية. فإذا كنت في غنمك
وباديتك فأذنت بالصلاة فأرفع صوتك بالنداء ، فإنه لا يسمع مدي صوت المؤذن جن ولا إنس ولا
شئ ، إلا شهد له يوم القيامة .⁽¹⁾ وقوله -صلي الله عليه وسلم-: " إن الشيطان يجري من ابن آدم
مجري الدم " ⁽²⁾

المطلب الثاني: الإنسان وابتلاء الشيطان:

إن الله ابتلي هذا الانسان بعدو لا يفارقه طرفة عين ، ولا ينام منه ولا يغفل عنه ، يراه هو
وقبيله من حيث لا يراه ، يبذل جهده في معاداته في كل حال ، ولا يدع أمراً يكيد به يقدر علي
إيصاله إليه إلا أوصله إليه ، ويستعين عليه ببني جنسه ، من شياطين الجن وغيرهم من شياطين
الإنس. ولما علم سبحانه أن آدم وبنيه قد بُلوا بهذا العدو ، وأنه قد سلط عليهم ، أمرهم بعساكر وجند

1 البخاري ، صحيح البخاري ، ج 3 ، ص 1200 ، رقم الحديث (3122) ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم .
2 سبق تخريجه .

يلقونه بها ، وأمد عدوهم أيضاً بجند وعساكر يلقاتهم بها ، وإقام سوق الجهاد في هذه الدار في مدة العمر ، لأن الجهاد أحب شئ إليه ، وأهله أرفع الخلق عنده درجات ، وعهد لهذه الحرب "القلب" الذي هو محل معرفته ومحبته ، وعبوديته والإخلاص له والتوكل عليه وأيده بجند من الملائكة لا يفارقه : "لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ..."⁽¹⁾ يعقب بعضهم بعضاً يثبتونه ويأمرونه بالخير. ثم أمده سبحانه بجند آخر من وحيه وكلامه ، فازداد قوة إلي قوته ، وأيده مع ذلك بالعقل وزيراً له ومديراً ، وبالمعرفة مشيرة عليه ، وبالإيمان مثبتاً له ، ومؤيداً وناصرًا ، ثم أمده سبحانه بالقوة الظاهرة والباطنة ، فجعل العين طبيعته والأذن صاحب خبرة ، واللسان ترجمانه ، واليدين والرجلين أعوان . وأقام الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ، ويسألون له أن يقيه السيئات ويدخله الجنة ، وتولي سبحانه الدفع والدفاع عنه بنفسه وقال: " لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " ⁽¹⁾ وقال أيضاً : " وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ " ⁽²⁾ وعلم سبحانه عباده كيفية هذه الحرب والجهاد فجعلها في أربع كلمات، فقال: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " ⁽³⁾ ولا يتم أمر هذا الجهاد إلا بهذه الأمور الأربعة.⁽⁴⁾ فحماية القلوب عن وسواس الشيطان واجب، وهو فرض عين علي كل مكلف ، وما لا يتوصل إلي الواجب إلا به فهو أيضاً واجب ، ولا يتوصل إلي دفع الشيطان ، إلا بمعرفة

1 سورة الرعد / 11.

1 سورة المجادلة / 22.

2 سورة الصافات / 173.

3 سورة آل عمران / 200.

4 ابن القيم " شمس الدين ابي عبد الله محمد بن القيم الجوزية ، الداء والدواء ، ص (121 - 123) ، مكتبة الصفا- القاهرة ، الطبعة الاولى (1422 هـ - 2002 م) .

مداخله فصارت معرفة مداخله ومكايده مصايدة واجبه ، وقد أمرنا تعالي بمعاداته قال تعالي: " إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا " (1) أي فعادوه بطاعة الله تعالي ، ولا تطيعوه في معاصي الله تعالي ، وكونوا علي حذر منه في جميع أحوالكم وأفعالكم وعقائدكم ، عن صميم قلوبكم ، وإذا فعلتم فعلاً فتفطنوا له فإنه ربما يدخل عليكم فيه الرياء ، ويزين لكم القبائح ، واستعينوا عليه بربكم . قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - خط لنا رسول الله -صلي الله عليه- خطأ وقال : هذه سبيل الله ، ثم خط خطوطاً عن يمين الخط وعن شماله ، ثم قال هذه سُبُل علي كل سبيل منها شيطان يدعُو اليه ثم تلا " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " (1) فبين لنا -صلي الله عليه وسلم- كثرة طرق الشيطان. (2) فيجب على المؤمن أن يتخذ الشيطان عدواً ويجاهد نفسه في معاداته مستعيناً بذلك بالله عز وجل. (3)

وهذا الشيطان لم ولن يترك أحداً حتي يوسوس له ويضله ولا يبأس من ذلك . فهو الذي وسوس لأبينا آدم وحواء فأكلا من الشجرة فأخرجهما الله عز وجل من الجنة . قال تعالي : " فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى " (4) كما تعرض لخليل الله ابراهيم - عليه السلام- عندما أراد أن يذبح ابنه ، وجهده نفسه في منعه من تنفيذ أمر الله ، ولكن الخليل - عليه السلام- كان قوي الإيمان بالله والتصديق به فرمي ، عدو الله بحجارة عند العقبة ، ونفذ أمر الله فجاء جبريل -عليه السلام- بالفداء من الجنة ، كما تعرض لأفضل الخلق وأعظمهم سيدنا محمد -صلي الله عليه وسلم- عندما كان يصلي فقال : " إن الشيطان عرض لي فشد علي ليقطع الصلاة

1 سورة فاطر / 6 .

1 سورة الانعام / 153 .

2 احمد بن حنبل ، المسند ، ج 1 ، ص 435 ، رقم الحديث (4142) .

3 " الغزالي " ، مكاشفة القلوب ، ص 44 - 45 .

4 سورة طه / 117 .

عليّ فأمكنني الله منه فدعته ، ولقد هممت أن أوثقه إلي سارية حتي تصبحوا فتنتظروا إليه فذكرت قول سليمان : " قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ " (1) فرده الله خاسئاً . (2) فإذا تعرض الشيطان لهؤلاء فما عداهم أسهل له وأولي (3)

المطلب الثالث: مداخل الشيطان علي الإنسان:

من أعظم مداخل الشيطان علي الإنسان "النفس" فيقول لأعوانه : ادخلوا عليها من مرادها، وانظروا مواقع محبتها وما هو محبوبها، ومنوها إياه، وافشوا صورة المحبوب فيها، فإذا اطمأنت إليه وسكنت ، فاطرحوا عليها كلاليب الشهوة، وخطاطيفها، فإذا خامرت علي القلب، وصارت معكم عليه ملكتم ثغور العين، والأُذن واللسان والفم واليد والرجل، فرابطوا علي هذه الثغور، فمتي دخلتم منها إلي القلب، فهو قتيل أوجريح مثنخ بالجراحات، ولا تخلو هذه الثغور، ولا تمكنوا سرية تدخل فيها إلي القلب، فتخرجكم منها . فإذا استوليتم علي هذه الثغور، فامنعوا ثغر العين، أن يكون نظره اعتباراً، بل

1 سورة ص / 35 .

2 البخاري ، صحيح البخاري ، ج 1 ، ص 405 ، رقم الحديث (1152) ، كتاب الصلاة ، باب ما يجوز من العمل في الصلاة .

3 الشبلي " بدر الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله الشبلي " آكام المرجان في أحكام الجنان ، ص 187 - 207 .

اجعلوه تفرجاً، واستحساناً، وشهوةً، ثم امنعوا ثغر الأذن أن يدخل منه ما يفسد عليكم الأمر، فاجتهدوا أن لا تدخلوا منه إلا الباطل، وإياكم أن يدخل منه شيء من كلام الله، أو كلام رسول الله -صلي الله عليه وسلم-، فإن غلبتم علي ذلك ودخل منه شيء فحولوا بينه وبين فهمه وتدبره، إما بإدخال ضده عليه، وإما بتحويل ذلك وتعظيمه. أما ثغر اللسان فإنه الثغر الأعظم، فأجروا عليه من الكلام، ما يضره ولا ينفعه، وامنعوا أن يجري عليه شيء مما ينفعه من ذكر الله تعالي، وتلاوة كتابه، ونصيحه عباده، واجتهدوا أن يتكلم باطلاً، فإن المتكلم بالباطل أخ من إخوانكم، وأن يسكت عن الحق فإن الساكت عن الحق أخ لكم أحرص، واعلموا أن ثغر اللسان هو الذي أملك منه بني آدم، وأكبهم منه علي مناخيرهم في النار، أما النفس فاستعينوا عليها بجندين عظيمين هما: الغفلة وحب الشهوات، واستعينوا علي الغفلة بالشهوات وعلي الشهوات بالغفلة. (1) ومن مداخل الشيطان وأبوابه العظيمة: الحسد والحرص، فمتي كان العبد حريصاً علي شيء أعماه حرصه وأصمه، وغطي نور بصيرته، التي يعرف بها مداخل الشيطان. وإذا كان حسوداً فيجد الشيطان حينئذٍ الفرصة، فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلي شهوته، وإن منكرًا أو فاحشاً. ومن أبوبه العظيمة: الغضب والشهوة والحدة، فإن الغضب غول العقل، إذا ضعف جند العقل هجم حينئذٍ الشيطان فلعب بالإنسان. (2) وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس أرني كيف تغلب ابن آدم فقال: أخذه عند الغضب وعند الهوي. والشبع من الطعام وإن كان حلالاً صافياً فإنه يقوي الشهوات وهي أسلحة الشيطان. (3) فإن الشيطان يحمل الغضبان علي أن يقول ما هو كاره لقوله، وغير محب لقوله، لكن يقوله ليسترخ بذلك، ويبرد غضبه فيدفع عنه حرارة الغضب، كما يقصد المكره أن يسترخ من ألم الإكراه، وضرره بفعل ما أكره عليه.

1 ابن القيم - شمس الدين ابي عبد الله محمد بن القيم الجوزية ، اغائة اللهفان من مصاد الشيطان ، تحقيق : طع عبد الرؤوف سعد ، ص 123 - 130 ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، الطبعة الاولى (1422هـ - 1200م) .
2 ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ص 137 .
3 الغزالي ، ابي حامد محمد بن محمد الغزالي ، مكاشفة القلوب ، ص 45 - 46 .

فقد روي أن رجلاً قال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: "أوصني؟" فقال: لا تغضب. فردد مراراً. قال: لا تغضب".⁽¹⁾ فالشيطان يغلب ابن آدم عند الغضب والهوى.⁽²⁾ ومن مداخله ، كذلك البخل "خوف الفقر" فإن ذلك هو الذي يمنع من الإنفاق والتصدق، ويدعو إلي الاكتناز والإدخار المحرم، ومن مداخله التعصب للمذاهب والأهواء والحقد علي الخصوم، والنظر إليهم بعين الاحتقار، وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعاً . ومنها سوء الظن بالمسلمين ، فيجب الاحتراز عنه، فمهما رأيت إنساناً يسئ الظن بالناس طلباً للعيوب، فاعلم أنه خبيث باطناً ، فيجب علي الانسان قطع هذه الأثواب من القلب، ويعينه عليها ذكر الله تعالى. ومنها كذلك العجلة، وترك التثبت في الأمور، وكذلك حب الدراهم للتمتع بها في الدنيا، ويتعلق قلبه بذلك، فيطول أمله ويتعلق بحب الدنيا وحب البقاء وينسي الآخرة والعمل لها.⁽¹⁾

المطلب الرابع: مكائد الشيطان التي يكيد بها لابن آدم:-

قال تعالى إخباراً عن عدوه إبليس لما سأله عن امتناعه عن السجود لآدم، واحتجابه بأنه خيرٌ منه، وإخراجه من الجنة، أنه سأله أن ينظره فأنظره ثم قال: عدو الله كما حكاه الله في القرآن قال تعالى: " قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَفْعَدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَأَنْبِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ" ⁽²⁾ قال ابن عباس - رضي الله عنه - صراطك المستقيم، دينك الواضح، ثم "لأنبيهم من بين أيديهم" قال ابن عباس : أي من قبل الدنيا أشككهم في آخرتهم "ومن خلفهم": قال ابن عباس: قيل الآخرة. والمعني كما قال ابن عباس: إن الشيطان أقسم أن يحدد الإنسان عن الدين الواضح، ويفسد عليه أمر دينه ودنياه وآخرته بالتشكيك في الآخرة وما فيها من

1 البخاري ، صحيح البخاري ، مصدر سابق ، ج 4 ، ص 912 ، رقم الحديث (1616) ، كتاب الأداب ، باب الحذر من الغضب.

2 الشبلي ، بدر الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله الشبلي ، أكام المرجان في احكام الجنان ، ص 166 - 167 .

1 الغزالي ، ابي حامد محمد بن محمد الغزالي ، مكاشفة القلوب ، ص 46 - 47 .

2 سورة الاعراف / 16 - 17 .

الجنة والنار والبعث، وهذا من عمل وصد الشيطان لابن آدم، وهي وظيفة الإضلال، وإخافة الناس من الفقر بسبب الإنفاق، وحثهم علي البخل، فالشيطان يزين للإنسان السوء بأن يورده الموارد التي تهلكه دنيا وأخري فيأمره بالسرقه، والزنا، والقتل، ويدل عليه ويفضحه قال تعالى : " وَأَذِ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَءَتِ الْفِتْنَانَ تَكَصَّ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ " (1) وهكذا هرب في بدر ، وترك المشركين مع مصيرهم وهو القتل، والأسر، وكذلك فعل بالراهب الذي قتل المرأة وولدها وأمره بالزنا ثم قتلها ثم دلَّ أهلها عليه، وكشف أمره لهم، ثم أمره بالسجود له، فلما فعل فرَّ عنه وتركه وفيه أنزل الله تعالى: "كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ" (1) وهذا السياق عام في كل من أطاع الشيطان في أمره له بالكفر. (2) فالكفر أولى المراتب التي يدعو إليها الشيطان ابن آدم ويوقعه فيها بمصيدته وكيده، وكذا معاداة الله ورسوله، فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه واستراح ، وإلا انتقل إلي المرتبة الثانية: وهي الكبائر، فإذا عجز عن ذلك انتقل إلي المرتبة الثالثة: وهي الصغائر التي إذا اجتمعت ربما أهلكت صاحبها، فإذا عجز عن ذلك انتقل إلي: المرتبة الرابعة: وهي اشتغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، بل عقابها فوات الثواب الذي فات عليه باشتغاله بها، فإن عجز عن ذلك نقله إلي المرتبة الخامسة: وهي أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ويفوته ثواب العمل الفاضل. (3) ومن كيده عدو الله: أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه، فلا يجاهدونهم ولا يأمرونهم بالمعروف، ولا ينهاونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل

1 سورة الانفال / 48 .

1 سورة الحشر / 16.

2 ابن القيم ، اغائة اللهفان من مصائد الشيطان ، ص 107 ، 112.

3 الشبلي ، بدر الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله الشبلي ، أكام المرجان في أحكام الجان ، ص 163.

الإيمان قال تعالى: " إِنَّمَا دَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " (1) ومن مكايده: أنه يأمرك بإعزاز نفسك وصونها، حيث يكون رضا الرب تعالى في إذلالها وابتذالها. ومن مكايده: الوسوسة في عبادة العبد لله تعالى، كالطهارة والصلاة وغيرها. فيري بعض الناس أنه إذا توضأ مقدار ما يتوضأ به رسول الله-صلي الله عليه وسلم-أو اغتسل كإغتساله لم يطهر، ولم يرتفع حدثه، ولولا العذر بالجهل لكان هذا مشاققة للرسول-صلي الله عليه وسلم-فلا عجب ، فالشيطان كاد الأيوين قبل أن يكيد ذريتهما، بأن حلف لهما بالإيمان الكاذبه: أنه ناصح لهما، قال تعالى: " وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنُ النَّاصِحِينَ " (1) فإذا كان هذا فعله مع الأيوين، وقد حكاه الله لنا حتى نحذر من كيده ومكره. (2)

المطلب الخامس: سبل الشيطان في التسليط علي ابن آدم والأضرار التي يسببها له:

من أول هذه السبل الغفلة عن ذكر الله عز وجل . فالقلب كمثل الحصن ، والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن ويملكه ، ويستولي عليه، ولا يمكن حفظ الحصن إلا بحراسة أبوابه ، ولا يقدر علي حراسة أبوابه من لا يعرفها ، ولا يتوصل إلي دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله ، والتي منها الغفلة، فالقلب بأصل فطرته قابل للهوي ، وبما وضع فيه من الشهوة والهوي ، مائل عن ذلك، والتطارد فيه بين جندي الملائكة والشياطين دائم، إلي أن يفتح القلب لأحدهما ، فيتمكن ويستوطن القلب الغافل عن ذكر الله ، وتحصينه فيجده مشرع الأبواب ولا حراسة عليه فيدخله ويفسد صاحبه ، فيسبب له المرض والاكنتاب والخبل والجنون. (3)

1 سورة ال عمران / 175 .

1 سورة الاعراف / 21 .

2 ابن القيم ، اغائة اللهفان من مصائد الشيطان ، ص 113 – 126 .

3 ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ص 137 .

ومن السبل التي يتسلط الشيطان بها علي الانسان حضور حلقات الزأر للعلاج ، فيلبي للشيطان في هذه الحلقات ما طلبه، وغالباً يكون في معصية الله تعالي كشرب الخمر والدخان والذبح لغير الله ، وهنا يجد الشيطان فرصته ، فيتلبس بالإنسي ويسبب له الصرع والمس وغيره . ومن أسباب تسلط الشيطان علي الإنسان ، ظلم الشيطان لابن آدم عبثاً وسفهاً كما يحدث من سفهاء الإنس . وأيضاً عشق الجنّي الإنسي خاصة النساء المتبرجات العاريات ، وكذلك عقاب الجنّي للإنسي إذا وقع عليه أو رمي حجراً عليه ، أو صب ماءً حاراً عليه ، وهو لا يدري ، وكل ذلك مع الغفلة وعدم ذكر الله وتسمية الله .⁽¹⁾

ومن أكبر الأضرار التي يتسبب بها الشيطان لابن آدم الصرع والمس ، قال تعالي : " الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " ⁽²⁾ قال ابن تيمية : صرع الجن للإنسي قد يكون عن شهوة وهوي وعشق.⁽³⁾ قال القرطبي: في هذه الآية دليل علي فساد من أنكر الصرع من جهة الجن وزعم أنه من فعل الطبائع ، وأن الشيطان لا يسلك في الانسان ولا يكون منه مس.⁽⁴⁾ وقال ابن كثير: الذين يأكلون الربا - أي لا يقومون إلا كما يقوم المصروع حال صرعه ، وتخبط الشيطان له وذلك أنه يقوم قياماً منكراً .⁽⁵⁾ وقال ابن القيم: الصرع صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة

1 " ابو المنذر " خليل بن ابراهيم امين ، الطرق الحسان في علاج امراض الجان ، تقديم : وحيد عبد السلام ، ص 62 - 64 ، مكتبة الصحابة ، جدة ، 1405هـ - 1994 م .

2 سورة البقرة / 275.

3 الشبلي "أكام المرجان " ، ص 104.

4 القرطبي ، أحكام القرآن ، ج 3 ، ص 255.

5 ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج 1 ، ص 326.

الأرضية وصرع من الأخلاط الرديئة .⁽¹⁾ ومن السنة قوله -صلي الله عليه وسلم- : " إن الشيطان يجري من ابن آدم مجري الدم "⁽²⁾ وعلاج الصرع يكون بالقرآن الكريم والأدعية المأثورة من السنة النبوية الشريفة ، ومن الأمراض التي يسببها الجن: الأمراض النفسية والعصبية من جنون واكتئاب وقلق وغيره . وكذلك يتسبب في كثير من الأمراض العضوية كالعقم غير الطبي والاستحاضة . قال -صلي الله عليه وسلم- : "إنما هذه ركضة من ركضات الشيطان".⁽¹⁾ ومن أضراره الخطيرة إيقاع الشحناء والعداوة والبغضاء والفرقة ، بين كل اثنين بينهما ارتباط ، فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله -صلي الله عليه وسلم- يقول: "إن عرش إبليس في البحر فيبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم يقول: "ما تركته حتي فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ويقول : نعم أنت".⁽²⁾ كما يتسبب في تثبيط الهمم عن العبادة ، والكسل ، وتأخير الصلاة بالنوم ونحوه.⁽³⁾

1 ابن القيم ، الطب النبوي ، ص 63، مكتبة الصفا ، القاهرة الطبعة الاولى (1424هـ -2003م)
2 سبق تخريجه.

1 الترمذي ، سنن الترمذي ، ج 1 ، ص 221 ، رقم الحديث (128) ، كتاب الطهارة ، باب ما جاء في المستحاضة تتوضا لكل صلاة .
2 مسلم ، صحيح مسلم ، ج 4 ، ص 2167 ، رقم الحديث (2813) ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وان مع كل انسان قرينا.

3 " ابو المنذر " خليل بن ابراهيم امين ، الطرق الحسان في علاج الجآن ، ص 50 - 52.

المطلب السادس: أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:

والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان أن أولياء الرحمن " لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (1). " الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ " (2) وهم المذكورون في أول سورة البقرة إلي قوله " ... هُمْ الْمُفْلِحُونَ " (3) وفي وسطها في قوله " ... وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... " (4) إلي قوله: "... أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ " (5) وفي أول سورة الأنفال إلي قوله تعالى " ... لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ " (6) وفي أول سورة المؤمنون إلي قوله تعالى " ... هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (7) وفي آخر سورة الفرقان " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا... " (8) الي آخر السورة . وفي قوله تعالى : " إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ... " (9) إلي آخر الآية .

1 سورة يونس / 62.

2 سورة يونس / 63.

3 سورة البقرة / 5.

4 سورة البقرة / 177.

5 سورة البقرة / 177.

6 سورة الانفال / 4.

7 سورة المؤمنون / 11.

8 سورة الفرقان / 63 .

9 سورة الاحزاب / 35.

وفي قوله تعالى : " أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ " (1) فأولياء الرحمن هم المخلصون لربهم المحكمون لرسوله ، في الحرم والحل ، الذين يخالفون غيره لسنته ولا يخالفون سنته لغيرها ، فلا يبتدعون ، ولا يدعون إلى بدعة ، ولا يتحيزون إلى فئة ، غير الله ورسوله وأصحابه ، ولا يتخذون دينهم لهواً ولعباً ، ولا يستحبون سماع الشيطان ، علي سماع القرآن ، ولا يشتبه أولياء الرحمن بأولياء الشيطان ، إلا علي فاقد البصيرة والإيمان ، وأني يكون المعرضون عن كتابه وهدى رسوله وسنته ، المخالفون له إلى غيره أولياء. وقد ضربوا لمخالفته جاشاً ، وعدلوا عن هدي نبيه وطريقته ؟ فأولياء الرحمن المتلبسون بما يحبه وليهم الداعون إليه ، المحاربون لمن خرج عنه ، وأولياء الشيطان المتلبسون بما يحبه وليهم قولاً وعملاً يدعون إليه ويحاربون من نهاهم عنه (1) ولذلك سماه الله تعالى ولياً أي الشيطان ، لأنه يظهر المولاة لمن يغويه قال تعالى " ... وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ... " (2) فأولياء الشيطان يتبعون خطواته ، أي يقتدون به في اتباع الهوي ، فيحرمون الحلال ويحللون الحرام . (3) فالفرق بين حال أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ظاهر، فحال أولياء الرحمن إيماني ، وحال أولياء الشيطان شيطاني ، فالحال الإيماني ثمرة المتابعة للرسول ، والإخلاص في العمل وتجريد التوحيد . والحال الشيطاني نسبه إما شرك أو فجور ، وهو ينشأ من قرب الشياطين ، والاتصال بهم ومشابھتهم ، وهذا الحال يكون لعباد الأصنام والصلبان والنيران والشيطان. (4) ولأولياء الرحمن خواطر إيمانية تذكرهم بالمآل ، وما في المعاد من الخيرات ، والأهوال فيولد الفكر فيما بعد الموت

1 سورة يونس / 62 - 63.

1 ابن القيم ، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن القيم الجوزية ، الروح ، تحقيق : د. بسام علي سلام العموشي ، ج 2 ، ص 770 ، دار ابن تيمية للنشر والتوزيع والاعلام ، الرياض ، بدون .

2 سورة البقرة / 257.

3 البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج 1 ، ص 209 .

4 ابن القيم ، الروح ، ص 773.

من أمور البرزخ ، والحشر والميزان ، والجنة والنار ، فيحصل له من هذه الخواطر العلم النافع واليقين والإخلاص ، في العلوم والأعمال ، والنية المحمودة وغير ذلك ، من أحوال أولياء الله الصالحين . أما خواطر أولياء الشيطان فيدعوهم إلى المخالفات والعصيان ، والرغبة في الدنيا ، والإعراض عن الآخرة وأمرهم بالمنكر ، ونهيههم عن المعروف ، والتكذيب في العقائد ، والتشكيك فيها والصد عن الصلاة وذكر الله وكل ما هو شر .⁽¹⁾

المطلب السابع: طرق الوقاية من كيد الشيطان ومكره:

طرق الوقاية من كيد الشيطان ومكره كثيرة منها:

أحدها: الاستعاذه بالله منه قال الله تعالى: " وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " ⁽¹⁾ وفي الصحيح : " أن رجلين استبا عند النبي -صلي الله عليه وسلم- حتى أحمر وجه أحدهما فقال -صلي الله عليه وسلم- : "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد" أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"⁽²⁾

الثاني: قراءة المعوذتين عن أبي سعيد قال : "كان رسول الله -صلي الله عليه وسلم- يتعوذ من الجآن وعين الانسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما"⁽³⁾

الثالث: قراءة آية الكرسي . ففي الصحيح عن أبي هريرة قال: " وكلني رسول الله -صلي الله عليه وسلم- بحفظ زكاة الفطر فاتاني آتٍ فجعل يحتو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلي رسول الله -صلي الله عليه وسلم-، فذكر الحديث فقال : " إذا أويت إلي فراشك فاقرأ آية الكرسي لن يزال عليك

1القصري ، شعب الإيمان ، ص (229 – 231)

1 سورة فصلت / 36.

2 البخاري ، صحيح البخاري ، ج 2 ، ص 1195 ، رقم الحديث (3108) ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة ابليس وجنوده.

3 الترمذي ، سنن الترمذي ، ج 4 ، ص 395 ، رقم الحديث (2058) ، كتاب ، الطب عن رسول الله -صلي الله عليه وسلم- ، باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين.

من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقك وهو كذوب
ذاك شيطان" (1)

الرابع: قراءة سورة البقرة، ففي الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله -صلي الله عليه وسلم- قال:
"لا تجعلوا بيوتكم مقابر وإن البيت الذي تُقرأ فيه البقرة لا يدخله شيطان" (2)

الخامس: خاتمة سورة البقرة قال -صلي الله عليه وسلم- " الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما
في ليلة كفتاه " (1) قيل كفتاه المكروه وقيل كفتاه قيام الليل.

السادس: قال -صلي الله عليه وسلم- : " من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد وهو علي كل شئ قدير، مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه
مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا
رجل عمل أكثر منه". (2)

السابع : الوضوء والصلاة، وهما من أعظم ما يُتحرز به قال - صلي الله عليه وسلم-: " إن
الغضب من الشيطان وإن الشيطان من النار وإنما تُطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ. (3)
الثامن: إمساك فضول النظر والكلام ، والطعام ، ومخالطة الناس ، فإن الشيطان إنما يتسلط علي
ابن آدم من هذه الأبواب الأربعة ، قال -صلي الله عليه وسلم-: " النظرة سهم مسموم من سهام
إبليس فمن بصره الله عز وجل أورثه الله حلاوةً يجدها في قلبه إلي يوم يلقاه. (4)

1 سبق تخريجه .
2 الترمذي ، سنن الترمذي ، ج 5 ، ص 157 ، رقم الحديث (2877) ، كتاب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب
ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي.
1 مسلم ، صحيح مسلم ، ج 2 - ص 458 ، رقم الحديث (248) ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، فضل الفاتحة وخواتيم سورة
البقرة.
2 البخاري ، صحيح البخاري ، ج 11 ، ص 201 ، رقم الحديث (6403) ، كتاب الدعوات ، باب فضل التهليل.
3 ابوداؤد ، سنن ابي داؤد ، ج 3 ، ص 664 ، رقم الحديث (4784) ، كتاب الاداب ، باب ما يقال عن الغضب.
4 الحاكم " ابو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري " المستدرک علي الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ج 4 ، ص 349 ،
رقم الحديث (7875) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون.

التاسع: كثرة ذكر الله عز وجل ، فإن الشيطان يخنس بكثرة الذكر ، كما أن الذاكر قريب من الله ، والله قريب منه ، والشيطان بعيد منه ، وهو بعيد من الشيطان.⁽¹⁾

المطلب الأول: معنى الهجرة ومفهوم الهجرة الواجبة:

الهجرة: ضد الوصل ، وبابه نصر ، وهجراناً ، واسم "الهجرة" و"المهاجرة" من أرض إلي أرض ترك الأولى للثانية. والتهاجر ، التقاطع، وتهجر فلان تشبه بالمهاجرين ، ومنه التهجير ، السير في المهاجرة .⁽¹⁾

والمهاجرة : الخروج من الوطن، وترك القوم مفاعلة من هجر إذا ترك ، وإنما اشتق للخروج عن الوطن اسم المهاجرة ، لأنها في الغالب تكون كراهية ، بين الراحل والمقيمين ، فكل فريق يطلب ترك الآخر ، ثم شاع إطلاقها علي مفارقة الوطن بدون هذا القيد ، والخروج إلي كل بلد غير الفتنة يعد هجرةً وإن لم تكن واجبه .⁽²⁾

والهجرة الواجبة كانت إلي المدينة ، فكل من ترك الهجرة ولم يهاجر توعده الله بالعذاب الأليم قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98) فَأُولَئِكَ عَسَى

1 الشبلي " بدر الدين ابي بكر عبد الله محمد بن عبد الله الشبلي " آكام المرجان في احكام الجن ، ص 93 – 96.
1 الامام محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، ص 288 ، مادة (هـ ، ج ، ر) ، مكتبة لبنان ، 1992م
2 محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتوير ، ج 3 ، ص 175.

اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا " (1) والهجرة الواجبة كانت لمفارقة أهل الشرك وأعداء الدين . وللتمكن من عبادة الله دون حائل يحول عن ذلك فلما صارت مكة دار إسلام ، ساوت غيرها ، فكان المؤمنون يبقون في أوطانهم ، إلا المهاجرين يحرم عليهم الرجوع إلى مكة . وكان من لم يهاجر من المسلمين الهجرة الواجبة و هي إلى المدينة - لم يعد من الصحابة ، لأنه لم يتعين الذين ماتوا منهم علي الإسلام والذين ماتوا علي الكفر ، فلم يعتدوا بما عرفوا منهم قبل الهجرة. (1)

وهذه الآية نزلت في أناس من مكة أسلموا ولم يهاجروا ، حيث كانت الهجرة واجبة وظلم أنفسهم " ظالمي أنفسهم " كان بسبب ترك الهجرة.

وموافقة الكفرة . " قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض " أي قالت لهم الملائكة توبيخاً لهم في أي شيء كنتم من أمر دينكم ، فاعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة أو عن إظهار الدين وإعلاء كلمة الله قالوا " كنا مستضعفين في الأرض " حيث قالت لهم الملائكة " ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها " كما فعل المهاجرون إلى المدينة والحبشة . " فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا " لتركهم الواجب . وهو الهجرة ومساعدتهم الكفار وفي الآية دليل علي وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة دينه. (2)

ثم يلحق بالطبقة الأولى من المهاجرين ، المجاهدين ، كل من يهاجر بعد ذلك ويجاهد وإن كانت للسابقين درجاتهم . كما تقرر النصوص القرآنية الآخري - إنما هذا إلحاق في الولاء والعضوية في المجتمع الإسلامي " وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ

¹ سورة النساء/97-99

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 3 ، ص 176 - 178 .
² " البيضاوي " ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ج 2 ، ص 111 .

بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ". (1) ولقد ظل شرط الهجرة قائماً حتى فتح مكة، حيث دانت أرض العرب للإسلام ، ولقيادته وانتظم الناس في مجتمعه، فلا هجرة بعد فتح مكة، ولكن جهاد وعمل كما قال - صلي الله عليه وسلم- لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية". (2) غير أن ذلك إنما كان في جولة الإسلام الأولى ، التي حكم فيها الأرض ألفاً ومائتي عام تقريباً ، ولم ينقطع فيها حكم شريعة الإسلام، وقيام القيادة المسلمة ، على شريعة الله وسلطانة، فأما اليوم وقد عادت الأرض إلي الجاهلية ، وارتفع حكم الله سبحانه عن حياة الناس بعد إذ أخرجهم الإسلام منها ... الآن تبدأ جولة جديدة أخري للإسلام كالجولة الأولى - تأخذ - في التنظيم - كل أحكامها المرحلية حتى تنهض إلي إقامة دار الإسلام والهجرة، ثم تمتد ظلال الإسلام مرة أخري بإذن الله - فلا تعود هجرة ولكن جهاد وعمل كما حدث في الجولة الأولى. (1)

المطلب الثاني: الاستثناء من الهجرة الواجبة:

1 سورة الأنفال/ 75.
2 البخاري ، صحيح البخاري ، ج 3 ، ص 1164 ، رقم الحديث (3017) ، باب إثم الغادر للبر والفاجر ، كتاب الخمس.
1 سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج 4 ، ص 74 - 75.

قال تعالى: " إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا"⁽¹⁾ استنتي الله عز وجل من الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك ، فإن قلت : كيف أدخل الولدان في جملة المستضعفين من أهل الوعيد كأنهم يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا؟ قلت : الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون لذلك ، وأما الولدان فلا يكونون إلا عاجزين عن ذلك، فلا يتوجه عليهم وعيد لأن سبب خروج الرجال والنساء من جملة أهل الوعيد ، إنما هو كونهم عاجزين عن ذلك ، فإذا كان العجز متمكناً في الولدان لا ينفكون عنه ، كانوا خارجين من جملتهم ضرورةً ، هذا إذا أريد بالولدان الأطفال ، ويجوز أن يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ، ما يعقل الرجال والنساء ، فيلحقوا بهم في التكليف ، و إن أريد بهم العبيد والإماء البالغون فلا سؤال ، فإن قلت : لم قيل "عسي الله أن يعفو عنهم" كلمة الإطماع ؟ قلت : للدلالة علي أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعه فيه ، حتى إن المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول : عسي الله أن يعفو عني فكيف بغيره.⁽¹⁾ فالاستثناء هنا منقطع لعدم دخولهم في الموصول، فاللمبالغة في الأمر والإشعار بأنهم علي صدد وجوب الهجرة ، فإنهم إذا بلغوا و قدروا علي الهجرة فلا محيص لهم عنها ، وأن قوأمهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمكنت ، ولفظ العفو " عسى الله أن يعفو عنهم " إيذاناً بأن ترك الهجرة . أمر خطير حتى أن المضطر من حقه أن لا يأمن ويترصده الفرصة و يعلق بها قلبه.⁽²⁾ "وعسي" موجبة حتماً للمغفرة ، لأنهم لا يقدرّون علي التخلص من أيدي المشركين، ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق ، فلو عرفوا وقدروا ، لكنهم بقوا بين ظهراني المشركين ولم

¹ سورة النساء / 98.

¹ "الزمخشري" ، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج 1 ، ص 557.

² "البيضاوي" انوار التنزيل و اسرار التأويل ، ج 2 ، ص 112.

يهاجروا ، ولم يتمكنوا من إقامة الدين ، فهم ظالمين لأنفسهم بالإجماع ، وبنص هذه الآية السابقة " إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا " (1) وبعد هذا الاستثناء للمستضعفين ، حرّض الله تعالى علي الهجرة ورجب فيها قال تعالى: " وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا " (1)

رغب الله عز وجل في الآية علي مفارقة المشركين ، وأن المؤمن حيثما ذهب وجد مندوحة و ملجأ يتحصن فيه "ويجد مراغماً" ، أي من الضلالة إلي الهدي ، ومن القلة إلي الغني ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلي الله ورسوله ثم يدركه الموت" أي من يخرج من منزله بنية الهجرة فمات أثناء الطريق ، فقد حصل له عند الله ثواب من هاجر ، كما ثبت في الصحيحين أن النبي -صلي الله عليه وسلم- قال: " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلي الله ورسوله فهجرته إلي الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلي دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلي ما هاجر إليه " (2) وهذا عام في الهجرة وفي جميع الأعمال ، وقصة الرجل الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً في الصحيحين. (3) فقبضته ملائكة الرحمة. (4)

المطلب الثالث: الهجرة من سنن الأنبياء والمرسلين:

1 سورة النساء / 97 .
1 سورة النساء / 100.
2 محمد فؤاد عبد الباقي " اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان " ، حديث رقم (1245) باب قوله -صلي الله عليه وسلم- ، إنما الأعمال بالنيات ، ص 409 - 410 .
3 عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي -صلي الله عليه وسلم- قال : كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعاً وتسعين إنساناً ثم خرج يسأل فأتي راهباً فسأله فقال له : هل من توبة ؟ قال : لا ، فقتله فجعل يسأل فقال له رجل : انت قرية كذا ، فأدركه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب . فأوحى الله إلي هذه أن تقربي وأوحى الله إلي هذه أن تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوجد إلي هذه اقرب بشبر " محمد فؤاد عبد الباقي ، اللؤلؤ والمرجان ، نفس المصدر ، حديث رقم (1760) ، باب قبول توبة القاتل وإن كثرت قتله ، ص 613 - 614 .

4 ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ، ج1 ، ص543.

ما من نبيٍّ أو رسولٍ جاء إلي قومه يدعوهم إلي عبادة الله الواحد الأحد ، إلا وخاصمه قومه وضيقوا عليه ، فعند ذلك يأذن الله لهم بالهجرة هم وأتباعهم ، ومن هؤلاء الأنبياء سيدنا إبراهيم - عليه السلام - عندما هاجر من بلده " أرض الكلدانيين " بالعراق إلي أرض " الكنعانيين " ببلاد المقدس وكان أهلها يعبدون الكواكب السبعة، ويستقبلون القطب الشمالي، ولهذا كان علي كل باب من أبواب دمشق القديمة "هيكل" لكوكب فيها ، وكانوا يعملون لها أعياداً وقرابين ، وكان كل من في الأرض علي ذلك الزمان كفاراً سوي إبراهيم - عليه السلام - وإمرأته "سارة" وابن أخيه " لوط " عليه السلام، وكان الخليل هو الذي أزال الله به تلك الشرور. (1)

وبعد الشام انتقل إبراهيم - عليه السلام - إلي مصر عندما حدث جذب في الأرض وذلك في عهد ملوك الرعاة وهم "العماليق" ويسميه الرومان " الهكسوس" وكانت معه زوجته " سارة"، وكانت ذات جمال باهر ، فوشي بها أحد بطانة السوء إلي الملك فدعا إبراهيم عليه السلام وسأله عما يربطها به من قرابة، فقال له إبراهيم هي "أختي" ويقصد بذلك أخوة الدين ، فما جاءت ومد يده إليها يبست ، وطلب منها أن تدعوا الله له علي أن يطلق سراحها ، ففعلت ذلك وتركها ، ووهبها جارية تسمى " هاجر " والتي هي أم إسماعيل - عليه السلام - فعاد إبراهيم عليه السلام إلي فلسطين ولوط إلي " سادوم " في الأردن وكل ذلك من أجل الدعوة (2) . وعوض الله إبراهيم - عليه السلام - عن وطنه وعن قومه ، وعن أهله عوضه عن ذلك كله نزية تمضي فيها رسالة الله إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها، فكل الأنبياء وكل الدعوات بعده كانت في ذريته، وهو عوض ضخم في الدنيا والآخرة. فهجرة إبراهيم عليه السلام و ابن أخيه لوط لم تكن هرباً للنجاة ولم تكن

¹ ابن كثير " الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، قصص الأنبياء ، ص 109 - 110 ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، الطبعة الأولى (1426 هـ - 2005 م) .

² د . عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء ، ص 85 - 90 ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .

لكسب أو تجارة إنما كانت هجرة للتقرب إلى الله ، فكل واحد منهم هاجر بقلبه وعقيدته ، قبل أن يهاجر بلحمه ودمه . هاجرا إليه ليخلصا له عبادته ، ويخلصا له ، كيانهما كله ، بعيداً عن موطن الكفر والضلال ، بعد أن لم يبق رجاء في أن يفئ القوم إلى الهدى والإيمان بحال.⁽¹⁾

وأفضل من هاجر إلى الله عز وجل سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم، فهاجر إلى المدينة ، ومعه صديقه أبو بكر الصديق ، وعامر بن فهيرة .⁽¹⁾ ودليلهما عبد الله بن أريقط⁽²⁾ . وواعده غار ثور بعد ثلاث ليالٍ ، وبعد ثلاث ليالٍ تحركوا جنوباً إيهاما لكفار قريش ، ثم اتجهوا بعد ذلك علي ساحل البحر الأحمر، وأدركهم في الطريق سراقفة بن مالك ،⁽³⁾ فطلب الأمان وكتبوا له كتاباً ثم وصل النبي -صلي الله عليه وسلم- وصاحبه أبو بكر الصديق إلى قباء فنزلوا فيها وأسس النبي -صلي الله عليه وسلم- مسجد قباء ، ثم بعد ذلك تقدم نحو وسط المدينة واستقبله الأنصار بالأناشيد والفرح ، وشرع بعد ذلك صلي الله عليه وسلم، في تأسيس مسجده للصلاة والدعوة إلى الله.⁽⁴⁾

المطلب الرابع: هجرات أصحاب رسول الله -صلي الله عليه وسلم:

¹ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج 12 ، ص 119 - 122 .
¹ عامر بن فهيرة التميمي مولي أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، احد السابقين وكان ممن يعذب في الله ، له ذكر في الصحيح حديثه في الهجرة عن عائشة قالت خرج معه عامر بن فهيرة وكان مولود في الازد فاشتراه أبو بكر الصديق واعتقه استشهد في بئر معونة وقد راوا جنازته بين السماء والارض " ابن حجر " الاصابة " ، ج 3 ، ص 14 - 15 .
² عبد الله بن اريقط من بني الدليل بن بكر من مشركي قريش وكان هاديا ماهرا في الطريق ، الشيخ محمد الخضري ، نور اليقين ، تحقيق : عدنان مولود المغربي ، ص 85 ، مكتبة الغزالي ، دمشق ، الطبعة الثالثة (1410 هـ - 1990 م) واختلفوا في إسلامه كما ورد في الإصابة ، لابن حجر ، ج 4 ، ص 25 .
³ سراقفة بن مالك بن جعشم بم مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج الكناني المدلجي ، يكني أبا سفيان روى البخاري قصته في ادراك النبي صلي الله عليه وسلم لما هاجر الي المدينة ، ودعا النبي صلي الله عليه وسلم ، عليه حتي ساخت رجلا فرسه ثم طلب منهما الخلاص وكتب له امانا ، اسلم يوم الفتح وليس سوارى كسري زمن عمر رضي الله عنه كما وعده صلي الله عليه وسلم بذلك ، روى عنه ابن عباس وجابر وسعيد بن المسيب ، مات في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة اربع وعشرين. ابن حجر ، الاصابة ، ج 3 ، ص 69 .
⁴ برهان الدين الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج 2 ، ص 215 - 220 .

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم - ما نزل بالمسلمين من توالي الأذي عليهم من كفار قريش ، مع عدم قدرته علي إنقاذهم مما هم فيه ، قال لهم: تفرقوا في الأرض فإن الله سيجمعكم قالوا إلي أين نذهب؟ قال : ها هنا وأشار بيده إلي جهة أرض الحبشة ، وقال لهم فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه فمنهم من هاجر بأهله كعثمان بن عفان - رضي الله عنه - هاجرت معه زوجه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من هاجر بنفسه كعثمان بن مظعون.⁽¹⁾ وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة من النبوة وكانت أول هجرة في الإسلام.⁽²⁾

وبعد ثلاثة أشهر من خروج مهاجري الحبشة رجعوا إلي مكة حيث لم تتيسر لهم الإقامة فيها ، لأنهم قليلو العدد - عشرة رجال وخمس نسوة - أضف إلي ذلك أنهم أشرف قريش ومعهم نساؤهم وهؤلاء ، لا يطيب لهم عيش في دار غربة بهذه الحالة . فلما رجعوا وجدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محاصراً في شعب بني هاشم فأمرهم - صلى الله عليه وسلم - هم وغيرهم بالهجرة ثانية للحبشة ، فهاجر نحو ثلاثة وثمانين رجلاً وثمانية عشر امرأة أشهرهم جعفر بن أبي طالب.⁽³⁾ ومعه زوجه أسماء بنت عميس⁽⁴⁾ وعبد الله بن مسعود وغيرهم ولما رأت قريش ذلك أرسلت في طلبهم ولكنها لم تفلح.

¹ عثمان بن مظعون بن وهب بن حزافة بن جمح الجمحي ، اسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً وهاجر إلي الحبشة هو وابنه السائب . توفي بعد شهود بدر في السنة الثانية من الهجرة وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقيع وقبلة النبي صلى الله عليه وهو ميت ويكي وعيناه تذر فان. " ابن حجر ، الإصابة ، ج 4 ، ص 225 .

² علي بن برهان الدين الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج 2 ، ص 703 .
³ جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف " أبو عبد الله " ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم واحد السابقين إلي الإسلام واخو علي شقيقه قال ابن إسحاق اسلم بعد خمسا وعشرين رجلاً وقيل بعد احد وثلاثين رجلاً وأخي النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاذ بن جبل وكان ابو هريرة يقول : انه أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكنيه أبا المساكين هاجر إلي الحبشة واسلم النجاشي ومن تبعه علي يديه ثم هاجر إلي المدينة استشهد بمؤته بالشام سنة ثمانية هجرية وكان أسن من علي بعشر سنين. " ابن حجر ، الإصابة ، ج 1 ، ص 248 ، 249 .

⁴ أسماء بنت عميس بن معد بن تميم بن الحارث بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة . أسلمت قبل دخول الرسول صلى الله عليه وسلم- ، دار الأرقم ، بايعت وهاجرت إلي أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فولدت له هناك عبد الله ومحمد وعوناً ثم قتل عنها جعفر بمؤته وتزوجها بعد جعفر أبو بكر الصديق رضي الله عنه فولدت له محمد بن أبي بكر ثم تزوجها علي بعده فولدت له يحي وعوف .

وتمت إرادة الله لهم ، ومكثوا هنالك حتى تم النصر وجاء الفرج فعادوا .⁽¹⁾ أما الهجرة الثالثة والأخيرة فكانت إلى المدينة المنورة وأول من هاجر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش من بني مخزوم " أبو سلمة " بن عبد الأسد .⁽²⁾ وتبعته زوجته فيما بعد، لأن قومها منعوها من الذهاب معه بل وابنه ، حتى خلعوا يده ثم تلاهم عامر بن ربيعة .⁽¹⁾ ومعه امرأته ليلي بنت أبي حثمة.⁽²⁾ ثم عبد الله ابن جحش ،⁽³⁾ ومعه أهله ، ثم قدم المهاجرون أرسالاً وفرادي كعمر بن الخطاب رضي الله عنه.⁽⁴⁾

المطلب الخامس: الهجرة توجب النصر والولاية:

¹ الشيخ محمد الخضري ، نور اليقين ، ص 64 – 67 .
² اسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، هاجر الحبشة الهجرتين ومعه زوجته أم سلمة وهي هند بنت أبي أمية فولدت له هناك زينب وسلمة وعمير ودرة وأصابه سهم في احدي الغزوات فانقض جرحه فمات في ثمانية من جمادى الآخرة سنة اربع هجرية وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم زوجه من بعده وهو أول من هاجر إلى المدينة " ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج 8 ، ص 85 – 86 .
¹ عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد كان احد السابقين الأولين ، هاجر الحبشة ومعه امرأته ليلي بنت أبي حثمة ثم هاجر المدينة وشهد بدرًا وما بعدها وله رواية في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه وكان صاحب عمر رضي الله عنه واستخلفه عثمان علي المدينة لما حج ، مات سنة اثنتين وثلاثين بعد مقتل عثمان بأيام " ابن حجر ، الإصابة ، ج 3 ، ص 8 .
² ليلي بنت أبي حثمة بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب وأمها أم ولد من تنوخ من سبيل العرب أسلمت قديما وبايعت وهاجرت إلي ارض الحبشة الهجرتين جميعا مع زوجها عامر بن ربيعة وولدت له . " ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج 8 ، ص 267 – 268 .
⁷ عبد الله بن جحش بن رباب بن يعمر الاسدي حليف بني عبد شمس احد السابقين ، هاجر الي الحبشة وشهد بدرًا أخي النبي صلى الله عليه وسلم- بينه وبين عاصم بن صادق وكان أول أمير في الإسلام بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلي نخلة انقطع سيفه يوم احد فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم عرجونا فصار في يده سيفًا قتل يوم احد ودفن هو وحمزة رضي الله عنهما في قبر واحد وكان عمره نيفًا وأربعون سنة. ابن حجر ، الإصابة ، ج 4، ص 47.
⁸ ابن هشام " أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري ، السيرة النبوية المعروفة بسيرة ابن هشام ، تحقيق : جمال ثابت وآخرون ، ج 2 ، ص 341 – 344 ، دار الحديث ، القاهرة ، 1424 هـ - 2004 م .

يقول الله عز وجل : " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَظْمِهِمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " (1)

والمعنى : إن الذين صدقوا الله ورسوله وهجروا قومهم وعشيرتهم ودورهم ، وهجرهم قومهم وعشيرتهم ، وجاهدوا في إتباع نفوسهم وانصابتها في حرب الكفار في سبيل الله، وآووا رسول الله والمهاجرين معه، يعني: جعلوا لهم مأوي يأوون إليه ، ونصروهم علي أعدائهم ، أولئك بعضهم أولياء بعض ، يقول: هاتان الفرقتان ، يعني : المهاجرون والأنصار، بعضهم أنصار بعض، وأعوان علي من سواهم ، وقيل : بعضهم أولي بميراث بعض وإن الله ورث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة ، دون القرابة والأرحام ، وإن الله نسخ ذلك بقوله: " وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " (2) وصار الميراث لذوي أقربي . (3) فالإرث بين المهاجرين والأنصار ثابت بالإيمان والهجرة ، ومنفي بين من لم يهاجروا بين الأنصار والمهاجرين ، حتى يهاجروا ، ومنسوخ بآخر السورة ، " ... وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى

¹ سورة الأنفال / 72 - 75.

² سورة الأنفال / 75.

³ " الطبري " ، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج 6 ، ص 53 - 57.

بِبَعْضٍ ... " (1) وإن طلبوا منكم النصر لأجل إعزاز الدين ، والضمير عائد علي الذين دافعوا ولم يهاجروا ، فعليكم النصر لهم علي الكفار " إلا علي قوم بينكم وبينهم ميثاق" أي من الكفار وهم أهل مكة فلا تنصروهم عليهم ، وتنقضوا عهدهم ، أي الصلح الكائن في الحديبية ، سنة ست على ترك القتال عشر سنين " والذين كفروا" أي في النصر والإرث ، فلا إرث بينكم وبينهم ، " إلا تفعلوه" والمعني : إن لم تفعلوا ما ذكر من تولي المؤمنين ، وقطع الكفار ، تكن فتنة وفساد كبير، يترتب علي ذلك.

قوة الكفار وضعف المسلمين" والذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله ...". ليس مكرراً مع ما تقدم، ولأن ما هاهنا بيان لفضلهم ، وما تقدم بيان لكونهم أولياء بعض ، وأيضاً ما تقدم في الهجرة قبل عام الحديبية ، وما هاهنا في الهجرة قبل الفتح ، كان قبل الحديبية أو بعدها ، ويؤخذ من هذه الآية أن جميع المهاجرين والأنصار مبشرين بالجنة من غير سابقة عذاب ، وما ورد أن المبشرين عشرة فلأنهم جُمعوا في حديث واحد " والذين آمنوا من بعد وهاجروا" أي بعد السابقين إلي الإيمان والهجرة وجاهدوا معكم أيها المهاجرون والأنصار فأولئك منكم أي من المؤمنين السابقين في الثواب ، وفي الآية دليل علي أن المهاجرين الأولين أعلي وأجل من المتأخرين بالهجرة وأن الله ألحقهم بهم ، ومن المعلوم أن المفضل يُلحق بالفاضل ، " وأولوا الأرحام بعضهم ...". وهذه الآية نزلت بعد الفتح وهي ناسخة للآية المتقدمة ، وهي ميراث المتقدمين للأنصار " في كتاب الله" أي في اللوح المحفوظ ، وقيل المراد القرآن. فالتوارث بمقتضي الإيمان والهجرة بدون قرابة نسخه التوارث بالقرابة. (1)

¹ سورة الأنفال / 75.
¹ الصاوي " احمد الصاوي المالكي " حاشية الصاوي علي الجلالين ، ج 2 ، ص 135 - 136 .

فهؤلاء - أي الذين هاجروا - أولياء في النصر ، أولياء في الارث، أولياء في الديات والتعويضات ، فأما الذين لم يهاجروا ودخلوا في هذا الدين عقيدةً ، ولم ينضموا إلي المجتمع المسلم ، الذي أصبح يملك داراً يقيم فيها شريعة الله، ويحقق فيها وجوده الكامل ، فهؤلاء - الذين لم يهاجروا - سواء من مكة أو من الإعراب حول المدينة ، ولا يدينون دينونة كاملة للقيادة القائمة عليه ، فهؤلاء لم يعتبروا أعضاء في المجتمع المسلم ولم يجعل الله لهم ولاية - بكل أنواع الولاية- مع هذا المجتمع ، لأنهم بالفعل ليسوا من المجتمع الإسلامي لأنهم لم يهاجروا ، وهذا الحكم منطقي ومفهوم مع طبيعة هذا الدين ، ومع منهجه الحركي الواقعي . فهؤلاء ليس بينهم وبين من هاجر ولاية إلا رابطة العقيدة ، وهذه لا يترتب عليها وحدها تبعات إلا أن يُعتدي عليهم في دينهم ، فُيفتتوا عن عقيدتهم ، فعند ذلك علي المسلمين أن ينصروهم بشرط ، أن لا يخل هذا بعهد من عهود المسلمين مع معسكر آخر . وانتهت الهجرة ولكن بقي الجهاد في سبيل الله. (1)

المطلب السادس: شرح حديث " لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية" : (2)

¹ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج 2 ، ص 72 - 73 .
² البخاري ، ج 3 ، ص 1164 رقم الحديث (3017) ومسلم ، ج 3 ، ص 1478 ، رقم الحديث (1353) وأبو داود ، ج 2 ، ص 6 ، رقم الحديث (248) والترمذي ، ج 4 ، ص 148 ، رقم الحديث (1590) والنسائي ، ج 7 ، ص 145 ، رقم الحديث (4169) ، وأحمد بن حنبل ، ج 1 ، ص 226 ، رقم الحديث (1991) وغيرهم .

قال -صلي الله عليه وسلم- : " لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا" ورد هذا الحديث عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وغيره في الصحيحين، وغيرهما بألفاظ متقاربة ومعني الحديث: لا هجرة واجبة من مكة إلي المدينة بعد الفتح ، والمقصود بالفتح الفتح الأعظم، وهو فتح مكة، وكان في يوم 10 رمضان سنة 8 للهجرة . وبعده انقطعت الهجرة وجوباً عن أهل مكة وغيرها من البلاد، بعد ما صارت دار أمن وسلام، وأما دار الحرب من اسلم فيها، ويخاف الفتنة علي دينه وله ما يبلغه إلي دار الإسلام فعليه أن يهاجر. (1)

وسبب نفي الهجرة من مكة إلي المدينة لأنها صارت دار إسلام ولكن جهاد ونية " أي جهاد في سبيل الله وهو جهاد الكفار و"نية" صالحة في الخير تحصلون بها الفضائل التي في معني الهجرة التي كانت مفروضة، فانقطعت هذه الهجرة المفروضة وبقيت الهجرة إلي الجهاد في سبيل الله، والهجرة إلي تحصيل الفضائل لطلب العلم و"إذا استنفرتم فانفروا" أي إذا دعاكم الإمام إلي الخروج إلي الغزو فاخرجوا إليه ولا تخالفوا أمره فتأثموا. (1)

فالجهاد في سبيل الله هو الهجرة المفترضة الباقية إلي يوم القيامة، إلا أن المهاجرين الأولين الذين مدحهم الله بهجرتهم، حرام عليهم ترك رسول الله صلي الله عليه وسلم والمدينة والرجوع إلي مكة أبداً. (2)

المطلب السابع: شروط الخروج من بلد الفتنة:

للخروج من بلد الفتنة وإلي بلد آخر من أجل عبادة الله وحفظ الدين ستة أحوال:

¹ البيهقي ، سنن البيهقي الكبرى ، ج 9 ، ص 17 .
¹ محمد فؤاد عبد الباقي ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، ص 260 – 261 .
² " ابن عبد البر " ابو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، الاستذكار ، تحقيق : سالم محمد عطا ومحمد علي معوض ، ج 7 ، ص 277 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى (1421 هـ - 2000 م) .

أولاً: أن يكون المؤمن ببلد يُفتن فيه في إيمانه فيُرغم علي الكفر وهو يستطيع الخروج فهذا حكمه حكم الذين نزلت فيهم الآية : " إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا " (1) وقد هاجر مسلمون من الأندلس حيث أكرههم النصارى علي التنصير فخرجوا علي وجوههم في كل واد تاركين أموالهم وديارهم ، ناجين بأنفسهم وإيمانهم ، وهلك فريق منهم في الطريق وكان ذلك سنة 905م.

ثانياً: أن يكون ببلد الكفر غير مفتون في إيمانه، ولكن يكون عرضة للإصابة في نفسه ، أو ماله بأسر، أو قتل، أو مصادرة مال، فهذا قد عرض نفسه للضرر وهو حرام بلا نزاع وهذا مسمي الإقامة ببلد الحرب المفسرة بأرض العدو.

ثالثاً: أن يكون ببلد غلب عليه غير المسلمين إلا أنهم لم يفتنوا الناس في إيمانهم ولا في عباداتهم ولا في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ولكنه بإقامته تجري عليه أحكام غير المسلمين إذا عرض له حادث مع أحد من أهل ذلك البلد الذين هم غير مسلمين ، وهذا مثل الذي يقيم اليوم ببلاد أوربا النصرانية . (1) وظاهر قول مالك أن المقام في مثل ذلك مكروه كراهة شديدة، من أجل أنه تجري عليه أحكام غير المسلمين وهو ظاهر المدونة في كتاب التجارة إلي أرض الحرب، وقال بعض المالكية من أصحاب مالك بالحرمة. (2)

¹ سورة النساء / 97.

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 2 ، ص 178 – 179.

² الإمام مالك بن انس ، المدونة الكبرى ، رواية سحنون بن سعيد التتوخي ، عن الإمام عبد الرحمن بن قاسم ، ويليها : مقدمات ابن رشد لبيان ما افترضته المدونة من أحكام ، للإمام الحافظ أبي الوليد محمد بن احمد بن رشد ، ج 5 ، ص 465 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون .

رابعاً: أن يتغلب الكفار علي بلد أهله مسلمون ولا يفتنونهم في دينهم ولا في عباداتهم ولا في أموالهم ، ولكنهم يكون لهم حكم القوة عليهم فقط، وتجري الأحكام بينهم علي شريعة الإسلام ، فمن بقي فعلي صواب ومن هاجر فالحق معه.

خامساً: أن يكون لغير المسلمين نفوذ وسلطان علي بعض بلاد الإسلام مع بقاء ملوك المسلمين فيها واستمرار تصرفهم في قومهم واحترام أديانهم وسائر شعائرتهم، ولكن تصرف الأُمراء تحت نظر غير المسلمين وبموافقتهم وهو ما يسمى الحماية والاحتلال فيجوز الخروج ولكن مقاومة الاحتلال أفضل.

سادساً: البلد الذي تكثر فيه المناكير والبدع وتجري فيه أحكام كثيرة علي خلاف صريح الإسلام بحيث يخط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ولا يجبر المسلم فيها علي ارتكابه خلاف الشرع ولكنه لا يستطيع تغيير المنكر، فإن هاجرت جماعة أو فرد جاز ذلك . وعموما ان بقاء المسلمين في أوطانهم إذا لم يفتنوا في دينهم مصلحة كبرى وعظمي لجماعة المسلمين، كما أن فيه مجاهدة وجهاداً لأعداء الدين حتى لا يتم لهم المراد بالقضاء علي المسلمين واستئصالهم ، وتهجيرهم من أوطانهم.⁽¹⁾

المطلب الأول: معاني الجهاد ومدلولاته:

الجهاد: محاربة الأعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قولٍ أو فعلٍ ومنه جاهد العدو مجاهدةً وجهاداً: قاتله وجاهد في سبيل الله . والجهاد : الأرض المستوية . والصحراء جهاد ، وأجهدت لك الأرض برزت، وفلان مجهد لك محتاط ، وجهد الرجل فهو مجهود من المشقة .⁽²⁾

¹ محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 3 ، ص 139 – 189 .
² ابن منظور ، لسان العرب ، ج 1 ، ص 770 ، مادة (ج ، هـ ، د) .

والجهاد في الشرع هو : رد الظلم عن النفس والدفاع عنها في نطاق عدم الانتقام. والجهاد وسيلة من وسائل نشر كلمة التوحيد وهي " لا اله إلا الله " وليس الجهاد في الإسلام غنيمة تُسلب، ولا قوة تُفرض، ولا سطوة تُستعلي، إنما هو إحقاق للحق ودفع للظلم . فالجهاد يعني بذل ما في النفس من طاقة وما في وسعها من قدرة ومشقة . وليس سبيل الجهاد في الميدان فحسب ، أي جهاد الأعداء، بل وجهاد النفس الأمانة بالسوء والهوى. (1)

وقال ابن تيمية " الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الايمان والعمل الصالح، وفي دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان " (1)

فالجهد هو: استقراغ الوسع والطاقة وتحمل المشقة والصبر عليها في الدعوة إلى الله تعالى ، حسب ما يقتضيه حال المدعو من الحجة والبيان ، وبذل الأموال أو المحاربة بالسيف والسنان، بكل ما يمكن أن يُجاهد به في كل مكان وزمان ، قال الله عز وجل: " وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ" (2) أبهم الله في هذه الآية ما يجاهد به ليعمم كل آلات الجهاد . وقال تعالى: " فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا " (3) أي القرآن قال الله عز وجل " ... وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... " (4)

أما السنة فقد قال رسول الله -صلي الله عليه وسلم- : " جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم " (5) فالجهاد في مدلول الشرع أهم من أن يكون قتالاً كما فهمه بعض أهل العلم، مما جعل المستشرقين ينالون من الإسلام بسببه ، بل القتال بعض أنواع الجهاد، ولا يستعمل إلا عند الضرورة

¹ الشيخ محمود العالم ، فكاهاة الأذواق من مشاريع الأشواق، تحقيق : محمود محمد محمود حسن نصار، ص 7 - 8 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، بدون .
² " ابن تيمية " تقي الدين احمد بن عبد الحلیم ، العبودية ، ص 104 .
³ سورة الحج / 78 .
⁴ سورة الفرقان / 52 .
⁵ سورة التوبة / 41 .
⁵ أبو داؤود ، سنن أبي داؤود ، ج 2 ، ص 13 ، رقم الحديث (2504) ، كتاب الجهاد ، باب كراهية ترك الغزو .

والاضطرار إليه ، كالكي للعلاج ، وأكبر شاهد علي ذلك وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأمير الجيش أو السرية وهي : " ... وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلي ثلاث خصالٍ أو
خلال ، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.." (1) ويلاحظ
من هذه الوصية النبوية ، أن دعوة الكفار إلي الله بالحجة والبيان ، مقدمة دائماً علي الدعوة بالسيف
والسنان ، ومن هنا صار القتال حسناً في نظر العقلاء، عكس ما يصوره أعداء الإسلام من
الهمجية والوحشية، ولم يدروا أنه علاج للفرد والمجتمع ، ويعالج الفرد بأن يخرج من مرض الكفر
إلي عافية الإسلام ، ويعالج المجتمع من حيث قطع مادة الفساد ، والظلم في المجتمع ، وترك الكافر
علي كفره تكثير للكفار ، وتقوية لهم ، وهم أصل فساد الأرض ، ومنتشأ الظلم . فالجهاد في الإسلام
، إصلاحاً وإحياءً وإعلاءً فكان صلاحاً باعتبار عاقبته ، والأمور بعواقبها ، كالحجامة والفسد
والزراعة ، باعتبار المآل. فالجهاد ليس هجومياً ولا دفاعياً، ولا يجوز وصف الجهاد بذلك ، لأن
الهجوم يعني : الدخول بغتةً وغفلة ، والدفاع يعني : الاقتصار علي حماية الدولة أو الجهة المحدودة
، واحترام حدود الآخرين، إلا إذا اعتدوا . ولا شأن لها بمن يكفر أو يسلم . وهذا لا يتفق مع عالمية
الإسلام، لأن الإسلام دين له حق نشر راياته في جميع أنحاء العالم . إما الاستسلام وعدم اعتراض
الدعاة إلي الله ، ودفع الجزية وهم صاغرون، لأن العزة لله ورسوله والمؤمنين، فان رفضوا ذلك ،
أمرنا بقتالهم وجهادهم . (1)

¹ مسلم ، صحيح مسلم ، ج 3 ، ص 1356 ، رقم الحديث (1731) ، كتاب الجهاد والسير ، باب تامير الامراء علي البعوث ووصيته
اياهم باداب الغزو وغيره .
¹ ابن النحاس ، أبي زكريا أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي الدمياطي ، مشارع الأشواق إلي مصارع العشاق ، تحقيق : إدريس محمد
علي ومحمد خالد اسطنبولي ، ص 20 - 23 ، دار البشائر الإسلامية ، بدون .

المطلب الثاني: شروط الحرب والجهاد:

فأما شرط الحرب فهو بلوغ الدعوة باتفاق ، أعني أنه لا يجوز حرابتهم حتى يكونوا قد بلغتهم الدعوة ، وذلك شيء مجتموع عليه من المسلمين لقوله تعالى: " ... وَمَا كُنَّا مُعَدِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا " (1) وأما هل يجب تكرار الدعوة عند تكرار الحرب فإنهم اختلفوا في ذلك ، فمنهم من أوجبها ، ومنهم من استحبها، ومنهم من لم يوجبها ولا استحبها، والسبب في اختلافهم معارضة القول للفعل ، وذلك أنه ثبت أنه -صلي الله عليه وسلم- كان إذا بعث بسرية قال لأميرها : " إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلي ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم ، ادعهم إلي الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الي التحول من دارهم إلي دار المهاجرين وأعلمهم أنهم إن فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين وأن عليهم ما علي المهاجرين ، فإن أبوا

¹ سورة الإسراء / 15 .

واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله الذي يجري علي المؤمنين ولا يكون لهم في الفئ والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. (1) وثبت من فعله -صلي الله عليه وسلم- أنه كان يبيت العدو ويغير عليهم مع الغدوات ، فمن الناس، وهم الجمهور ، من ذهب إلي أن فعله ناسخ لقوله، وإن ذلك إنما كان في أول الإسلام قبل أن تنتشر الدعوة، بدليل دعوتهم فيه إلي الهجرة ، ومن الناس من رجح القول علي الفعل ، وذلك بأن حمل الفعل علي الخصوص ، ومن استحس الدعاء فهو وجه من الجمع. (1)

وللجهاد شروط كثيرة ، ولكن المشهورة منها سبعة:- أولاً: الإسلام لأن بذل المال من

اجل الدفاع عن مبادئ عليا وأهداف نبيلة ورسالة عظيمة هي رسالة التوحيد ، لا بد من

اعتناق هذه العقيدة - عقيدة الصفاء والإخلاص ، ومن أبرز إخلاص العبد لله أن يقدم روحه فداء لله ولوطنه. (2) أما الكافر : فغير مؤتمن أصلاً... ولا يكون مجاهداً إلا إن كان الكافر مجاهداً من قائد المسلمين علي أن يكون له الجعل مقابل جهاده .. وهذا قليل جداً لم يحدث إلا في أندر الأحوال. (3)

ثانياً: البلوغ ، لأن الجهاد يحتاج إلي تحمل وتضحية لمواجهة الخصم اللدود والكافر الجسور ، وذلك لا يتم إلا في البالغ . (4) لأن الصبي في الغالب ضعيف البنية لا يستطيع علي مواجهة الأعداء ، أما

¹ سبق تخريجه.

¹ ابن رشد القرطبي ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج 1 ، ص 353 - 385 .

² الشيخ محمود العالم ، فكاهاة الأنواق من مشارح الأشواق ، ص 10 .

³ صالح اللحيدان ، الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع ، ص 58 ، دار الصميعة للنشر والتوزيع ، السعودية ، بدون .

⁴ الشيخ محمود العالم ، فكاهاة الأنواق ، ص 11 .

الغلام الذي دون البلوغ ، ولكن لديه القدرة علي القتال فلا ضير في ذلك . وقد أجاز الرسول -صلي

الله عليه وسلم- يوم احد سمرة بن جندب⁽¹⁾ ، ورافع بن خديج⁽²⁾ ، بعد أن ردهما.⁽³⁾

ثالثاً: العقل: وهو مناط التكليف وهو أداة التحكم في جسم الإنسان ، وبدونه يختل النظام فالعقل هو

الذي يعد العدة ويعرف متي يكون البدء ومتي يستخدم الهدنة ، ومتي تكون النهاية.⁽¹⁾

أما المجنون فلا يتأتى منه الجهاد ولا يستطيع ذلك فهو مشغول بنفسه عن غيره إلي أن يشفيه الله

تعالى.⁽²⁾

رابعاً: الحرية ، وهذا الشرط الذي اشترطه الفقهاء قديماً لم يعد ذا بال اليوم ، لأن معظم أرجاء العالم

الإسلامي قد تحرر من رق العبودية ، وهذا أصل من مقصد الشرع.

خامساً: الذكورة ، لأن الله قد وضع في الرجال القدرة علي مواجهة الشدائد . إذ الرجل قادر علي أن

يتمالك نفسه عندما يرى أخاه يصرع بجواره ، أما النساء فلا طاقة لهن بمواجهة هذه الصعاب ، وهذا

لا يمنع أن يكون للمرأة دور بارز في المعركة ، كما كان ذلك في عهد النبي -صلي الله عليه

وسلم- من التطبيب وغيره ، ويمكن المشاركة في المعركة إذا دعت الضرورة أو الدفاع عن النفس.

(3)

¹ سمرة بن جندب بن هلال بن مريج بن مرة بن حرب . يكنى أبا سليمان ، كان من حلفاء الأنصار ، قدمت به أمه بعد موت أبيه فتزوجها رجل من الأنصار وكان صلي الله عليه وسلم يعرض غلمان الأنصار فمر به غلام فأجازه في البعث وعرض عليه سمرة فرده فلما صرع الغلام المجاز أجازته صلي الله عليه وسلم وكان مع علي بن أبي طالب ضد الخوارج وكان شديدا عليهم مات سنة ستين " ابن حجر ، الإصابة ، ج 3 ، ص 130 .

² رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن يزيد الأنصاري الاوسي أبو عبد الله ، أمه حليلة بنت مسعود ، عرض علي النبي -صلي الله عليه وسلم- يوم بدر فاستصغره وأجازه يوم احد وشهد ما بعدها مات سنة أربع وسبعين وهو ابن ست وثمانين سنة في خلافة معاوية رضي الله عنه وصلي عليه ابن عمر -رضي الله عنه- ، أبي حجر ، الإصابة ، ج 2 ، ص 186-187 .

³ صالح اللحيدان ، الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع ، ص 58 – 59 .

¹ الشيخ محمود ، فكاها الأذواق ، ص 11 .

² صالح اللحيدان ، الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع ، ص 59 .

³ الشيخ محمود العالم ، فكاها الأذواق ، ص 12 .

سادساً: الصحة والطاقة علي القتال، قال تعالى: " لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ " (1) فصحة البدن وسلامته وخلوه من الألم ، والجروح شرط من شروط الجهاد ، وتشمل الصحة البدنية والنفسية للمحارب أو المجاهد ، ورفع الروح المعنوية له ، وبت الأمل والنصرة في روحه ، وبأن الجنة مثنى المجاهدين. (2)

سابعاً: وجود النفقة ، والمقصود إعداد المجاهد نفسه لخوض المعارك ضد الكفرة والمارقين بالسلاح والعتاد، وترك زادٍ لأهله وعشيرته ، وكان هذا في الصدر الأول من الإسلام ، ولكن اليوم يصبح ذلك واجباً علي ولاية أمور المسلمين الذين يجهزون.

المطلب الثالث: الأمر بجهاد الكفار وذكر وجوبه والوعيد لمن تركه:

المجاهدون لإعلاء كلمة الله وعلي الأغنياء من هذه الأمة. (1) وقال تعالى: " كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ " (2) وقال تعالى: " وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " (3) وقال تعالى: " وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ " (4)

وقال تعالى: " أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي

¹ سورة التوبة / 91.

² الشيخ محمود العالم ، فكاهاة الأنواق ، ص 12.

¹ صالح اللحيدان ، الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع ، ص 61.

² سورة البقرة / 216.

³ سورة البقرة / 244.

⁴ سورة البقرة / 251.

سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " (1) وقال تعالى: " فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (2)

وقال تعالى: " وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ " (1)

وفي الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله -صلي الله عليه وسلم- : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا اله إلا الله ، فان قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم علي الله " (2)

وقال -صلي الله عليه وسلم- : " جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم " (3) وقال -صلي الله عليه وسلم- : " لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا " (4) فكل ما ذكر من الآيات والأحاديث النبوية ، يبين أن الجهاد في سبيل الله عز وجل لنشر الدين وإعرازه والدفاع عنه واجب، والحذر كل الحذر والوعيد لمن ترك الجهاد في سبيل الله دون عذر. (5) وقد فرض الله عز وجل الجهاد بالأنفس والأموال ، وهو أعلي مراتب الجهاد قال تعالى: " انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " (6) فالبذل يُشرف بشرف المبدول، وأفضل ما

¹ سورة التوبة / 29.

² سورة التوبة / 5.

¹ سورة الحج / 40.

² البخاري ، صحيح البخاري ، ج 12 ، ص 275 ، رقم الحديث (6924) ، كتاب استنابة المرتدين ، باب قتل من أبي قبول الفرائض وما نسبوا إلي الردة.

ومسلم ، صحيح مسلم ، ج 1 ، ص 52 ، رقم الحديث (33) كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله محمد رسول الله .

³ سبق تخريجه.

⁴ محمد فواد عبد الباقي ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، ص 403 ، رقم الحديث (1219) .

⁵ ابن النحاس ، مشارع الأشواق إلي مصارع العشاق ، ص 79 - 90 .

⁶ سورة التوبة / 41.

بذله الإنسان نفسه وماله . ولما كانت الأنفس والأموال مبدولة نحو الجهاد جعل الله من بذل نفسه في أعلي مراتب الطائعين وأشرفها لشرف ما بذله ، مع محو الكفر ، ومحق أهله وإعزاز الدين ، وصون دماء المسلمين.⁽¹⁾

أما ما ورد في الوعيد ، من ترك الجهاد ، رغبةً عنه ، أو مات ولم يغز فقوله تعالى: " قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ " ⁽¹⁾ ففي هذه الآية الشريفة من التهديد التخدير والتخويف لمن ترك الجهاد رغبة عنه، وسكوناً إلي ما هو فيه من الأهل والمال ما فيه كفاية ، فاعتبروا يا أولي الأبصار.⁽²⁾ وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " ⁽³⁾

قال الإمام القرطبي: " هذا توبيخ علي ترك الجهاد ، وعتاب علي التقاعد عن المبادرة إلي الخروج. وقوله " اتاقلتم إلي الأرض " أي إلي نعيم الأرض ، أو إلي الإقامة بالأرض والتناقل عن الجهاد ، مع إظهار الكراهة حرام علي كل أحد ، والإمام إذا عين قوماً وندبهم إلي الجهاد لم يكن لهم أن يتناقلوا عند التعيين ، ويصير بتعيينه فرضاً علي من عينه لا لمكان الجهاد ولكن لطاعة الإمام.⁽⁴⁾

¹ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، أحكام الجهاد وخصائصه ، تحقيق : د . نزيه حماد ، ص 54 ، بدون .

¹ سورة التوبة / 24.

² ابن النحاس ، مشارع الأشواق إلي مصارع العشاق ، ص 105 – 108.

³ سورة التوبة / 38 – 39 .

⁴ القرطبي " الجامع لأحكام القرآن ، ج 4 ، ص 140.

وقال -صلي الله عليه وسلم-: "إذا تبايعتم بالعينه ⁽¹⁾ وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلي دينكم"⁽²⁾ ومعني الحديث : إن الناس إذا تركوا الجهاد وأقبلوا علي الزرع ونحوه تسلط عليهم العدو فصاروا أذلة صغاراً حتى يرجعوا إلي ما هو واجب عليهم وهو جهاد الكفار لإقامة الدين. وقال -صلي الله عليه وسلم-: " من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه مات علي شعبة من النفاق" . ⁽¹⁾ فكل هذا التحذير والوعيد لمن ترك الجهاد حتى لا تغفل عنه الأمة وبصيبيها الذل والهوان والصغار. ⁽²⁾

المطلب الرابع: أسباب الحرب وأهدافها " فلسفة الجهاد":

اتفق المسلمون علي أن المقصود بالمحاربة لأهل الكتاب ما عدا أهل الكتاب من قريش ونصارى العرب هو أحد أمرين: إما الدخول في الإسلام ، وإما إعطاء الجزية لقوله تعالى: " قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ " ⁽³⁾ وكذلك اتفق عامة الفقهاء علي أخذها من المجوس ، واختلفوا فيما سوى أهل الكتاب من المشركين هل تقبل منهم الجزية أم لا؟ فقال قوم : تؤخذ الجزية من كل مشرك ، وبه قال مالك . وقوم استثنوا من ذلك مشركي العرب . وقال الشافعي : وأبو ثور وجماعة لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب والمجوس، والسبب في اختلافهم معارضة

¹ هو أن يشتري الإنسان سلعة بثمن معين إلي اجل ثم يبيعه ممن اشتراها الذي أخذه عاجلاً وهذا البيع حرام ويقع باطلا عند أبي حنيفة ومالك وأحمد ، سيد سابق ، فقه السنة ، ج 3 ، ص 106 .

² أبو داود ، سنن أبي داود ، ج 3 ، ص 740 ، رقم الحديث (2462) ، كتاب البيوع ، باب في النهي عن العينة.

¹ مسلم ، صحيح مسلم ، ج 3 ، ص 1517 ، رقم الحديث (1910) ، كتاب الامارة ، باب ذم ، من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو.

² ابن النحاس ، مشارع الأشواق إلي مصارع العشاق ، ص 108 -111.

³ سورة التوبة / 29.

العموم للخصوص . أما العموم فقولته تعالى: " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ
انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ " (1) وأما الخصوص فقولته لأمرء السرايا الذين كان يبعثهم إلي
مشركي العرب ، ومعلوم أنهم كانوا غير أهل الكتاب. فإذا لقيت عدوك فادعهم إلي ثلاث خصالٍ أو
خلال فذكر الجزية فيها. (1) الحديث . فمن رأى أن العموم إذا تأخر عن الخصوص فهو ناسخ له
فقال : لا تقبل الجزية من مشرك ما عدا أهل الكتاب، ومن رأى أن العموم يبنى علي الخصوص
تقدم أو تأخر قال: تقبل الجزية من جميع المشركين. (2)

فههدف الإسلام من الجهاد هو نشر الإسلام وتعاليمه ، فليس ينطلق من مفهوم عصبية
عمياء ، ولا همجية شعواء ، ولا دكتاتورية ظالم ، وإنما يقصد الإسلام من الجهاد إعلاء كلمة الحق
ونشر " لا اله إلا الله " .

يقصد الإسلام من الجهاد تخليص النفس من أدوات المادية ، وتعلقها بالروحانية ، قال
تعالى: " أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ
حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَّامَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ
وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ " (3)

شرع الإسلام القتال لمنع الفساد في الأرض ، إذ أنه لو ترك الأشرار يعيشون في الأرض
فساداً ، من غير رادع يردعهم ، ولا مانع يمنعهم ، لعم الفساد البر البحر ولذلك قال تعالى: "
فَهَرَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ

¹ سورة البقرة / 193.

¹ سبق تخريجه.

² ابن رشد " أبي الوليد محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج 1 ، ص 187 – 388.

³ سورة الحج / 39 – 40 .

بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ " (1) و(2) فغاية الحرب في الشريعة الإسلامية تحقيق حرية العقيدة للناس ومنع اضطهادهم وتعذيبهم من أجل اعتناقهم الدين الذي يرغبون فيه ، فلا إكراه في الدين. وقد شرعت الحرب في الإسلام حتي لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، وحتى يستتب الأمن والسلام في ربوع الأرض ، فالهدف الأسمى للحرب في الإسلام هو تحقيق السلام للناس أجمعين دون النظر إلي جنسياتهم أو معتقداتهم. (1) فالصراع بين الحق والباطل ، تمتد جذوره منذ أن وُجد البشر علي وجه الأرض ، فهو من سنن الله القدريّة التي فطر الخلق عليها، ولأنّ الشرع الحكيم قام علي الحق، وقام ليعالج ما فطر عليه البشر من نوازع ورغبات ليقيمها علي ما فيه صلاحها ، فقد شرع للمسلمين الجهاد لإقامة دين الله تعالي وإماتة الشرك قال تعالي: " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ " (2) فشرع الجهاد لأجل حرية المعتقد فمن شاء بعد ذلك فليؤمن ومن شاء فليكفر (3)

¹ سورة البقرة / 251.
² الشيخ محمود العالم ، فكاهاة الانواق ، ص 8 – 9 .
¹ توفيق علي وهبة ، الجهاد في الإسلام دراسة مقارنة بأحكام القانون الدولي ، ص 43 – 44 ، دار اللواء بالمهندسين ، القاهرة ، الطبعة الرابعة (1401 هـ - 1981 م).

² سورة البقرة / 193.
³ عمر بن محمود أبو عمر ، الجهاد والاجتهاد تأملات في المنهج ، ص 13 ، دار البيارق ، بدون .

المطلب الخامس: حكم الجهاد:

الجهاد قسمان: فرض كفاية ، وفرض عين.

القسم الأول: فرض الكفاية: وهو الذي إذا قام به من فيه الكفاية سقط الوجوب عن الباقيين ، فإذا كان الكفار مستقرين في بلادهم لم يقصدوا بلاد الإسلام ، ولم يتعرضوا لها، فجهادهم فرض كفاية : إذا قام به بعض المسلمين سقط عن الباقيين.

القسم الثاني: الجهاد الذي هو فرض العين: وهو الذي يجب على كل أحد بعينه ، ولا يجزي فيه أحد عن أحد، وهو إذا نزل الكفار علي بلد، فإن الجهاد قد صار فرض عين علي كل قادر عليه من أهل ذلك البلد ، فيجب عليهم الدفع والتهيؤ والتأهب لذلك بما يمكنهم ، يستوى في ذلك السيد والعبد ، والبالغ والمراهق، ولا يجب في هذه الحال استئذان العبد سيده ولا الولد والده ، ولا من عليه الدين صاحبه ، بل تجب المبادرة إليه بقدر الحاجة ، فإن لم يكن في أهل ذلك البلد كفاية في دفع العدو النازل بهم ، وجب علي كل من قُرب منهم النفير إليهم ومساعدتهم علي دفع العدو عنهم ، ثم علي

ذلك الذين يلونهم ، ثم كذلك إلي أن تحصل الكفاية ، فإذا حصل سقط الإثم عن باقي المسلمين ، ولا يسقط الوجوب لعدم المركوب لمن دونه مسافة القصر ، بل يجب عليهم السير إليهم سواء كان راجلاً وكان قادراً علي المشي . وكذلك إذا أسر الكفار مسلماً وجب علينا النهوض إليهم لخلاصه إذا توقعنا خلاصه بذلك . (1) وفرض العين يجب علي الرجال الأحرار البالغين الذين يجدون بما يغزون الأصحاء لا المرضي ولا الزمني ، وذلك لا خلاف فيه لقوله تعالى: " لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ " (2) وأما كون هذه الفريضة تختص بالأحرار فلا أعلم فيها خلافاً ، وعامة الفقهاء متفقون علي أن من شرط هذه الفريضة إذن الأبوين فيها، إلا أن تكون عليه فرض عين، مثل أن لا يكون هنالك من يقوم بالفرض إلا بقيام الجميع به. (3) ولا يجب الجهاد علي صبي ، ومجنون ، وامرأة ، ومن به مرض يمنع من القتال ويجب علي أعور ، وذو صداع ، ووجع ضرس ، وحمي خفيفة ونحوها ، وذو عرج يسير . وأجمع العلماء علي أن الغزو لا يجوز إلا بإذن الأبوين المسلمين ، والجد والجدة ، كالأبوين عند عدمهما ، وكذا مع وجودهما في أصح الوجهين . وأقل الجهاد في كل سنة مرة والزيادة أفضل بلا خلاف ، ولا يجوز إخلاء سنة من غزو ، إلا لضرورة كضعف المسلمين ، وكثرة العدو وخوف الاستئصال لو ابتدأوهم أو لعذر كعذر الزاد ، وقلة العتاد ، وإن كان الصحيح أن يقام الجهاد بحسب الإمكان حتي لا يبقي إلا مسلم أو مسالم ، ولا يختص بمرة في السنة ولا يعطل إذا أمكنت الزيادة ، وما ذكر من الأعوام حملوه علي العادة الغالبة . فعلي الإمام إغراء طائفة إلي العدو ، كل فترة ، ويخرج معهم ، أو يخرج من يثق به يدعوهم إلي

¹ الإمام بدر الدين بن جماعة ، تحرير الأحكام ، ص 55 ، 56.

² سورة النور / 61.

³ " ابن رشد " ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ص 389.

الإسلام ، ويكف أذاهم ، ويظهر دين الله ، حتي يدخلوا في الإسلام أو يعطي الجزية لان الجهاد سنة ماضية إلي يوم القيامة. (1)

المطلب السادس: فضل الجهاد والمجاهدين وعناية الله بهم:

قال تعالى: " فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا " (1) وقال الله تعالى: " لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا " (2) وقال الله تعالى: " الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ " (3) فالجهاد أمره وفضله عظيم ، تم النصر للمجاهدين ، أم لم يتم ، فالمجاهد في سبيل الله عز وجل بنفسه وماله أعظم أمراً وثواباً ودرجة عند الله، فالمجاهدون منعمون في الجنة في نعيم دائم لا ينقطع.

¹ ابن النحاس ، مشارع الأشواق إلي مصارع العشاق ، ص 98 – 100.

¹ سورة النساء / 74

² سورة النساء / 95 – 96 .

³ سورة التوبة / 20 – 22 .

(4) فالجهاد في سبيل الله عز وجل لا يعدله سقي الحاج أو عمارة المسجد بالصلاة والذكر قال تعالى: " أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " (2) وقد قعد نفر من أصحاب رسول الله - صلي الله عليه وسلم- يتذكرون في أفضل الاعمال وأحبها إلي الله عز وجل، حتي يعملوا بها، فينالوا الثواب العظيم والدرجات العلي ، فانزل الله عز وجل: " سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانًا مَرْصُوصًا " (1) وفضائله في القران وآياته كثيرة. (2) أما السنة فملئية بأحاديث النبي -صلي الله عليه وسلم- في فضائل الجهاد والمجاهدين وما أعد الله لهم من النعيم والمنازل في الآخرة ونذكر نذراً يسيراً منها ، من كتاب الإمام "أبي الحسن علي بن محمد بركة الاندلسي" (3) في فضائل الجهاد . عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال : جاء رجل إلي النبي صلي الله عليه وسلم فقال: الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل؟ فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " (4) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم ، أي الأعمال أفضل؟ قال: " إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، قيل: ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور ". (5) وعن أبي حمزة

¹ العز بن عبد السلام ، أحكام الجهاد وفضائله ، ص 54.

² سورة التوبة / 19.

¹ سورة الصف / 1 - 4 .

² الشيخ محمود العالم ، فكاهاة الأنواع ، ص 49.

³ الإمام العلامة المجاهد أبي الحسن علي بن محمد بركة الاندلسي التكواني ، أربعون حديثاً في فضل الجهاد ، تحقيق : محمد بو خيزرة ، ص 10 - 25 ، منشورات جمعية " البعث الإسلامي " تكوان ، المغرب ، بدون .

⁴ البخاري ، صحيح البخاري ، ج 1 ، ص 58 ، رقم الحديث (123) ، كتاب الجهاد ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا .

⁵ البخاري ، صحيح البخاري ، ج 1 ، ص 12 ، رقم الحديث (26) ، كتاب الإيمان ، باب من قال الإيمان هو العمل . ومسلم ، ج 1 ، ص 88 ، رقم الحديث (83) ، كتاب الإيمان ، باب كون الإيمان بالله أفضل الأعمال .

أنس بن مالك . خادم رسول الله -صلي الله عليه وسلم- رضي الله عنه- قال: " قال رسول الله -

صلي الله عليه وسلم- : "لغدوة في سبيل الله أو روحة ، خير من الدنيا وما فيها" (1) وقال -صلي

الله عليه وسلم- : " ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار " . (2)

وما ورد في عناية الله للمجاهدين ورعايتهم قوله صلي الله عليه وسلم: " ثلاثة حق علي الله

عونهم : المجاهد في سبيل الله، والمُكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف" (1)

¹ البخاري ، صحيح البخاري ، ج 3 ، ص 1028 ، رقم الحديث (2639) ، كتاب الجهاد ، باب الغدوة والروحة في سبيل الله . ومسلم ، ج

1 ، ص 501 ، رقم الحديث (725) - كتاب الأمانة- باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله

² البخاري ، صحيح البخاري ، ج 6 ، ص 29 ، رقم الحديث (2811) ، كتاب الجهاد ، باب من اغبرت قدماه في سبيل الله

¹ النسائي ، المجتبي من السنن ، ج 6 ، ص 5 ، رقم الحديث (3120) ، كتاب النكاح ، باب معونة الله الناكح الذي يريد العفاف .

المطلب السابع: مراحل تشريع الجهاد وأنه من شُعب الإيمان:

للجهاد ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: الجهاد المكي:

وهذا الجهاد كان فرضاً علي رسول الله -صلي الله عليه وسلم- منذ أن بعثه الله عز وجل وأمره بالإنداز ، وكان هذا أشق أنواع الجهاد علي رسول الله -صلي الله عليه وسلم- وكم أوزي في سبيله من جهة قومه حتي اضطر إلي السفر إلي الطائف لعله يجد من يقوم معه في هذا الأمر، ولكنه رجع كما ذهب لحكمة بالغة ، وهي كمال رفعته ومنزلته بين العالمين ، حيث أسرى الله عز وجل به إلي بيت المقدس ، ثم عُرج به إلي السموات العُلي ، فكان قاب قوسين أو أدني ، وكان هذا بعد حادثة الطائف التي أصيب فيها النبي صلي الله عليه وسلم حتي أدمت قدماه فجاهد صلي الله عليه وسلم قومه بالحجة والبيان والتبليغ كما أمره ربه عز وجل قال تعالي: " فَلَا تُطِعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا " (1) فهذه آية مكية أمر فيها بجهاد الكفار بالحجة والبيان وتبليغ القرآن. (2)

المرحلة الثانية: الجهاد الهجري:

¹ سورة الفرقان / 52.
² ابن النحاس ، مشارع الأشواق إلي مصارع العشاق ، ص 26.

من ثمرة جهاد النبي -صلي الله عليه وسلم- الفردي أن الناس بدأوا في مكة يدخلون في دين الله شيئاً فشيئاً ، ولما رأَت قريش ذلك ضيقت عليهم الخناق ، وأذاقتهم صنوف العذاب ، خاصة المستضعفين فيهم ، أمثال بلال بن رباح وعمار بن ياسر ، وخباب بن الأرت -رضي الله عنهم- ، فعندئذِ إذن لهم الرسول -صلي الله عليه وسلم- بالهجرة إلى المدينة المنورة. (1) وهناك كثر أنصاره وقويت شوكة السلميين واشتد جناحهم ، عندئذِ أذن الله لهم بالقتال دون أن يفرض هذا عليهم ، وذلك في قوله تعالى: " أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَيَبْعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ " (2) فأذن الله لهم بعد الهجرة وإخراجهم من ديارهم وهي مكة بالقتال دون ان يفرض عليهم وسياق الآية دال على ذلك . (3) وهذا النوع من الجهاد أشد أنواع الجهاد الذي مر على الصحابة رضوان الله عليهم ، إذ هو فراق للوطن والأهل والمال والأحباب ، إلى أناس لا يعرفون حالهم ، وإلى بلد ليس فيها أنيس ولا يدرون أين مصيرهم ، وإلى بيئة تختلف عن بيئتهم. (4)

المرحلة الثالثة: الجهاد المدني:

ففي هذه المرحلة أوجب الله عليهم القتال، لمن قاتلهم، دون من كف عنهم ، وببإذن الوجوب في قوله تعالى: " كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ " (5) ثم بعد ذلك أوجب الله عليهم قتال كل مشرك

¹ ابن النحاس ، مشارع الأشواق ، ص 27.

² سورة الحج / 39 - 41.

³ صالح اللحيدان ، الجهاد في الإسلام بين الطلب الدفاع ، ص 44 - 45.

⁴ ابن النحاس ، مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ، ص 27.

⁵ سورة البقرة / 216.

بالله حتي يعم التوحيد والإسلام أرجاء المعمورة ، قال تعالى: " إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ " (1)

وقال تعالى : " فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ

وَاحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ " (1) ومن ثم انتشر الإسلام وعم أكثر بقاع الجزيرة العربية . (2) وأما كون الجهاد من شعب

الإيمان والإسلام فلا يخفي ، وقد ورد في الحديث " من لقي الله بغير أثر جهاد لقي الله وفي إيمانه

ثلمة. (3) أي خلل في إيمانه، إشارة إلي نقصان الشعبة. (4)

¹ سورة التوبة / 36.

¹ سورة التوبة / 5.

² صالح اللحيدان ، الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع ، ص 47 – 49.

³ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج 4 ، ص 189 ، رقم الحديث (1666) ، كتاب فضل الجهاد ، باب فضل المرابط.

⁴ القصري ، شعب الإيمان- ص 219.

المطلب الثامن: دور المرأة في الجهاد:

كتب الله علي المسلمين الجهاد دفاعاً عن دينهم وأنفسهم فقام به سلفنا الصالح علي خير وجه . ولم يقتصر الجهاد علي الرجل فقط، بل شاركت المرأة فيه بقدر طاقتها.

لم يفرض الإسلام علي المرأة أن تجاهد بالسيف ، لطبيعتها الخاصة ، وإن كانت بعض النساء قد شاركت فعلاً في الحروب الإسلامية حاملة السيف مجاهدة مع الرجال.

ولكن ما تواترت أنبأؤه هو اشتراك المرأة في المساعدة أثناء المعارك في نقل الجرحى وتمريضهم ، ونقل الماء للجنود ونحو ذلك من أنواع الخدمات.

وقد خرجت أمهات المؤمنين مع رسول الله -صلي الله عليه وسلم- للاشتراك في الغزوات مع بقية النساء اللاتي يخرجن للجهاد.

وعلي ذلك يكون اشتراك المرأة في الجهاد تطوعاً ليس واجباً، كما هو علي الرجال . أما الجهاد بالمال وبمساعدة الجيش فهو واجب علي الرجال والنساء علي قدم المساواة. تقول الربيع بنت معوذ⁽¹⁾: كنا نغزو مع رسول الله -صلي الله عليه وسلم- فنسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلي إلي المدينة ، وعن أم عطية الأنصارية⁽²⁾ إنها قالت : غزوت مع النبي -صلي الله عليه وسلم- سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فاصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم علي المرضى "

¹ الربيع بنت معوذ بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، أسلمت وبايعت رسول الله صلي الله عليه وسلم قالت : دخل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم عرسي وقعد علي فراشي وعندي جاريتان تضربان دف . اختلعت من زوجها بجميع ما تملك من مال. " ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج 8 ، ص 447 - 448.

² أم عطية الأنصارية أسلمت وبايعت رسول الله صلي الله عليه وسلم وغزت معه وردت عنه وكانت تصنع الطعام وتخلفهم في الرحال وتداوي الجرحى ، وشهدت خيبر مع رسول الله -صلي الله عليه وسلم- وكانت من كبار نساء الصحابة وكانت تغزو كثيراً وكانت ممن غسلت زينب بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان علي يقيل عندها . " ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج 8 ، ص 455 - 456.

ومن النساء واللاتي قاتلت فعلاً في المعارك ، نسيية بنت كعب ⁽¹⁾ التي كانت تدفع الأعداء عن سيدنا رسول الله في معركة أحد ، حينما ولي البعض من المعركة منزهمين ، وقفت هذه السيدة المؤمنة وزوجها وأولادها تحارب المشركين دفاعاً عن النبي -صلي الله عليه وسلم- وإعزازاً للدين. ذلك مثل لجهاد المرأة المسلمة في معارك الدفاع عن دين الله .. وأن المرأة الآن في حربنا مع العدو الصهيوني الغادر تشارك في أعمال التمريض والإسعاف وجمع التبرعات للمجهود الحربي ، بل وبعضهن قمن بعمليات حربية استشهادية ضد اليهود.

إن الجهاد الآن فرض علي كل مسلم ومسلمة .. كلٌ يجاهد بقدر طاقته وبكل ما يملك .. بالنفس أو المال أو بهما جميعاً . . أو بالحرب الإعلامية أو بمهاجمة المواقع الالكترونية لأعداء الله

(1) .

المطلب التاسع: الإسلام والسلام والمهادنة:

¹ وهي أم عطية الأنصارية صحابية مشهورة ، ثم سكنت البصرة ، سبقت ترجمتها . " ابن حجر " احمد بن علي بن حر العسقلاني ، تقريب التهذيب ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ج 2 ، ص 161 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون .
¹ توفيق علي وهبة ، الجهاد في الإسلام ، ص 117 - 122 .

قال تعالى: " وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " (1) يجوز للإمام ونائبه عقد الهدنة لإقليم معين أو ناحية معينة، إذا اقتضت مصلحة المسلمين ذلك ، إما لإراحة جيش المسلمين أو لترتيب أمورهم ، أو لزيادة استعدادهم ، أو لتوقع إسلام الكفار ، أو قبولهم الجزية بغير قتال. (1) وبعض العلماء أجازها ابتداء من غير سبب ، إذا رأى ذلك الإمام لمصلحة المسلمين ، وقوم لم يجيزوها إلا لمكان الضرورة الداعية لأهل الإسلام من فتنة أو غير ذلك ، إما بشئ يأخذونه منهم لا علي حكم الجزية: وبعض العلماء أجاز أن يصلح الإمام الكفار علي شيء يدفعه المسلمون إليهم إذا دعت الضرورة الملحة لذلك ، وقال الشافعي : " لا يعطي المسلمون الكفار شيئاً إلا أن يخافوا الاستئصال لكثرة العدو وقتلهم أو لمحنة نزلت بهم . وعند مالك رحمه الله حسب المصلحة التي يراها الإمام . وسبب اختلافهم في جواز الصلح من غير ضرورة معارضة ظاهر قوله تعالى: " فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ " (2) وقوله تعالى: " قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ " (3) ولقوله تعالى: " وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " (4) فمن رأى أن آية الأمر بالقتال حتي يسلموا أو يعطوا الجزية ناسخة لآية الصلح قال : لا يجوز الصلح إلا عن ضرورة ، ومن رأى أن آية الصلح مخصصة لتلك . قال الصلح جائز إذا رأى الإمام ذلك ، وعضد تأويله بفعله في صلح

¹ سورة الأنفال / 61.

¹ الإمام بدر الدين بن جماعة ، تحرير الأحكام ، ص 231.

² سورة التوبة / 5.

³ سورة التوبة / 29.

⁴ سورة الأنفال / 61.

الحديبية وكان في غير موضع ضرورة .⁽¹⁾ لأن الأصل في دعوة الإسلام أن تصل إلي الناس كافة ، حتى تقام عليهم الحجة ، قال تعالى: " رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ " ⁽¹⁾ هذا هو الأصل ولكن الظلمة ، والملا من القوم وصاحب كل مصلحة ، يعترض سبيل الدعوة ، بشتي السبل ، فعند ذلك ، أوجب الله علي المسلمين الجهاد لقتال كل من يعترض طريق الدعوة، حتي لا تصل إلي الناس ، فإذا وصلتهم الدعوة ، فان الإسلام لا يرغمهم علي الدخول فيه، قال تعالى: " لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ " ⁽²⁾ وقال تعالى: " لَكُمْ دِينُكُمْ وَدِينِ اللَّهِ " ⁽³⁾ وقال تعالى: " فَذَكَرْ إِيمًا أَنْتَ مُذَكَّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ " ⁽⁴⁾ وقد اتبع المسلمون في جميع العصور نهج الدعوة وتبليغ الإسلام بالحسنى، ودون إكراه، إلا من اعترض الدعوة من الطغاة ، فعند ذلك قاتلوهم ، ومع ذلك ، إن طلبوا الصلح والسلم والسلام فإنهم يهبون إليه ، امتثالاً لأمر الله تعالى وتأسياً برسولهم -صلي الله عليه وسلم - قال تعالى: " وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " ⁽⁵⁾ وقال تعالى: " لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ " ⁽⁶⁾ فالإسلام يسالم من سالمه ، فمن اعتدى علي الإسلام أو علي المسلمين، فإن الإسلام يدفع اتباعه إلي القضاء علي المعتدي الأثيم. ⁽⁷⁾

¹ ابن رشد ، بداية المجتهد في نهاية القصد ، ج 1 ، ص 383.

² سورة النساء/165

³ سورة البقرة / 256

² سورة الكافرون / 6.

³ سورة الغاشية / 21 - 22 .

⁴ سورة الانفال / 61.

⁵ سورة الممتحنة / 8.

⁷ د. أحمد شلبي ، الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي ، ص 46 - 50 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية 1974م

المطلب الأول: ماهية الإمامة وحكمها وعقدها:

الإمامة في اللغة وردت في مادة : " أمم"⁽¹⁾ عند ابن منظور في كتاب " لسان العرب" فقال
والأم بالفتح : القصد ، أمه يؤمه أما إذا قصدته . وجمل مئم : دليل هاد، وناقية مئمة كذلك . وكله
من القصد لان الدليل الهادي قاصد . والأمة : الطريقة والدين . والإمام : كل من انتم به قوم ،

¹ ابن منظور " محمد بن مكرم الإفريقي المصري ، لسان العرب ، ج 1 ، ص 132 – 133.

وإمام كل شيء قيمه والمصلح له. والقران إمام المسلمين . وسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم إمام الأئمة . والخليفة إمام الرعية ، وإمام الجند قائدهم . والإمام بمعنى القدام. وفلان يؤم القوم : يقدمهم . وجاء في "القاموس المحيط" ⁽¹⁾ أن الإمام هو ما انتم به من رئيس أو غيره . والخيط يمد علي البناء فيبني . والطريق وقيم الأمر المصلح له . والقرآن . والنبي صلي الله عليه وسلم والخليفة وقائد الجند. فأمه : قصده . وأمهم : تقدمهم . وهي الإمامة.

هذا في اللغة . أما تعريف الإمامة اصطلاحاً فعرّفها العلماء بتعاريف كثيرة نذكر منها تعريف الماوردي: ⁽²⁾ الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا وقيل هي: رئاسة عامة في الدين والدنيا، خلافة عن النبي -صلي الله عليه وسلم- . وعرّفها بعض الفقهاء بقولهم : خلافة الرسول -صلي الله عليه وسلم- في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة ، بحيث يجب اتباعه علي كافة الأمة. وعرّفها ابن خلدون بقوله: حمل الكافة علي مقتضي النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينية الراجعة إليها. ⁽³⁾ وحكم الإمامة . ⁽⁴⁾ أي وجود إمام للمسلمين. فوجوده ، واجب علي المسلمين قال تعالى: " يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ " ⁽⁵⁾ وقال تعالى: " الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ " ⁽⁶⁾ ضمن سبحانه وتعالى نصرة الملوك بهذه الشروط الأربعة الموجودة في نص الآية وهي إقامة شعيرة الصلاة ، وجمع الزكاة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن

¹ الفيروزابادي " القاموس المحيط ، ج 2 ، ص 7 - 8 .

² الماوردي " البصري ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ص 29 .

³ الماوردي " الأحكام السلطانية ، ص 30 .

⁴ أي بما يعرف اليوم الحكومة الإسلامية الشرعية أو الدستورية التي تكون الشريعة الإسلامية هي دستورها وقانونها : د . محمد ضياء الدين الرئيس ، النظريات السياسية الإسلامية ، ص 127 ، دار التراث ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، بدون .

⁵ سورة ص / 26 .

⁶ سورة الحج / 41 .

المنكر، فإذا قاموا بهذه الشروط تحقق لهم النصر المشروط . فوجود الإمام الذي يقوم بحراسة الدين ، وسياسة أمور المسلمين ، وكف أيدي المعتدين ، وإنصاف المظلومين من الظالمين واجب ، علي الأمة ، حتي لا تعم الفوضى بلاد المسلمين . وقال بعض الحكماء : جور السلطان أربعون سنة خير من رعية مهمله ساعة واحدة.⁽¹⁾ ومن الأدلة علي وجوب الإمامة. وهو رأي الأكثرية العظمي من العلماء.⁽²⁾ وأظهرها عندهم الإجماع . فالإمامة ثابتة بالإجماع : أي بإجماع الصحابة أولاً ، ثم إجماع الأمة ، قبل ظهور الخلاف عند نشأة علم الكلام . ولما كان الإجماع أحد المصادر التي يستقي منها الشرع ، فلهذا قالوا: ان مصدر وجوب الإمامة هو الشرع . وعنوا بهذا القول أن يردوا علي المعتزلة الذين اتفقوا مع أهل السنة في مبدأ الوجوب ، ولكنهم ذهبوا إلي إن مصدر وجوبها إنما هو العقل . وهذا الخلاف في الحقيقة خلاف ظاهري أو لفظي والإجماع المقصود هنا ، هو إجماع الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم علي خلافة أبي بكر الصديق ، فقد أجمعوا علي وجوب وجود إمام بعد النبي صلى الله عليه وسلم. والبرهان الثاني: علي وجوب الإمامة هو: دفع إضرار الفوضى : وهو دليل عقلي شرعي . وهي أن الانسان كائن اجتماعي أو مدني بالطبع أي أنه لا بد أن يعيش في مدينة أي مجتمع، وإذا حصل هذا لا بد أن يحصل الاختلاف والتنازع .

ويؤدي ذلك إلي المشاحنات والحروب ، والي هرج وسفك الدماء ، والفوضى ، بل إلي الهلاك . وذلك إذا خُلي بينهم وبين أنفسهم بدون وازع.

والبرهان الثالث: تنفيذ الواجبات الدينية : وهذا هو تقريره : أن علي الإمامة يتوقف القيام بالواجبات الدينية وتحقق الغايات التي يقصدها الدين . من عمارة الدنيا بتوفير الأمن والمعاش للعباد

¹ الإمام بدر الدين بن جماعة ، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام ، ص 48 – 49 .
² أي أهل السنة جميعا ، ورأي المرجئة جميعا ، ورأي المعتزلة إلا نفر قليل، ورأي الخوارج ما عدا النجدات ، والشيعه جميعا.

، والفصل بينهم في المنازعات ، وكذلك حراسة الدين ، بقيام أركان الدين ، وسد الثغور ، والجهاد ، في سبيل الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، وغيرها من الواجبات الدينية.⁽¹⁾ وأما كيفية انعقاد الإمامة، فتعتقد من وجهين .

أحدهما: اختيار أهل " العقد والحل"⁽²⁾ والثاني: يعهد الإمام من قبل ، كما فعل أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - حين عهد الخلافة لعمر رضي الله عنه. وأجمعوا علي صحة عهد أبي بكر - رضي الله عنه - لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فإن جعل الإمام الأمر بعده شورى في جماعة صح أيضاً ، ويتفقون علي واحد منهم ، كما فعل عمر - رضي الله عنه - بأهل الشورى من العشرة المشهود لهم بالجنة وكانوا ستة : عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم جميعاً ، واتفقوا علي عثمان - رضي الله عنه - ولو عهد عثمان - رضي الله عنه - بالإمامة إلي فلان وبعده إلي فلان صح أيضاً. ولا يشترط في أهل البيعة عدد مخصوص بل من تيسر حضوره عند عقدها . ولا تتوقف صحتها علي مبايعة أهل الأمصار جميعاً ، بل متي بلغهم لزمهم الموافقة ، إذا كان المعقود له أهلاً لها.⁽³⁾

ولا يجوز عقد الإمامة لشخصين في بلد واحد ، وذلك بمنزلة تزويج وليّين امرأة من زوجين ، من غير أن يشعر أحد بعقد الآخر ، فأن شعر أحدهما وجب نزول الآخر.⁽⁴⁾ لأن نصب إمامين في عصر وبلد واحد يؤدي إلي ظهور الفتنة بين المسلمين ووقوع الحرب والعداوة بينهم . لان ذلك

¹ د . محمد ضياء الدين الرئيس - النظريات السياسية الإسلامية- ص 131 - 138 .
² وهم الأمراء والعلماء ، والرؤساء ، ووجوه الناس الذين يتيسر حضورهم ببلد الإمام عند البيعة. الإمام بدر الدين بن جماعة - تحرير الأحكام- ص 52 - 53 . والمقصود بعبادة الفقهاء " أهل الحل والعقد " أهل الاختيار أي من توفرت فيهم الشروط المعتمدة من العدالة أي الاستقامة والأخلاق الفاضلة ، والعلم الذي يتوصل به إلي معرفة مستحق الإمامة ، والرأي والحكمة أي معرفة سياسة امر الدين والدنيان ولا يشترط عدد معين حسب الأحوال والظروف. د . محمد ضياء الدين الرئيس . النظريات- ص 223.
³ الإمام بدر الدين بن جماعة - تحرير الأحكام- ص 52 - 54 .
⁴ إمام الحرمين الجويني - كتاب الإرشاد- ص 425.

يخالف الغرض من نصيب الذي هو صلاح أمور المسلمين وانتظام أسبابهم وسكون الفتنة الثائرة .

(1)

المطلب الثاني: حكومة الرسول -صلي الله عليه وسلم- ، والخلاف حول الإمامة وأثره:

الإسلام عقيدة وعبادة ونظام ، فقد وُضعت لهذا النظام الوسائل اللازمة لتطبيقه ، فقد أرسى الرسول صلي الله عليه وسلم ، قواعد الدولة المنظمة ، كأحسن ما يكون التنظيم ، وقد وقع ذلك تباعاً، وفقاً للحاجات، وتنفيذاً للوحي، الذي نزل عليه، أو ما اقتضته المصلحة العامة ، التي قدرها الرسول صلي الله عليه وسلم، وقد كان الرسول صلي الله عليه وسلم يتولى جميع ما يتعلق بولاية الأمور ويولي في الأماكن البعيدة عنه.. وكان كذلك يؤمر علي السرايا، ويبعث علي الأموال الزكوية السعاة فيأخذونها ممن هي عليه، ويدفعونها إلي مستحقيها الذين سماهم الله في القرآن.. وكان يستوفي الحساب علي العمال ، يحاسبهم علي المستخرج والمصروف ، وكان يستشير كبار صحابته ، كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما - وهما بمثابة وزيره الأول والثاني . وكان حذيفة بن اليمان

¹ ابي سعيد عبد الرحمن النيسابوري المعروف بالمتولي الشافعي - الغنية في أصول الدين - تحقيق : عماد الدين احمد حيدر- مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان ، بدون .

بمثابة مدير الفرقة، أو البلاط ، أو الأمين العام لأنه صاحب السر الذي خصه به الرسول صلي الله عليه وسلم، وكان عبادة بن الصامت يعلم الناس القرآن وأحكام الشريعة ، وكذا عبد الله بن أم مكتوم ، ومصعب ابن عمير، فهؤلاء بمثابة وزراء التربية والتعليم ، وكان علي بن أبي طالب، ومحمد ابن مسلمة يقيمان بتنفيذ الحدود. فهؤلاء كلهم وغيرهم يمثلون حكومة عصرية بمفهوم العبارة اليوم . كما كان صلي الله عليه وسلم يرسل الرسل للحكام وملوك الدول المجاورة ، وهؤلاء هم بمثابة السفراء اليوم ، مثل دحية الكلبي ، الذي أرسله الرسول - صلي الله عليه وسلم - إلي قيصر ملك الروم. وكان زيد بن ثابت بمثابة المترجم للرسول صلي الله عليه وسلم - كما كان له رجال مخابرات كعمه العباس ونعيم بن مسعود رضي الله عنهما.⁽¹⁾ وبعد أن أرسى الرسول - صلي الله عليه وسلم - قواعد متينة لدولة الإسلام ، انتقل إلي الرفيق الاعلي، واختلف الناس من بعده ، وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين ، اختلافهم في الإمامة ، فاجتمع نفر من الأنصار في سقيفة بني ساعدة⁽²⁾ بمدينة رسول الله صلي الله عليه وسلم - وأرادوا عقد الخلافة لسعد بن عبادة ، وبلغ ذلك أبا بكر وعمر - رضوان الله عليهما - فقصدوا نحو مجتمع الأنصار في رجال من المهاجرين ، فأعلمهم أبو بكر أن الإمامة لا تكون إلا في قريش ، فأذعنوا لذلك منقادين ، ورجعوا إلي الحق طائعين ، بعد أن قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، وبعد أن جرد بعضهم السيوف ثم بايعوا أبا بكر رضوان الله عليه واجتمعوا علي إمامته ، واتفقوا علي خلافته ، وانقادوا لطاعته.⁽³⁾

¹ ظافر القاسمي - نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي - ص 45 - 52 - دار النفائس - بيروت - لبنان - الطبعة الرابعة 1403 هـ - 1982.

² بنو ساعدة : قوم من الأنصار ، من بني كعب بن الخزرج بن ساعدة ، منهم سعد بن عبادة ، وسهل بن سعد ، رضي الله عنهما وسقيفتهم في المدينة بمنزلة دار الندوة التي كانت لقريش في مكة ، وكانت السقيفة مكانا يجتمعون فيه حين يجد ما يدعو إلي تداول الراي " الاشعري مقالات الإسلاميين- ص 31

وقد حاول بعض المستشرقين أن يجد تعليلاً لترك الرسول صلى الله عليه وسلم أمر الخلافة من بعده دون تعيين احد ، فذكر أن تركه لذلك تبعاً لعادات العرب ولمرضه ، وهذا غير صحيح، فقد كانت هناك حكمة تشريعية كبيرة مقصودة من عدم تحديد هذا الأمر ، وتلك هي عدم تقييد الجماعة بقوانين جامدة ، قد تثبت الأيام أنها لا تتفق مع التطورات التي تحدث ، ولا تلائم الظروف والأحوال . فان من الصفات الظاهرة التي حرص عليها المشرع ان تظل القوانين الإسلامية مرنة ، حتي تعطي مرونتها الفرصة للعقل للتكيف ، وللجماعة أن تشكل نظمها وأوضاعها بحسب المصالح المتجددة ، فكانت هذه الحكمة مراعاة ومتعمداً تحقيقها . ومن أثر ذلك أن نشأة الاحزاب والفرق الإسلامية في التاريخ الإسلامي، وتطورت وأخذت تكبر وتزداد تفرقاً وعدداً خاصة بعد انتهاء عهد الخلفاء الراشدين، ودب فيها النزاع الفكري بعد ان كان النزاع حول الإمامة والخلافة ، مما أدى إلي نشوء فرق باطنية كثيرة ، وفرق تكفيرية ، قامت بقتال الخلفاء ، وخلع الولاة ، فصارت هذه من البدع المنتشرة قديماً، واستمرت حتي اليوم وهي بدعة خلع الولاة والحكام والخروج عليهم . وهذا الأثر أثره اليوم ظاهر ، فقد خلت كثير من البلدان الإسلامية اليوم من الحاكم أو الأمير مثل الصومال ، وفوضى الحكم في أفغانستان والعراق ، وظهور الحركات الانفصالية في الأمة الإسلامية ، كالعراق وتركيا والسودان وغيرها من الدول الإسلامية.⁽¹⁾

¹ د. محمد ضياء الدين الرئيس ، النظريات السياسية الإسلامية ، ص 50-53 .

المطلب الثالث: من يختار الإمام وشروط الإمامة ووظائف الإمام:

يختار الإمام أهل العقد والحل، ولا يصير الرجل إماماً حتي يوافقه أهل الشوكة الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة، فان المقصود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة والسلطان الإمامة ملك وسلطان، والملك لا يصير ملكاً بموافقة واحد ولا اثنين ولا أربعة إلا أن تكون موافقة هؤلاء تقتضي موافقة غيرهم، بحيث يصير ملكاً بذلك ، وهكذا كل أمر يفتقر إلي المعاونة عليه لا يحصل إلا بحصول من يمكنهم التعاون عليه. فمبايعة أبا بكر -رضي الله عنه- من قبل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- لو امتنع سائر الصحابة عن البيعة ، لم يصر إماماً بذلك . إنما صار إماماً بمبايعة جمهور الصحابة وهم أهل القدرة والشوكة. ⁽¹⁾ ويمكن للشخص الواحد المتبوع المطاع ، الموصوف بهذه الصفة إذا بايع ، كفي إذن في موافقة الجماهير ، فان لم يحصل هذا الغرض إلا لشخصين أو

¹ ابن تيمية " تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني - منهاج السنة النبوية - ج 1 - ص 142 - مطبعة بولاق - الطبعة الاولى (1321هـ).

ثلاثة فلا بد من اتفاقهم . وليس المقصود أعيان المبايعين وإنما الغرض قيام شوكة الإمام بالاتباع والإشباع وذلك يحصل بكل مسؤل مطاع فمقصود الإمام جمع الشتات وأن توافق عليه الأكثرية من معتبري كل زمان. (1)

ومن خلال دراسة التاريخ الإسلامي ، وخاصة عهد الخلفاء الراشدين استنبط العلماء شروطاً لمن يلي الإمامة نذكر منها:

أن يكون الإمام ذكراً ، حراً بالغاً ، عاقلاً ، مسلماً ، عدلاً ، شجاعاً ، قرشياً (2) ، عالماً ، كافياً لما يتولاه من سياسة الأمة ومصالحها. (3)

فالذكرة شرط لمن يلي الولاية العامة العظمي وهي إمامة المسلمين لان النبي صلي الله عليه وسلم - نهي أن تتولي المرأة ذلك وقال - صلي الله عليه وسلم - لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة .. (4)

والعدالة المقصود منها : الأخلاق الفاضلة وحفظ الجوارح ، والمراد من العلم المعرفة التي تؤدي إلي الاجتهاد في النوازل والأحكام ومعرفة شؤون سياسة الرعية . وكونه حراً بالغاً فظاهر لأن العبد والصغير لا يلي نفسه فكيف بولاية غيره ، أما كونه مسلماً ، لان الكافر لا ولاية له علي مسلم ، وان مهمة الإمامة حفظ الدين وحراسته ونشره ، وفاقده الشيء لا يعطيه ، ومن الشروط التي زيدت ، سلامة الحواس والأعضاء لأن السمع والبصر واللسان، يُباشر بها الحاكم أمور الرعية، وسلامة أعضائه تعينه علي الحركة . والمراد من الشجاعة النجدة والرأي الصائب وعدم التردد في اتخاذ

¹ " الغزالي " ابي حامد محمد بن محمد الغزالي - الرد علي الباطنية - ص 64 - 65 - طبعة جوائزير - لندن - 1916م.
² هذا الشرط وقع فيه الخلاف قديماً وحديثاً وكان القصد منه دفع التنازع لحصول العصبية منهم . تعليق : د . فواد عبد المنعم احمد - علي كتاب تجيد الأحكام - لابن جماعة - ص 51.
³ الإمام بدر الدين بن جماعة - تحرير الأحكام في يتدبر أهل الإسلام- ص 51.
⁴ البخاري - صحيح البخاري- ج ق - ص (1610) - رقم الحديث (4163) - كتاب المغازي - باب كتاب النبي صلي الله عليه وسلم الي كسرى وقيصر.

القرارات . وذلك لحماية الرعية وجهاد العدو.⁽¹⁾ وأن يكون مهتدياً إلي الأمور بضبط أمور المسلمين ويقوم بمصالحهم ذا رأي قوي حصيف بتجهيز الجيوش وسد الثغور، وإقامة الحدود، واستيفاء الحقوق ، وأن يكون ورعاً موثقاً بدينه ، لأن من لا يكون ورعاً لا يقبل قوله في مكرمة، فيكف في أمور المسلمين.⁽²⁾

أما واجبات الإمام العامة عشرة هي:-

الأول: حفظ الدين علي أصوله المستقرة والثاني: تنفيذ الأحكام وقطع الخصام حتي يعم العدل .
والثالث: حماية الرعية والدفاع عنهم . والرابع: إقامة الحدود لتصان محارم الله . والخامس: تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة. والسادس: جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة . والسابع: جباية الفئ والصدقات. والثامن: تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير. والتاسع: تقليد المناصب للأمناء . والعاشر: أن يشرف علي أمور الدولة والحكم بنفسه لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة.⁽³⁾

¹ الماوردي البصري - الأحكام السلطانية - ص 31 - 32 .
² أبي سعيد عبد الرحمن النيسابوري - الغنية في أصول الدين - ص 187 - 179.
³ الماوردي البصري - الأحكام السلطانية - ص 51 - 52 .

المطلب الرابع: قواعد الحكم⁽¹⁾ في الدولة الإسلامية: (2)

أرسي الإسلام قواعد للحكم متينة ومرنة قابلة وصالحة لكل زمان ومكان ، ومن هذه

القواعد:-

1- العدل: هو الغاية العامة وهو أولي غاية الغايات من الحكم الإسلامي . فالعدل ورد صريحاً في القرآن الكريم ، فحنت عليه آيات كثيرة نذكر منها:- قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً " (3)

وقال تعالى: " وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ " (4) والعدل واجب حتى للأعداء وهذا من أعظم فضائل الإسلام. (5)

1+2 المقصود بنظام الحكم الإسلامي ، الأصول والمبادئ التي فرضها القرآن الكريم والسنة في تنظيم شؤون الحكم ، وأما المقصود بالدولة الإسلامية هو : كيان مزدوج مادي وروحي والكيان الروحي هو الذي يهemin علي الكيان المادي ولا حدود لها في مفهوم الشرع .

محمد عبد الله العربي - نظام الحكم في الإسلام - ص 23 - دار الفكر - بيروت - لبنان - بدون .

³ سورة النساء / 58.

⁴ سورة الأنعام / 152.

⁵ د . محمد ضياء الدين الريس - النظريات السياسية الإسلامية- ص 327 - 328 .

أما السنة فقد امتلأت بالقول والعمل بأوامر العدل ، ونواهي الظلم ، منها الحديث القدسي "

يا عبادي إني حرمت الظلم علي نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا" (1)

وقد طبق خلفاء الرسول صلي الله عليه وسلم من بعده العدل تطبيقاً عملياً بين سائر الرعية

، العرب منهم والعجم ، وسيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه - بالعدل مشهورة حتي عند أهل

غير الإسلام، والعدل يكون مع النفس بأن لا يشرك بالله شيئاً. قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ

يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " (2) ويكون بين الفرد والناس والحاكم والمحكومين.

(3)

2- الشورى: - الشورى في الإسلام نشأت نشأة مفاجئة خلافاً لنشأتها عند الأمم الأخرى، فإنها

كانت لا تتشا إلا بعد صراع طويل ومرير . أما الإسلام فقد دعا إلي الشورى من خلال أهم دساتيره

وهو القرآن الكريم ، قال تعالى: " وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ " (4) ثم نزل بعد ذلك خطاب الله تعالى لرسوله إلي الناس كافة بصيغة الأمر . قال

تعالى : " فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ

وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ " (5) ولم يكن

في الناس يومئذ أحد ، من الموافقين أو المخالفين يطالب بالشورى ، أو يتحدث عنها ، أو يشكو من

فقدانها إنما جاء التنزيل بهذا الأمر ، لأن المجتمع الذي يُراد له الاستقرار والاستمرار ، ينبغي أن

يقوم علي الشورى، وإلا عصفت الأهواء بالنفوس. (1) ومن أمثلة مشاورته -صلي الله عليه وسلم- ما

¹ مسلم - صحيح مسلم- ج 4 - ص 1994 - رقم الحديث (2577) - كتاب البر والصلة والاداب - باب تحريم الظلم.

² سورة لقمان / 13.

³ ظافر القاسمي - نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلام- ص 93 - 96.

⁴ سورة الشورى / 38.

⁵ سورة آل عمران / 159 .

¹ ظافر القاسمي - نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي- ص 26.

حصل في غزوة أحد ، حينما قال : أشيروا عليّ ماذا أصنع؟ فقالوا يا رسول الله ، أخرج بنا إلي هذه الأكلب⁽¹⁾، فقالت الأنصار ، يا رسول ما غلبنا عدو لنا قط أتانا في ديارنا فكيف وأنت فينا.⁽²⁾

3- الحرية: نص الإسلام علي الحرية الفردية ، وحرية المعتقد ، أو الحرية الدينية، وعلي الحريات السياسية والاجتماعية قال تعالى: " لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " ⁽³⁾ وقال تعالى: " فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ " ⁽⁴⁾ وجاء في سيرة ابن كثير. ⁽⁵⁾ إن وفد رؤساء نجران حينما وفدوا علي رسول الله - صلي الله عليه وسلم - ودخلوا عليه وهو في المسجد حين صلي العصر فلما حانت صلاتهم قاموا في مسجد الرسول صلي الله عليه وسلم - يصلون فقال الرسول صلي الله عليه وسلم - دعوهم فصلوا إلي المشرق . فهذا يمثل قمة الحرية الدينية أو حرية المعتقد. ⁽⁶⁾

4- المساواة: جاء الإسلام في ظرف كان يسوده التمييز بين الناس بين أحرار وعبيد ، وأغنياء وفقراء، وكان الرق أصل من أصول الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فجاء الإسلام لتحرير الرقيق والمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات ، من خلال الحث علي تحرير الرقاب وفي مجال الكفارات. وساوي بين الناس وهم يقفون أمام خالقهم في الصلاة والحج والصوم ، فحيث يقف الغني ترى بجانبه فقير، أو وزير وجانبه خفير ومن صور المساواة نهى الإسلام عن التفاخر بالأنساب والاحساب قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ

¹ يعني جبل أحد .
² " ابن كثير " أبي الفداء إسماعيل بن كثير - السيرة النبوية - تحقيق : مصطفى عبد الواحد - ج 4 - ص 26 - دار المعرفة - بيروت - لبنان - (1395 هـ - 1976 م) .
³ سورة البقرة / 256 .
⁴ سورة العاشية / 21 .
⁵ " ابن كثير " السيرة النبوية - نفس المصدر - ج 4 - ص 108 .
⁶ ظافر القاسمي - نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الاسلامي - ص 53 - 55 .

أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " (1) وقد التزم خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم من بعده بمبدأ المساواة الذي شرعه الإسلام أيما التزام بل تعداه إلي شؤون المجتمع الخاصة وعامة الناس . (2)

المطلب الخامس: وظائف الدولة الإسلامية وحقوق السلطان علي الرعية:

جاءت النصوص صريحة بتوجيهات تفرض إقامة الدولة في المجتمع الإسلامي منها قوله تعالى: " وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (3) كل مسلم يتدبر هاتين الآيتين يتضح له وضوحاً لا غموض فيه وجوب إقامة هيئة تتبثق من داخل المجتمع الإسلامي لتتولي سلطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي سلطة الحكم، تتولاها باسم المجتمع وإنابة عنه ، لتؤدي وظيفتان هما .

الوظيفة الأولى: هي الدعوة إلي "الخير" والدعوة إلي الخير حين تقوم بها الهيئة ذات السلطات في المجتمع لا ينصرف مدلولها إلي مجرد الدعوة، بل إلي العمل الايجابي علي تحقيق مقتضيات الخير للمجتمع . والخير يشمل حماية الرعية من كل عدوان في الداخل ومن الخارج والعمل علي بث العمران، وتنمية الثروة القومية، في سبيل القضاء علي الفقر، وتأهيل الكافة إلي العمل وغيرها من إعمال الخير.

¹ سورة الحجرات / 13.
² ظافر القاسمي - نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الاسلامي- ص 84 - 87.
³ سورة آل عمران / 103 - 104 .

الوظيفة الثانية : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي امتداد للوظيفة الأولى وتفصيل في نظامها الرحيب . ففي سبيل الخير ورفع لوائه في ثنايا المجتمع يجب علي الدولة أن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، وأن تُشرع من إجراءات القهر والردع ما يكفل نفاذ المعروف ومجانبة المنكر، و"المعروف" تعبير شامل لكل ما أمر الله به من اتجاهات سلوكية ومعاملات بين الناس والمنكر كذلك تعبير شامل لكل ما نهى الله عنه من قبيح الأقوال والأفعال، وهذه الوظائف هي نطاق نشاط الدولة ولا تحتكرها أجهزة الدولة وحدها بل لا بد من مشاركة الشعب في تفعيلها وتنفيذها.⁽¹⁾

أما حقوق السلطان علي الرعية فعشرة:-

الحق الأول: بذل الطاعة له ظاهراً وباطناً في كل ما يأمر به أو ينهي، إلا أن تكون في معصية.

الحق الثاني: بذل النصيحة له سراً وعلانية .

الحق الثالث: القيام بنصرته باطناً وظاهراً، وإقامة حرمة الدين وكف أيدي المعتدين.

الحق الرابع: أن يُعرف له عظم حقه وما يجب من تعظيم قدره، فيعامل بالاحترام والإكرام والإعظام دون طمع فيما عنده.

الحق الخامس: تحذيره من عدو يقصده بسوء وحاسد يرومه بأذى.

الحق السادس: إيقاظه من غفلته وإرشاده عند هفوته شفقة عليه، وحفظاً لدينه وعرضه.

الحق السابع: إعلامه بسيرة عماله لأنهم هم المسيرين لمصالح الأمة.

الحق الثامن: إعيانه علي ما تحمله من أعباء الأمة ومساعدته علي ذلك بقدر الامكان.

¹ د . محمد عبد الله العربي - نظام الحكم في الإسلام- ص 59 - 61.

الحق التاسع: رد قلوب النافرة عنه إليه وجمع محبة الناس عليه لما في ذلك من مصالح الأمة وانتظام أمور الملة.

الحق العاشر: الذب عنه بالقول والفعل والمال والنفس والأهل.⁽¹⁾ وجمع الماوردي هذه الحقوق العشرة في حقين أساسيين هما : الطاعة والنصرة.⁽²⁾

وأما حقوق الرعية العشرة علي السلطان:

الأول: حماية بيضة الإسلام والذب عنها وجهاد المشركين ودفع الباغين وتحصين الثغور وإعداد القوة.

الثاني: حفظ الدين علي أصوله المقررة وقواعده المحددة ورد البدع والمعتدين.

الثالث: إقامة شعائر الإسلام كفروض الصلوات والجمع والجماعات وغيرها.

الرابع : فصل القضايا والأحكام وكف الظالم عن المظلوم بإصلاح القضاء والعدالة .

الخامس: إقامة فرض الجهاد بنفسه بجيوشه وسراياه.

السادس: إقامة الحدود علي الشروط الشرعية .

السابع: جباية الزكوات والجزية من أهلها وصرفها في مصارفها الشرعية.

الثامن: النظر في أوقاف البر والقربات وصرفها فيما هي له من الجهات.

التاسع : النظر في قسم الغنائم وتقسيمها وصرف أخماسها إلي مستحقيها.

العاشر: العدل في سلطانه وسلوك موارده في جميع شأنه.⁽¹⁾

¹ بدر الدين بن جماعة - تحرير الأحكام - ص 61 - 64.
² الماوردي - الأحكام السلطانية - ص 17.

المطلب السادس: وعد الله للمؤمنين بالتمكين في الأرض وحقيقة الاستخلاف:

قال تعالى: " وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ " (2)

ذلك وعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات من أمة محمد -صلي الله عليه وسلم- أن يستخلفهم في الأرض، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضوه، وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً ذلك وعد الله ووعد الله حق ووعد الله واقع ولن يخلف الله وعده فما حقيقة ذلك الإيمان؟ وما حقيقة هذا الاستخلاف؟ إن حقيقة الإيمان التي يتحقق بها وعد الله حقيقة ضخمة تستغرق النشاط الإنساني كله، وتوجه النشاط الإنساني كله، فما تكاد تستقر في القلب حتي تعلن عن نفسها في صورة عمل ونشاط وبناء وإنشاء موجه كله إلي الله ، لا يبتغي به صاحبه إلا وجه الله . وهي طاعة الله واستسلام لأمره في الصغيرة والكبيرة، لا يبقي معها هوي في النفس ، ولا شهوة في القلب ، ولا ميل في الفطرة وإلا وهو تبع لما جاء به رسول الله -صلي الله عليه وسلم- من عند الله فهو الإيمان الذي يستغرق الإنسان كله،

¹ ابن جماعة - تحرير الأحكام - ص 65 - 69.

² سورة النور / 55.

بخواطر نفسه، وخلجات قلبه، وأشواق روحه، وميول فطرته، وحركات جسمه، ولفقات جوارحه، وسلوكه مع ربه، في أهله ومع الناس جميعاً يتوجه بهذا كله إلى الله يتمثل هذا في قول الله سبحانه وتعالى في الآية نفسها تعليلاً للاستخلاف والتمكين والأمن . " يعبدونني لا يشركون بي شيئاً" والشرك مداخل وألوان والتوجه إلي غير الله بعمل أو شعور هو لون من ألوان الشرك بالله، فالإيمان يتضمن كلما أمر الله به، ويدخل فيما أمر الله به، توفير

الأسباب وإعداد العدة والأخذ بالوسائل والتهيؤ لحمل الأمانة الكبرى في الأرض أمانة الاستخلاف. (1) أما حقيقة الاستخلاف في الأرض . إنها ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم، إنما هي هذا كله علي شرط استخدامه في الإصلاح والتعبد والبناء، وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للبشرية كي تسير عليه وتصل عن طريقه إلي مستوي الكمال المقدر لها في الأرض، اللائق بخليفة أكرمه الله إن الاستخلاف في الأرض قدرة علي العمارة والإصلاح، لا علي الهدم والفساد وقدرة علي تحقيق العدل والطمأنينة، لا علي الظلم والقهر ، وقدرة علي الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري، لا علي الانحدار بالفرد والجماعة إلي مدارج الحيوان ، وهذا الاستخلاف هو الذي وعده الله للذين امنوا وعملوا الصالحات ... وعدهم الله أن يستخلفهم في الأرض، كما استخلف المؤمنين الصالحين قبلهم، ليحققوا النهج الذي أراده الله، ويقرروا العدل الذي أراده الله، ويسيروا بالبشرية خطوات في طريق الكمال المقدر لها يوم أنشأها الله . فأما الذين يملكون فيفسدون في الأرض وينشرون فيها البغي والجور، وينحدرون بها إلي مدارج الحيوان، فهؤلاء ليسوا مستخلفين في الأرض، إنما هم مبتلون بما هم فيه ، أو مبتليّ بهم غيرهم، ممن يسلطون عليهم لحكمة يقدرها الله آية هذا الفهم لحقيقة الاستخلاف قوله تعالى: "وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم" وتمكين الدين يتم بتمكينه في القلوب،

¹ سيد قطب - في ظلال القرآن- ج 12 - ص 113 - 115.

كما يتم بتمكينه في تصريف الحياة وتدبيرها، فقد وعدهم الله إذن أن يستخلفهم في الأرض، وأن يجعل دينهم الذي ارتضي لهم هو الذي يهيمن علي الأرض، ودينهم يأمر بالإصلاح، ويأمر بالعدل، ويأمر بالاستعلاء علي شهوات، الأرض ويأمر بعمارة هذه الأرض والانتفاع بكل ما أودعها الله من ثروة، مع التوجه بكل نشاط فيها إلى الله . لقد تحقق وعد الله لنبيه وخلفائه من بعده، بالأمن من الخوف، وظل وسيظل وعد الله متحققاً واقعاً ما قام المسلمون علي شرط الله "يعبدونني لا يشركون بي شيئاً" لا من الآلهة ولا من الشهوات، ويؤمنون - من الإيمان - ويعملون صالحاً ووعد الله مذخور لكل من يقوم علي الشرط من هذه الأمة إلي يوم القيامة، إنما يُبطل النصر والاستخلاف والتمكين والأمن، لتخلف شرط الله في جانب من جوانبه الفسيحة، أو في تكليف من تكاليفه الضخمة، حتي إذا انتفعت الأمة بالبلاء، وجازت الإبتلاء، وخافت وطلبت الأمن، وذلت فطلبت العزة، وتخلفت وطلبت الاستخلاف، كل ذلك بوسائله التي أرادها الله، وبشروطه التي قدرها الله، تحقق وعد الله، الذي لا يتخلف، ولا تقف في طريقه قوة من قوي الأرض جميعاً .⁽¹⁾

¹ سيد قطب - في ظلال القرآن- ج 12 - ص 115- 120 .

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو علي كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا محمداً صلي الله عليه وسلم عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، اللهم صلي عليه وعلي آله وصحابه رسل المحبة والسلام .

وبعد :

فأحمد الله عز وجل أن وفقني في إكمال هذا البحث المتواضع، راجياً من الله أن ينفعني به وسائر المسلمين، وأن يكون سبباً لهداية غير المسلمين. فمن خلال هذا البحث توصلت إلي عدة نتائج وتوصيات، وأحسب أنها ذات أهمية لإتمام فائدة هذا البحث .

النتائج :

1. خلو معظم المؤلفات في الفقه من تبيان الحِكم والأسرار التي من أجلها شرعت العبادات

خاصاً كتب السادة المالكية.

2. انحسار شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عند السواد الأعظم من المسلمين

مستندين بقوله تعالى: (كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) (1)

3. خلو مجالس العلم والوعظ والإرشاد، والقنوات الفضائية، والدراسة الجامعية، من التذكير الدائم بالأخلاق الفاضلة كالصدق، والأمانة، والعدل، والتحذير من مساوئ الأخلاق كالكذب، وخيانة الأمانة، والظلم، والتركيز والحديث دائماً في الفقه علي الرغم من أهميته
4. ضعف مستوي الأخلاق الفاضلة عند كثير من الناس، خاصة الصدق والأمانة وانتشار الكذب والخيانة.
5. إن فتور الهمم عن طاعة الله تعالى، وانتشار الفجور، والفواحش، وظهور وكثرة حالات الاكتئاب كل ذلك سببه الشيطان عدو ابن آدم الأول .
6. إن شعيرة الزكاة لو جُمعت بدقة تامة، وصرفت صرفاً موقفاً في محله، لعلت كثيراً من مشاكل الفقر والبطالة مع الإشادة بتجربة شعيرة الزكاة عندنا.

التوصيات :

1. أوصي وأقترح علي مجامع الفقه في العالم الإسلامي عامة وفي السودان خاصة، بالاهتمام وتشجيع الباحثين والمؤلفين في علم الفقه، بالاهتمام بالحكم والأسرار التي تشجع وتساعد علي تزوق حلاوة العبادات.

2. أوصي وأقترح بإنشاء جمعيات شعبية تطوعية تقوم بدور المحتسب أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من ذوى العلم والمعرفة، والورع والصدق تحت إشراف سلطان الدولة، ومرجعية علمية عليا من كبار العلماء. الشريعة وعلم النفس ترعي ذلك .

3. أوصي نفسي وأخوتي وكل العلماء العاملين في حقل الدعوة بالتركيز علي عرض محاسن الأخلاق، والتحذير من مساوئ الأخلاق، وخاصة الصدق والأمانة أو ضدهما لكثرة نقشي ظاهرة الكذب والخيانة .

4. أوصي بتأليف كتب صغيرة تتحدث عن سيرة العلماء والصالحين العارفين بالله تعالى، حتى ينتفع السواد الأعظم من المسلمين بأقوالهم، ونصائحهم، والتعرف علي أحوالهم وعبادتهم وأخلاقهم حتى نتأسى ونقتدي بهم .

الباحث

فهرس المصادر والمراجع *

أولاً: المراجع الأصلية والمُساعدة:

1. القرآن الكريم

* رتبت فهرس المراجع والمصادر ، مبتدئاً بأسم المؤلف ، وحذفت من الإسم الكنية ، واللقب ، كابن وأبو وأم ، وجعلت الأسم هو بداية الترتيب ، وحسب ترتيب الحروف هجائياً .

2. إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي البيجورى - تحفة المرید شرح جوهر التوحيد - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى 1422 هـ - 2001 م .
3. إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطى المالكى ، المعروف بالشاطبي ، ت 790 هـ - الموافقات فى أصول الشريعة - تحقيق : الشيخ عبد الله دراز - دار الحديث - القاهرة - 1427 هـ - 2006 م .
4. أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي الدمياطي أبى زكريا - شارع الأشواق إلى مشارع العشاق تحقيق : إدريس محمد على ، محمد خالد إسطنبولى - دار البشائر الإسلامية - بدون .
5. أحمد بن سلام الأزدي الطحاوى - أصول العقيدة الإسلامية - مؤسسة الرسالة - بدون - الطبعة الأولى ، 1407 هـ - 1987 م .
6. أحمد بن شعيب النسائي أبو عبد الرحمن - المجتبى من السنن - تحقيق : عبد القادر أبو غدة - مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - سوريا - الطبعة الثانية ، 1406 هـ - 1986 م .
7. أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، أبى نعيم - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - الطبقة الثالثة 1387 هـ - 1967 م .
8. أحمد عبد الحلیم تقي الدين بن تيمية - الإيمان - المكتب الإسلامي - دمشق ، الطبعة الأولى 1381 هـ والثانية 1392 هـ ، والثالثة 1399 هـ .
9. أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية - العبودية - مكتبة المدني ومطبعتها - جدة - 1398 هـ - 1978 م .
10. أحمد بن عبد الحلیم تقي الدين ابن تيمية - الحسبة فى الإسلام - تحقيق - سيد ابن محمد ابن أبى سعدة - مكتبة دار الأرقم - الكويت - الطبعة الأولى ، 1403 هـ - 1983 م .
11. أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية - منهاج السنة النبوية - مطبعة بولاق - الطبعة الأولى 1391 هـ .
12. أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية - أمراض القلوب وشفائها - المكتبة السلفية - القاهرة - الطبعة الأولى 1386 هـ ، والثانية 1399 هـ ، والثالثة 1402 هـ .
13. أحمد عبد الرحمن السايح - مجلة الوعي الإسلامى - العدد 199 ، 1401 هـ مايو 1981 م - تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت - مقال بعنوان : العبادة فى الدين الإسلامى .
14. أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسى - مختصر منهاج القاصدين - المثنى به وخروج أحاديثه ، إبراهيم محمود - دار الدعوة للنشر والتوزيع - الرياض - 1426 هـ - 2005 م .
15. أحمد بن على بن محمد أبو الفضل الكنانى الشافعي المعروف بأبن حجر العسقلانى - لسان الميزان - مؤسسة الأعلى للمطبوعات - بدون - الطبعة الثالثة 1406 هـ - 1986 م .
16. أحمد بن على بن محمد المعروف بأبى حجر العسقلانى - الإصابة فى تمييز الصحابة - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - بدون .
17. أحمد بن عطاء الله السكندرى - التنوير فى إسقاط التدبير - تحقيق : محمد أحمد - المكتبة التوفيقية - القاهرة ، أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين - بدون .
18. أحمد بن فارس بن زكريا أبى الحسين - معجم مقاييس اللغة - تحقيق : عبد السلام محمد هارون - مصطفى البابى الحلبي و أولاده - مصر - الطبعة الثالثة ، 1402 هـ - 1980 م .
19. أحمد الصاوى المالكى - حاشية الصاوى على تفسير الجلالين - دار إحياء الكتب العربية - بدون .

20. أحمد الطيب بن البشير – كتاب الحكم ، المسمى ، بالنفس الرحمانى في الطور الإنسانى ، وشرحه المسمى ، بالجواهر الفريد في علم الوحدة والتوحيد – مكتبة القاهرة – لصاحبها ، على يوسف سليمان 0 بدون .
21. أحمد الشرباصى – أخلاق القرآن – دار الرائد العربي – بيروت – لبنان – بدون
22. أحمد شلبي – الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامى – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – الطبعة الثانية ، 1974 م .
23. أحمد بن محمد الصاوى المالكى – بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك ، وبهامشه : الشرح الصغير ، للقطب الشهير : أحمد بن محمد الدردير ، تقديم : أحمد محمد عثمان صابر ، ودكتور حسن بشير صديق ، دار السودانية الكتب – السودان – الخرطوم 1418 هـ - 1998 م .
24. اسماعيل بن محمد بن الفضل الجوزى الأصفهانى ، ابن القاسم – كتاب الترغيب والترهيب – تحقيق : ايمن صالح بن شعبان – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الأولى ، 1414 هـ - 1993 م .
25. اسماعيل بن كثير الدمشقى عماد الدين ابى الفداء – قصص الأنبياء – تعليق : ابراهيم بن محمود عبد الراضى – دار الدعوة – الإسكندرية – الطبعة الأولى 1426 هـ 2005 م .
26. اسماعيل بن كثير الدمشقى عماد الدين ابن الفداء – السيرة النبوية – تحقيق : مصطفى عبد الواحد – دار المعرفة – بيروت – لبنان – 1395 هـ 1976 م .
27. اسماعيل بن كثير الدمشقى عماد الدين الفداء – البداية والنهاية – مكتبالمعارف – بيروت – لبنان – بدون .
28. اسماعيل بن كثير الدمشقى عماد الدين أبى الفداء ، ت 774 هـ - تفسير القرآن العظيم – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بدون – الطبعة الأولى 1385 هـ 1986 م - والطبعة الثانية 1389 هـ 1970 م .
29. أبى بكر بن الطيب الباقلانى – الانتصار للقرآن – تحقيق : دكتور محمد عصام القضاة – دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – بدون .
30. أبى بكر بن الطيب الباقلانى – إعجاز القرآن – دار ومكتبة الهلالى – بدون – الطبعة الأولى – 1993 م .
31. إبراهيم الشورى – النظافة والنظام في الإسلام – المكتب العربي السعودى – الرياض – بدون .
32. الحاج أبو بكر زيد الفتوى – مفتاح السعادة الأبدية في مطالب الأحمديّة – مكتبة النهضة الإسلامية – أم درمان – بدون .
33. الخليل بن أحمد الفراهيدى بن عبد الرحمن – كتاب العين – تحقيق : مهدي المخزومي – دكتور إبراهيم السامرائى – دار ومكتبة الهلال – القاهرة – بدون .
34. الشريف مسعود بن حسن بن أبى بكر القنواوى – فتح الرحيم الرحمن – شرح نصيحة الأخوان ومرشدة الخلاى – لسراج الدين عمر بن الوردي – مصطفى البابى الحلبي وأولاده – مصر – 1390 هـ - 1970 م .
35. بدر الدين بن جماعة – تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام – تحقيق ودراسة وتعليق د. فؤاد عبد المنعم أحمد – رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية – قطر – الطبعة الثانية – 1411 هـ - 1991 م .
36. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى – البرهان في علوم القرآن – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم – مكتبة دار التراث – القاهرة – بدون .

37. بدر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الشبلي - أكام المرجان في أحكام الجآن - ضبط وتصحيح أحمد عبد السلام - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - بدون .
38. جلال الدين السيوطي - الإتقان في علوم القرآن - وبهامشة : إجاز القرآن للعلامة - القاضي أبي بكر الباقلاني - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - بدون .
39. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - الإتقان في علوم القرآن - قدم له الأستاذ / محمد شريف سكر - وراجعة الأستاذ مصطفى القصاص - مكتبة المعارف - الرياض - الطبعة الأولى 1407 هـ - 1987 م
40. حافظ بن أحمد آل حكيمي - مختصر معالج القبول بشرح سلم الوصول إلي علم الوصول في التوحيد - تحقيق : أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة - دار الصفوة للنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة الأولى - 1411 هـ - 1991 م .
41. خالد بن حامد الحازمي - مساوئ الأخلاق وأثرها علي الأمة - وكالة المطبوعات والبحث العلمي - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية - الطبعة الثالثة - 1426 هـ .
42. خليل بن إبراهيم أمين أبو المنذر - الطرق الحسان في علاج أمراض الجان - تقديم : وحيد عبد السلام بالي - مكتبة الصحابة - جدة - 1415 هـ - 1994 م .
43. خير الدين الزركلي - الأعلام - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - الطبعة السابعة - 1986 م .
44. زاهر عواض الالمعي - مناهج الجدل في القرآن الكريم - مطابع الفرزدق التجارية - الرياض - الطبعة الأولى - 1399 هـ والثانية - 1400 هـ والثالثة - 1404 هـ .
45. زكريا بشير إمام - أصول الفكر الاجتماعي في القرآن الكريم - روائع مجدولاي - عمان - الأردن - الطبعة الأولى - 14230 هـ - 2000 م .
46. زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري - الترغيب والترهيب من الحديث الشريف - تحقيق : مصطفى محمد عمارة - دار الفكر - بيروت - لبنان - بدون .
47. سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني - الروض الداني ، المعجم الصغير - تحقيق : محمد شكور ، ومحمود الحاج - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى ، 1405 هـ .
48. سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني - المعجم الكبير - تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي - مكتبة العلوم والحكم - الموصل - الطبعة الثانية ، 1404 هـ - 1983 م .
49. سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني - المعجم الأوسط - تحقيق : طارق بن عوض الله ابن محمد بن عبد المحسن - دار الحرمين - القاهرة - 1415 هـ .
50. سليمان بن الأشعث السجستاني - سنن أبي داؤود . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد - دار الفكر ، بيروت - لبنان - بدون .
51. سيد قطب - في ظلال القرآن - الطبعة السادسة - بدون .
52. سيد سابق - فقه السنة - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الشرعية الثامنة - 1407 هـ - 1987 م .
53. شرف القضاة - الهدى النبوي في الرقائق - دار الفرقان - اليرموك - الأردن - الطبعة الرابعة - 1415 هـ - 1995 م .
54. صالح عبد السميع الأبى الأزهرى - الثمرة الداني في تقريب المعانى ، شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني - مكتبة الصفا - القاهرة - الطبعة الأولى - 1426 هـ - 2006 م .

55. ظافر القاسمي - نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي - دار النفائس - بيروت - لبنان - الطبعة الرابعة - 1403 هـ - 1985 م .
56. عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل القصري ابي محمد - شعب الإيمان - تحقيق : أيمن صالح شعبان ، وسيد أحمد إسماعيل - دار الحديث - القاهرة - الطبعة الأولى ، 1417 هـ - 1996 م .
57. عبد الحليم محمود - العبادة أحكام وأسرار - دار النصر للطباعة - القاهرة - الطبعة الأولى - 1388 هـ - 1968 م .
58. عبد الحق بن عطية الأندلسي - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - تحقيق : عبد الله ابراهيم الأنصاري و آخرون - مؤسسة دار العلوم - الدوحة - قطر - الطبعة الأولى 1402 هـ - 1982 م .
59. عبد الرزاق بن همام الصنعاني - مصنف عبد الرزاق - تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الثانية - 1403 هـ -
60. عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني - ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة - دار القلم - دمشق - بدون .
61. عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري الشافعي - نزهة المجالس ومنتخب النفائس - تحقيق : ابراهيم أمين محمد المكتبة التوفيقية - القاهرة - بدون .
62. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون - مقدمة ابن خلدون وهي مقدمة الكتاب المسمي : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر - دار الكتب العلمية - بيروت - بدون .
63. عبد الرحمن بن عبد الله السند - الدين النصيحة - دار الوراق - دار النيرين للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت و الرياض و دمشق - الطبعة الثانية 1423 هـ - 2002 م .
64. عبد الرحمن النيسابوري المعروف بالمتولى الشافعي ابي سعيد - الغنية في اصول الدين، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر - مؤسسة الكتب الثقافية - لبنان - بدون .
65. عبد الكريم الرفاعي - المعرفة في بيان عقيدة المسلم - تقديم : فضيلة الدكتور الشيخ محمد عوض ودكتور محمد سعيد رمضان البوطي - مكتبة الغزالي - دمشق - الطبعة الثالثة 1411 هـ - 1991 م .
66. عبد السلام بن عبد الحليم أحمد بن عبد الحليم ال تيمية . المسودة ، تحقيق : محمدمحي الدين عبد الحميد - مطبعة المدني - القاهرة - بدون .
67. عبد العزيز محمد السلطان - المناهل الحسان في دروس رمضان - ويلييه : دعاء ختم القرآن - بدون .
68. عبد العزيز بن عبد الرحمن المحييد - العبادة و أثرها في تربية النفس الإنسانية - طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية - الرياض - الطبعة الأولى ، 1424 هـ .
69. عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي ، ت 478 هـ . كتاب الإرشاد إلي قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد - تحقيق : د/ محمد يوسف موسي ، وعلى عبد المنعم عبد الحميد - مكتبة الخانجي - مصر - الطبعة الأولى 1399 هـ - 1987 م .
70. عبد الملك بن هشام المعافري ابي محمد - السيرة النبوية ، المعروفة بسيرة ابن هشام - تحقيق : جمال ثابت وآخرون - دار الحديث - القاهرة - 1424 هـ - 2004 م .
71. عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي - الميزان الكبرى - دار الفكر - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - 1398 هـ - 1978 م .

72. عبد الوهاب النجار – قصص الأنبياء – دار الثقافة – بيروت – لبنان – بدون
73. عبده غالب أحمد عيسى – أضواء على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – دار الجيل – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ، 1407 هـ - 1987 م .
74. عبد الله الزبير عبد الرحمن – سؤلات الصائمين – من منشورات مجمع الفقه الإسلامي – شركة الدار الوطنية للإعلام – الطبعة الأولى رمضان 1421 هـ - 2000 م .
75. عبد الله ناصح علوان – التكافل الإجتماعي فى الإسلام – دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة السابعة – 1428 هـ - 2007 م .
76. عبد الله صولة – الحجاج فى القرآن – دار الفارابى – بيروت لبنان – الطبعة الأولى 2001 م – والثانية 2007 م .
77. عبد الله بن ابى زيد القيرواني – متن الرسالة – دار إحياء الكتب العربية – فيصل سليم عيسى البابى الحلبي وشركاه – مصر – بدون .
78. عبد الله بن محمد بن أبى شيبه العبسي – كتاب الأيمان – تحقيق : محمد بن ناصر الدين الألباني – نشر وتوزيع دار الأرقم – الكويت – بدون .
79. عبد الله بن ابى شيبه – المصنف فى الأحاديث والآثار – تحقيق كمال يوسف الحوت – مكتبة الرشد – الرياض – 1409 هـ .
80. عز الدين عبد العزيز عبد السلام – أحكام الجهاد وفضائله – تحقيق : د/ نزيه حماد – بدون
81. على بن أحمد المعروف بأبى حزم الظاهري – الفصل فى الملل والأهواء والنحل – تحقيق د. محمد ابراهيم نصر ود. عبد الرحمن عميرة – دار الجيل – بيروت – بدون .
82. على بن برهان الدين الحلبي ، م 975 ، 1044 هـ - السيرة الحلبية فى سيرة الأمين المأمون إنسان العيون – دار المعرفة – بيروت – لبنان – بدون .
83. علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، م 370 هـ ، ت 450 هـ ، - الإحكام السلطانية والولايات الدينية – تعليق : خالد عبد اللطيف اليسع – دار الكتاب العربى – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ، 1420 هـ - 1999 م .
84. على بن محمد بن حبيب البصري الماوردي – أدب الدنيا والدين – تحقيق : محمد أبى محمد بن فريد – المكتبة التوفيقية – القاهرة – بدون .
85. على معبد فرغلى – فى الأخلاق الإسلامية والإنسانية – دار الطباعة المحمدية القاهرة – الطبعة الأولى 1405 هـ - 1985 م .
86. على بن عمر الدارقطنى – سنن الدارقطنى – دار المعرفة بيروت – بدون .
87. على بن حسام الدين التقي الهندي – كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال – مؤسسة الرسالة – بيروت – 1989 م .
88. على بن عبد الله عبد الجبار المعروف بأبى الحسن الشاذلى _ متن العزية للجماعة الأزهرية – وبهامشه الشرح المسمى : بالكواكب الدرية ، لعبد المجيد الشرنوبى الأزهرى – الدار السودانية للكتب – السودان – الخرطوم – 1421 هـ - 2000 م .
89. على بن محمد بركة الأندلس التكوانى ابى الحسن – أربعون حديثاً فى فضل الجهاد تحقيق : محمد بو خيرة – منشورات جمعية البحث الإسلامى – تكوان – المغرب – بدون .
90. على بن إسماعيل الأشعري أبى الحسن – ت 330 هـ - مقالات الإسلاميين وأختلاف المصلين – تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد – مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الثانية – 1389 هـ - 1969 م .
91. عفيف طبارة – روح الدين الإسلامى – بدون .

92. علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادي الصوفي المعروف بالخازن – لباب التأويل في معاني التنزيل – وبهامشه : مدارك التنزيل وحقائق التأويل للأمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت لبنان – بدون .
93. عمر بن محمود أبو عمر – الجهاد والإجتهد ، تأملات في المنهج – دار البيارق – بدون
94. عمر بن عبد الله السهروردي ، شهاب الدين أبي حفص – عوارف المعارف – ضبطه وصحة محمد عبد العزيز الخالدي – دار الخالدي – دار الكتب العالمية – بيروت لبنان – الطبعة الأولى 1420 هـ - 1991 م .
95. عياض اليحصي ابي الفضل – الشفا بتعريف حقوق المصطفى – دار الفكر ، بيروت – لبنان – بدون .
96. كامل سليمان – مفتاح الخلاص : الصلاة في الميزان : من السنة والقرآن بعلل تشريعها وخطرها – دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1405 هـ - 1985 م
97. مالك بن أنس الأصبحي أبو عبد الله – المدونة الكبرى – رواية سحنون بن سعيد التتوخي ، عن الإمام عبد الرحمن بن قاسم ، وليها : مقدمات ابن رشد لبيان ما قاتضته المدونه من أحكام ، للإمام الحافظ أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – بدون .
98. محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي أبو عبد الله – الجامع لأحكام القرآن ، تفسير القرطبي – تحقيق : عبد الرازق المهدي – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الخامسة ، 1423 هـ - 2003 م .
99. محمد بن إسماعيل البخاري – الجامع الصحيح المختصر – تحقيق : مصطفى ديب البغا – دار ابن كثير – اليمامة – بيروت – الطبعة الثالثة ، 1407 هـ - 1987 م .
100. محمد بن جرير الطبري ، ت 310 هـ - تفسير الطبري ، المسمي ، جامع البيان في تأويل القرآن – تحقيق : هاني الحاج وعماد زكي البارودي ، وخيري سعيد – المكتبة التوفيقية – القاهرة – مصر – 2004 م .
101. محمد عبد الله الخطيب – مفاهيم تربوية – دار المنار الحديثة – بدون .
102. محمد بن علي بن محمد الشوكاتي ، ت 1250 هـ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير – المكتبة الفيصلية – مكة المكرمة – بدون .
103. محمد بن علي بن محمد الشوكاتي ، ت 1250 هـ ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول – وبهامشه ، شرح الشيخ أحمد بن قاسم العبادي ، الشافعي على شرح جلال الدين المحلى الشافعي على : الورقات في الأصول لإمام الحرمين الجويني الشافعي – دار المعرفة – بيروت – لبنان – بدون .
104. محمد على الصابوني – النبوة والأنبياء – دار القلم – دمشق – الطبعة الرابعة ، 1409 هـ ، 1989 م .
105. محمد بن السيد المختار الشريف الحسني – الواردات – بدون .
106. محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري – لسان العرب – دار صادر – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – بدون .
107. محمد المقتضي الزبيدي – تاج العروس من جواهر القاموس – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان – 1306 هـ .
108. محمد الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير – الدار التونسية للنشر والتوزيع والإعلان – بدون .

109. محمد أبو زهرة – تاريخ الجدل – دار الفكر العربي – القاهرة – 1424هـ -2003م.
110. محمد أبو زهرة – المعجزة الكبرى ، القرآن الكريم – دار الفكر العربي ، بيروت – لبنان – بدون .
111. محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ، شمس الدين القيم الجوزية – التبيان في أقسام القرآن – عالم الكتب – بيروت – لبنان – بدون .
112. محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الدمشقي ، المعروف بأبي القيم الجوزية – الوابل الصيب من الكلم الطيب – تحقيق : محمد محمد عامر – دار الدعوة الإسلامية – مصر – 2002م .
113. محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ، المعروف بأبن القيم الجوزية ، م 691هـ -ت751هـ إعاثة اللهفان من مصائد الشيطان – تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد – مكتبة الصنف – القاهرة – الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م .
114. محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي – المعروف بابن القيم الجوزية – الطب النبوي – مكتبة الصفا – القاهرة – الطبعة الأولى 1424- 2003م .
115. محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي – شمس الدين بن القيم الجوزية – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – مراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – 1972م – 1393هـ .
116. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، م 673هـ - ت 748هـ - الكبائر – تحقيق : محمود بن الجميل – مكتبة الصفا – القاهرة – الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م .
117. محمد رشيد رضا – الوحي المحمدي – طبع المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان – الطبعة العاشرة ، 1405هـ - 1985م .
118. محمد بن يعقوب القاضي مجد الدين الفيروز أبادي – القاموس المحيط – دار العلم للجميع – بيروت – لبنان – بدون .
119. محمد عبد العظيم الزرقاني – مناهل العرفان – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – بدون .
120. محمد بن عبد الله النيسابوري – المستدرک علی الصحیحین – تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العربية – بيروت – الطبعة الأولى ، 1411هـ 1990م .
121. محمد بن عيسى الترمذي – الجامع الصحيح ، سنن الترمذي – تحقيق : أحمد محمد شاکر وآخرون – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – بدون .
122. محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ، المعروف بأبي حامد الغزالي ، ت 505هـ - كتاب الأربعين في أصول الدين – دار الجبل – بيروت – الطبعة الأولى ، 1408هـ - 1988م
123. محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ، المعروف بأبي حامد الغزالي ، ت 505هـ - إحياء علوم الدين ومعه كتاب تعريف الأحياء بفضائل الإحياء – وكتاب الإملاء في إشكالات الإحياء وبهامشه : كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار لتخريج ما في الإحياء من الأخبار – للحافظ العراقي – راجعه وخرجه أحاديثه : محمد سعيد محمد – دار البيان العربي - القاهرة - الطبعة الأولى ، 1426هـ - 2005م .
124. محمد بن محمد بن أحمد ، أبي حامد الغزالي – مكاشفة القلوب إلى حضرة علام الغيوب ، تحقيق أبو عبد الرحمن صلاح حمد محمد عويضة – دار المنار للطبع والنشر والتوزيع – القاهرة – بدون .

125. محمد بن محمد الغزالي أبي حامد ، الرد على الباطنية - طبعة جولتزهر - لندن - 1916م .
126. محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري - تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان الطبعة الأولى ، 1412هـ - 1981م .
127. محمد الغزالي - كيف نتعامل مع القرآن - فى مدارس أجراءها الأستاذ / عمر عبيد حسنة - المعهد العالمى للفكر الإسلامى - هيرتون - فيرجينيا - الولايات المتحدة - الطبعة الأولى ، 1411هـ - 1991م دار الوفاء - القاهرة - والطبعة الثانية ، 1414هـ - 1999م والطبعة الثالثة ، 1413هـ - 1992م .
128. محمد بن ابى بكر عبد القادر الرازي - مختار الصحاح - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ، 1967م .
129. محمد بن محمد المبارك الفتحي المراكشي المالكي - شرح ابن عاشر ، المسمى ، الجبل المتين على نظم المرشد المعين - المصطفى للطباعة والنشر - القاهرة - 2005م .
130. محمد خليل هراس - شرح العقيدة الواسطية ، لابن تيمية - تعليق وتصحيح : الشيخ إسماعيل الأنصارى - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض - 1402هـ - 1982م .
131. محمد بن اسحاق بن يحيى بن مندة - كتاب الإيمان - تحقيق : د. على بن محمد ابن ناصر - المجلس العلمى لإحياء التراث الإسلامى - المدينة المنورة - الطبعة الأولى ، 1401هـ - 1981م .
132. محمد بن زيد بن ماجة - سنن ابن ماجة - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر - بيروت لبنان - بدون .
133. محمد بن صالح العثيمين - زاد الداعية إلى الله - مكتبة الصفا - القاهرة - الطبعة الأولى ، 1424هـ - 2002م .
134. محمد بن نصر المروزي - تعظيم قدر الصلاة - ومعه : الثمار المحلاة فى تخريج أحاديث تعظيم قدر الصلاة ، لأبو مالك كمال بن سالم - مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية - السعودية - 1424هـ .
135. محمد بن حيان بن أحمد التيمى البستى أبو حاتم - صحيح بن حيان بترتيب ابن بلبان - تحقيق : شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية ، 1414هـ - 1993م .
136. محمد بن علان الصديقي الشافعى الأشعري المالكي ، ت 1057هـ - دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - تحقيق : عصام الدين الصبابطى - دار الحديث - القاهرة - الطبعة الأولى ، 1419هـ - 1980م .
137. محمد متولى الشعراوى - واتفوا يوماً ترجعون فيه إلى الله - المكتبة التوفيقية - القاهرة - بدون .
138. محمد يوسف موسى - الأخلاق فى الإسلام - العصر الحديث للنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ، 1412هـ - 1991م .
139. محمد ربيع جوهرى - أخلاقنا - دار الطباعة المحمدية - القاهرة - الطبعة الأولى ، 1405هـ - 1985م .
140. محمد بن مسفر بن حسين الطويل الزهرانى - صور مشرقة من مكارم الأخلاق فى الإسلام - مكتبة شمس المعارف - بدون .

141. محمد بن علي الشافعي الشنواني - حاشية الشيخ محمد الشنواني - على مختصر ابن أبي جمرة - دار الفكر - بيروت - لبنان - بدون .
142. محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد - الطبقات الكبرى - تحقيق : محمد عبد القادر عطا - دار صادر - بيروت - بدون .
143. محمد فؤاد عبد الباقي - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - دار الحديث - القاهرة - 1428هـ - 2007م .
144. محمد ضياء الدين الرئيس - النظريات السياسية الإسلامية - دار التراث - القاهرة - الطبعة السادسة - بدون .
145. محمد عبد الله العربي - نظام الحكم في الإسلام - دار الفكر - بيروت - بدون
146. محمد بن اسماعيل الأمير اليمني الصنعاني - سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام - صححه وعلق عليه : محمد عبد العزيز الخولي - مكتبة الجيل الجديد - صنعاء - بدون .
147. محمد مدحت صابر الشافعي - من هدي الإسلام والتربية الجسمية - مركز البحوث التربوية والنفسية بجامعة أم القرى - مكة المكرمة - بدون .
148. محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي الشهير بابن رشد الحفيد ، القاضي أبي الوليد - بداية المجتهد ونهاية المقتصد - تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي - دار الحديث - القاهرة - 1425 هـ - 2004م .
149. محمد بن اسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمى النيسابوري - صحيح بن خزيمة - المكتب الإسلامي - بيروت - 1390هـ - 1970م .
150. محمد شلتوت - الى القرآن الكريم - مطبعة سبهر - طهران - بدون .
151. محمود الخضري - نور اليقين - تحقيق : عدنان مولود المغربي - مكتبة الغزالي - دمشق - الطبعة الثالثة ن 1410 - 1990م .
152. محمود العالم - فكاهاة الإذواق من مشارع الأشواق - تحقيق : محمود محمد محمود - دار الجيل - بيروت - لبنان - بدون .
153. محمود عمر بن جار الله الزمخشري الخوارزمي - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - شرحه وضبطه وراجعته : يوسف الحمادي - مكتبة مصر - سعيد جودة السحار وشركاه - بدون .
154. مبشر الطرازي الحسيني أبو النصر - الإسلام الدين الفطري الأبدي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ، 1405 هـ - 1984 م .
155. مصطفى السباعي - أحكام الصيام وفلسفته فى ضوء الكتاب والسنة - دار الوراق للنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ، 1420 هـ - 1999م .
156. مسلم بن الحجاج - صحيح مسلم - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان - بدون .
157. ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلى - كتاب استخراج الجدل من القرآن الكريم - تحقيق : د. زاهر بن عواض الألمعي - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى 1400 هـ - 1980م .
158. ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - " بهامشه " : حاشية العلامة أبو الفضل القرشى المشهور بالكازوني - دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - بدون .

159. نبيل عبد السلام هارون – البرهان العلمي للإسلام – عنى بنشره : مركز عباد الرحمن ببيان علوم القرآن – ميرة الطيبات الخيرية – السعودية – جدة – 1415 هـ .
160. وهبة الزحيلي . الفقه الإسلامي وأدلته – دار الفكر – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ، 1404 هـ - 1984 م .
161. يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي – التبيان فى آداب حملة القرآن – تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط – دار الرشاد – جدة – الطبعة الثانية ، 1408 هـ - 1987 م .
162. يحيى بن شرف الدين النووي دمشقى – الأذكار النووية – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت بدون .
163. يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي – الإستيعاب فى معرفة الأصحاب تحقيق : على محمد معوض وآخرون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – بدون .
164. يوسف بن عبد الله بن عبد البر – التمهيد لمافى الموطأ من المعانى والأسانيد – وزارة عموم الأوقاف والشؤون الدينية – بدون .
165. يوسف بن عبد الله بن عبد البر أبو عمر – الإستذكار تحقيق : سالم محمد عطا ، محمد على معوض – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ، 1421 هـ - 2000 م .
166. يوسف القرضاوى – دور الزكاة فى علاج المشكلات الاقتصادية – دار الشروق – القاهرة – الطبعة الأولى ، 1422 هـ - 2001 م .
- ثانياً: الدوريات والشبكة العنكبوتية:**
167. علي سعيد عبد البديع عبد ربه – النظافة فى الإسلام – بحث من بحوث منظمة العواصم والمدن الإسلامية – القاهرة – 21-26/9/1986 م .
168. عمر بن على بن أحمد بن محمد الأنصاري ابن الملقن ، م 723 هـ - ت 804 هـ - طبقات الأولياء – بدون .
169. محمد أحمد بن عثمان الذهبى – تاريخ الإسلام – بدون .
170. أبو حذيفة – مجلة المجتمع – العدد 214-20 شعبان ، أغسطس 1974م – تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتماعى – شارع المغرب – الكويت – مقال بعنوان العبادة .
171. طارق محمد عقيل السليمان – نظافة وطهارة البيئة : منظور إسلامى بحث : من بحوث منظمة العواصم والمدن الإسلامية – القاهرة – 17-22-1407 هـ - 21-9-2009 م .
172. محمد سرور زين العابدين – مجلة الوعى الإسلامى – العدد 125-1395 هـ مايو 1975م – تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت – مقال بعنوان : آية من كتاب الله .

فهرست الآيات*

عدد	طرق الآيات	اسم السورة	رقم الآية	الصفحة
1.	إياك نعبد وإياك نستعين	الفاتحة	5	214
2.	ألم تر إلي الذي حاج	البقرة	258	16
3.	ولا جدال في الحج	البقرة	197	17
4.	ومن الناس من يعجبك	البقرة	204	18
5.	ربي أرني كيف تحي الموتى	البقرة	260	21
6.	أتجعل فيها من يفسد فيها	البقرة	30	24
7.	إن الله يأتي بالشمس	البقرة	258	26,25
8.	يا أيها الذين آمنوا إذا	البقرة	282	124
9.	وإن كنتم في ريب	البقرة	23	45
10.	الله ولي الذين آمنوا	البقرة	257	52

*رتبت فهرس الآيات حسب ترتيب سور المصحف، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية ومكان إيرادها في صلب البحث.

71,68	198	البقرة	.11 فإذا أفضتم من عرفات
71,69	200	البقرة	.12 فإذا قضيتم مناسككم
167	185	البقرة	.13 ولتكمّلوا العدة
77,76,71	152	البقرة	.14 فاذكروني أذكركم
91	2	البقرة	.15 هدي للمتقين
94	5-2	البقرة	.16 ذلك الكتاب لا ريب فيه
98	282	البقرة	.17 واتق الله ويعلمكم
98	194	البقرة	.18 واتقوا الله واعلموا
100	212	البقرة	.19 زين للذين كفروا
117	152	البقرة	.20 يأبها الذين آمنوا
121	249	البقرة	.21 والله مع الصابرين
124	282	البقرة	.22 يأبها الذين آمنوا إذا
131	173	البقرة	.23 إن ما حرم عليكم الميتة
136,125	222	البقرة	.24 ويسألونك عن المحيض
138	45	البقرة	.25 وأستعينوا بالصبر والصلاة
151	267	البقرة	.26 ولا تيمموا الخبيث منه
69	185	البقرة	.27 شهر رمضان الذي
231	275	البقرة	.28 الذين يأكلون الربا
89	281	البقرة	.29 وأتقو يوم ترجعون
209	177	البقرة	.30 ولكن البر من آمن
233	177	البقرة	.31 أولئك الذين صدقوا
233	5	البقرة	.32 هم المفلحون
269,258	216	البقرة	.33 كتب عليكم القتال
258	244	البقرة	.34 وقاتلوا في سبيل الله
262,252	251	البقرة	.35 ولولا دفع الله الناس
263,261	193	البقرة	.36 وقاتلوهم حتى لا تكون
288,274	256	البقرة	.37 لا إكراه في الدين
9	22/21	البقرة	.38 يا أيها الناس أعبدوا
191	44	البقرة	.39 أتأمرون الناس بالبر
22	59	البقرة	.40 إن مثل عيسى
59	173	البقرة	.41 فزادهم إيماناً
37	113	آل عمران	.42 يتلون آيات الله
71	191	آل عمران	.43 الذين يذكرون الله
89	131	آل عمران	.44 وأتقوا النار
95	134/133	آل عمران	.45 وسار عوا إلي مغفرة
218,91	103	آل عمران	.46 يا أيها الذين آمنوا اتقوا
98	125/123	آل عمران	.47 ولقد نصركم الله
98	120	آل عمران	.48 إن تصبروا وتتقوا
120	125	آل عمران	.49 إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم
117	186	آل عمران	.50 إن تصبروا وتتقوا فإن
120,117	200	آل عمران	.51 يا أيها الذين آمنوا اصبروا
120	146	آل عمران	.52 والله يحب الصابرين
147	180	آل عمران	.53 لا يحسن الذين يبخلون
229	175	آل عمران	.54 إنما ذلكم الشيطان
287	159	آل عمران	.55 وشاورهم في الأمر

187	104	آل عمران	ولتكن منكم أمة	.56
187	114-113	آل عمران	ليسوا سواء	.57
188	110	آل عمران	كنتم خير أمة	.58
71	103	آل عمران	واعتصموا بحبل الله	.59
16	107	النساء	ولا تجادل عن الذين	.60
56	136	النساء	يا أيها الذين آمنوا	.61
71	142	النساء	ولا يذكرن الله إلا	.62
92	131	النساء	ولقد وصينا الذين	.63
92	131	النساء	والله ما في السموات	.64
106	69	النساء	ومن يطع الله والرسول	.65
289,112	58	النساء	إن الله يأمركم	.66
122	58	النساء	وإذا حكمتم بين الناس	.67
123,122	135	النساء	يا أيها الذين آمنوا	.68
124	3	النساء	فإن خفتم أن لا تعدلوا	.69
241,237	99-97	النساء	إن الذين توفاهم	.70
240	98	النساء	إلا المستضعفين من الرجال	.71
241	100	النساء	ومن يهاجر في سبيل الله	.72
266	74	النساء	ومن يقاتل في سبيل الله	.73
266	96-95	النساء	وفضل الله المجاهدين	.74
274,14,12	165	النساء	رسلا مبشرين ومنذرين	.75
208	36	النساء	وأعبدوا الله ولا تشركوا	.76
212,97,87	2	المائدة	وتعاونوا على البر والتقوي	.77
101	27	المائدة	إن ما يتقبل الله	.78
114	109	المائدة	يوم يجمع الله الرسل	.79
135,126	6	المائدة	وإن كنتم جنبا	.80
187	79-78	المائدة	لعن الذين كفروا	.81
189	105	المائدة	يا أيها الذين آمنوا	.82
198	99	المائدة	ما علي الرسول إلا البلاغ	.83
208,205,196	2	المائدة	لا يجرمنكم شنآن	.84
23	103-101	الأنعام	بديع السموات والأرض	.85
25	76	الأنعام	فلما جن عليه الليل	.86
32	8	الأنعام	قالوا لولا أنزل	.87
33	7	الأنعام	ولو نزلنا عليك كتاب الله	.88
48	38	الأنعام	ما فرطنا في الكتاب	.89
24	86-83	الأنعام	تلك حجتنا	.90
89	120	الأنعام	وزرروا ظاهر الأثم	.91
120	34	الأنعام	ولقد كذبت رسلنا	.92
286,123	152	الأنعام	وإذا قلتم فاعدلوا	.93
7	162	الأنعام	قل إن صلاتي	.94
224	153	الأنعام	وإن هذا صراطي	.95
12	48	الأنعام	وما نرسل المرسلين	.96
14	90	الأنعام	أولئك هدي الله	.97
218	159	الأنعام	إن الذين فرقوا	.98
68	205	الأعراف	وأذكر ربك في نفسك	.99
97	201	الأعراف	إن الذين اتقوا	100

97	96	الأعراف	ولو أن أهل القرى	101
127	31	الأعراف	وكلوا واشربوا	102
228	17-16	الأعراف	لأفعدن لهم صراطك	103
229	21	الأعراف	وقاسمهما إني لكما	104
188	165	الأعراف	فلما نسوا ما ذكروا	105
53	4-2	الأنفال	إنما المؤمنون الذين	106
69	45	الأنفال	يا أيها الذين آمنوا	107
97	29	الأنفال	يا أيها الذين آمنوا إن	108
98	34	الأنفال	إن أوليائه إلا	109
114	27	الأنفال	يا أيها الذين آمنوا لا	110
115	27	الأنفال	وتخونوا أماناتكم	111
228	48	الأنفال	وإذ زين لهم الشيطان	112
233	4	الأنفال	لهم رجات عند ربهم	113
246	75	الأنفال	الذين آمنوا من بعد	114
246	75-72	الأنفال	إن الذين آمنوا	115
247,238	75	الأنفال	وأولوا الأرحام	116
273	61	الأنفال	وأن جنحوا السلم	117
202	25	الأنفال	واتقوا فتنة	118
216	64	الأنفال	يا أيها النبي حسبك الله	119
445	33	التوبة	هو الذي أرسل رسوله	120
99	4	التوبة	إن الله يحب المتقين	121
107,106	119	التوبة	يا أيها الذين آمنوا	122
146	103	التوبة	خذ من أموالهم	123
152	60	التوبة	إنما الصدقات	124
155	35-34	التوبة	والذين يكنزون الذهب	125
253	41	التوبة	وجاهدوا بأموالكم	126
257	91	التوبة	ليس علي الضعفاء	127
261,258	29	التوبة	قاتلوا الذين لا يؤمنون	128
258	5	التوبة	فأقتل المشركين	129
259	24	التوبة	قل إن كان آباؤكم	130
260	39-38	التوبة	يا أيها الذين آمنوا مالكم	131
266	22-20	التوبة	الذين آمنوا وهاجروا	132
266	19	التوبة	أجعلتم سقاية الحاج	133
269	36	التوبة	وقاتلوا المشركين كافة	134
273,270	5	التوبة	فإذا أنسلخ الأشهر	135
187	71	التوبة	والمؤمنون والمؤمنات	136
213	28	التوبة	يا أيها آمنوا إنما	137
31	40-37	يونس	وما كان هذا القرآن	138
28	36-31	يونس	قل من يرزقكم	139
233	62	يونس	لا خوف عليهم	140
233	63	يونس	الذين آمنوا وكانوا	141
233	63-62	يونس	ألا إن أولياء الله	142
17	74	هود	يجادلنا في قوم لوط	143
24	27-25	هود	يا قوم أرايتم	144
24	32	هود	يا نوح قد جادلتنا	145

45	13	هود	أم يقولون أقتراه	146
188	116	هود	فلولا كان من القرون	147
223	11	الرعد	له معقبات	148
21	4	إبراهيم	وما أرسلنا من رسول	149
43	1	إبراهيم	كتاب أنزلناه	150
22	125	النحل	وجادلهم بالتي	151
100	31	النحل	جنان عدن يدخلونها	152
118	127	النحل	واصبر وما صبرك	153
122	90	النحل	إن الله يأمر	154
151	62	النحل	ويجعلون لله	155
13,10	36	النحل	ولقد بعثنا في كل	156
33	93	الإسراء	حتى تنزل علينا	157
43	9	الإسراء	إن هذا القرآن	158
45	88	الإسراء	قل لأن اجتمعت	159
122	35	الإسراء	وزنوا بالقسطاط	160
255	15	الإسراء	وما كنا معذبين	161
22	56	الكهف	ويجادل الذين كفروا	162
147	46	الكهف	المال والبنون	163
25	44-41	مريم	واذكر في الكتاب	164
58	71	مريم	وإن منكم إلا واردها	165
99	72	مريم	ثم ننجي الذين	166
99	85	مريم	يوم نحشر المتقين	167
100	63	مريم	تلك الجنة	168
107	41	مريم	إنه كان صديقاً	169
107	54	مريم	إنه كان صادق	170
158	26	مريم	إني نذرت للرحمن	171
225	117	طه	إن هذا عدو لك	172
12	134	طه	ولو أن أهلكتناهم	173
13	134	طه	لو لا أرسلت إلينا	174
18	22	الأنبياء	لو كان فيهما	175
25	51	الأنبياء	ولقد آتينا إبراهيم	176
57	47	الأنبياء	ونضع الموازين	177
50,9	92	الأنبياء	إن هذه أمتكم	178
13	25	الأنبياء	وما أرسلنا من قبلك	179
146	78	الحج	فأقيموا الصلاة	180
179	27	الحج	وأذن في الناس	181
252	78	الحج	وجاهدوا في الله	182
269,262	40-39	الحج	أذن للذين يقاتلون	183
287,188	41	الحج	الذين إن مكناهم	184
20	85-84	المؤمنون	قل لمن الأرض	185
139	2/1	المؤمنون	قد أفلح المؤمنون	186
233	11	المؤمنون	هم فيها خالدون	187
10	115	المؤمنون	أفحسبتم أنما خلقناكم	188
100	52	النور	ومن يطع الله ورسوله	189
144	37-36	النور	في بيوت أذن الله	190

264	61	النور	ليس علي الأعمي حرج	191
292	55	النور	وعد الله الذين آمنوا	192
63	68	الفرقان	والذين لا يدعون مع الله	193
233	63	الفرقان	وعباد الرحمن	194
253	52	الفرقان	وجاهدكم به	195
268	52	الفرقان	فلا تطع الكافرين	196
27	32-16	الشعراء	فاتيا فرعون	197
102	137	الشعراء	إن هذا إلا	198
20	61	العنكبوت	ولئن سألتهم	199
22	46	العنكبوت	ولا تجادلون أهل الكتاب	200
71	45	العنكبوت	ولذكر الله أكبر	201
138	45	العنكبوت	إن الصلاة تنهي	202
8	56	العنكبوت	يا عبادي الذين	203
10	40	الروم	الله الذي خلقكم	204
287,123	13	لقمان	إن الشرك لظلم عظيم	205
59	22	الأحزاب	وما زادهم إلا إيماناً	206
107	72	الأحزاب	إنا عرضنا الأمانة	207
111	24-23	الأحزاب	رجال صدقوا	208
71,68	41	الأحزاب	اذكر الله ذكراً	209
84	42-41	الأحزاب	يا أيها الذين آمنوا	210
233,85	35	الأحزاب	والذاكرين الله كثيراً	211
15	6	الأحزاب	النبي أولي بالمؤمنين	212
37	30-29	فاطر	أن الذين يتلون	213
224	6	فاطر	إن الشيطان لكم	214
184	107-104	الصفات	وناديناه أن يا إبراهيم	215
224	173	الصفات	وإن جندنا لهم	216
222	7	الصفات	وحفظاً من كل	217
222	65	الصفات	طلعها كأنه رؤوس	218
287,225	26	ص	يا داوود إن	219
20	5	الزمر	خلق السموات والأرض	220
100	20	الزمر	لكن الذين أتقوا	221
100	61	الزمر	وينجي الله الذين	222
158	10	الزمر	إنما يوفي الصابرون	223
27	28	غافر	أتقتلون رجلاً	224
137	33	فصلت	ومن أحسن قولاً	225
235	36	فصلت	وإما ينزقنك من	226
120	33-32	الشورى	ومن آياته الجوار	227
287	38	الشورى	وأمرهم شورى	228
218	13	الشورى	وأقيموا الدين	229
32	22-21	الزخرف	وقالوا لولا نزل	230
19	58	الزخرف	وقالوا آلهتنا	231
221	29	الأحقاق	وإذ صرفنا إليك	232
15	11	محمد	ذلك بأن الله مولي	233
59	4	الفتح	ليزدادوا إيماناً	234
66	2	الحجرات	يا أيها الذين آمنوا	235

288,99	13	الحجرات	إن أكرمكم عند الله	236
124	9	الحجرات	فأصلحوا بينهما	237
216	10	الحجرات	إنما المؤمنون أخوة	238
15,9,7,6	56	الذاريات	وما خلقت الجن والإنس	239
10	57-56	الذاريات	وما خلقت الجن والإنس	240
66	17	النجم	ما زاغ البصر	241
99	27	الرحمن	نو الجلال والإكرام	242
36	79 -77	الواقعة	إنه لقرآن كريم	243
49	79 -75	الواقعة	فلا أقسم بمواقع	244
97	28	الحديد	يا أيها الذين آمنوا	245
224	22	المجادلة	أولئك حزب الله	246
228	16	الحشر	كمثل الشيطان	247
215,214	9	الحشر	ويؤثرون علي أنفسهم	248
103	9	الحشر	والذين تبوءوا الدار	249
154	7	الحشر	كي لا يكون دولة	250
147	9	الحشر	ومن يوق شح	251
274	8	الممتحنة	لا ينهاكم الله	252
267	4-1	الصف	سبح لله ما في السموات	253
153	10	الجمعة	فإذا قضيت الصلاة	254
143	9	الجمعة	إذا نودي للصلاة	255
97	4	الطلاق	ومن يتق الله	256
124	2	الطلاق	وأشهدوا ذوي عدل	257
191	6	التحريم	يا أيها الذين آمنوا	258
102	4	القلم	وإنك لعلي خلق عظيم	259
222	1	الجن	قل أوحى إلي	260
39	4	المزمل	ورتل القرآن ترتيلا	261
125	4	المدثر	وثيابك فطهر	262
138	15-14	الاعلى	قد افلح من	263
288,274	22-21	الغاشية	فذكر إنما أنت	264
97	7-5	الليل	فأما من أعطي	265
274	6	الكافرون	لكم دينكم	266
72	4	الناس	الوسواس الخناس	267

فهرست الأحاديث*

عدد	طرف الحديث	تخريج الحديث	الصفحة
1.	إن أحق ما أخذتم عليه	البخارى	42
2.	إن من إجلال الله تعالى	أبو داود	41
3.	إن الله يرفع بهذا الكتاب	مسلم	41
4.	إن الذى ليس فى جوفه	الترمذى	41
5.	أقروا القرآن	مسلم	38
6.	إن البذاذة من الإيمان	ابن ماجه	62
7.	إن الغيرة من	ابوبكر عبد الرازق	63
8.	أتى رجل	البخارى	63
9.	أفضل ما قلته	الإمام مالك	82
10.	إذا مررتم برياض	الإصفيهانى	77
11.	إن لله عزوجل	الترمذى	78
12.	إن المؤمن ليدرك	أبوداؤد	103
13.	أكمل المؤمنين	أبوداؤد	103
14.	أنا زعيم ببيت	أبوداؤد	108
15.	أد الأمانة	أبوداؤد	112
16.	إذا ضيعت الأمانة	البخارى	113
17.	إنما الصبر عند	البخارى	119
18.	إن المقسطين عند	مسلم	122
19.	إن رجلاً يتخوضون	البخارى	123

* رتبت فهرس الأحاديث حسب ترتيب الحروف هجائياً مع ذكر تخريج الحديث ورقم الصفحة التي ورد فيها داخل البحث.

126	الطبرانى	أنا نركب البحر	.20
127	البخارى	إن لجسدك	.21
130	مسلم	إذا استيقظ	.22
167	البخارى	إذا دخل	.23
135	مسلم	إنما الماء من الماء	.24
138	البخارى	أرأيتم لو أن	.25
153	الطبرانى	إن من الذنوب	.26
157	الدارقطنى	أغنوهم فى هذا	.27
219,159	مسلم	إن للجنة باباً	.28
72	الترمذى	ألا أخبركم	.29
159	البخارى	إلا الصيام فإنه	.30
222,165	البخارى	إن الشيطان يجرى	.31
175	البخارى	إن الله قد حبس	.32
181	البخارى	إنى أعلم أنك	.33
188	البخارى	إياكم والجلوس	.34
112	الطبرانى	إياكم والخيانة	.35
189	الترمذى	إن الناس إذا	.36
201	مسلم	إن الله خلق	.37
215	ابن حبان	أن أبا طلحة	.38
119	مسلم	إذا جاء أحدكم	.39
222	البخارى	إنى أراك تحب	.40
100	الحاكم	أما والله	.41
225	البخارى	إن الشيطان عرض	.42
227	البخارى	أن رجلاً قال	.43
231	الترمذى	إنما هذه ركضة	.44
232	مسلم	إن عرش إبليس	.45
235	البخارى	أن رجلين استبا	.46
236	ابوداؤد	إن الغضب	.47
241	البخارى ومسلم	إنما الأعمال	.48
258	البخارى ومسلم	أمرت أن أقاتل	.49
260	أبو داود	إذا تبايعتم	.50
34	البخارى	استذكروا القرآن	.51
36,19	أبو داود	المراء فى القرآن	.52
36	مسلم	الدين النصيحة	.53
60,53	البخارى	الإيمان بضع	.54
52	ابن أبى شيبة	اللهم من أحبيته	.55
72	ابن أبى شيبة	الشيطان جاثم	.56
85	البخارى ومسلم	الآيتان من آخر	.57
125	مسلم	الطهور شطر	.58
154	ابن عبد البر	اللهم إنى أعوذ	.59
162,158	الإمام أحمد	الصوم نصف	.60
159	الإمام أحمد	الصيام والقرآن	.61
160	الطبرانى	اللهم بارك لنا	.62
174	البخارى	الحج المبرور	.63
174	ابن خزيمة	الحج يهدم	.64

175	البيهقي	الحجاج والعمار	.65
175	على بن حسام الدين	الحجر الأسود	.66
180	البيهقي	اللهم أنت السلام	.67
182	الترمذي	الحج عرفة	.68
213	الإمام احمد	الدال على الخير	.69
116,213	ابوداؤد	المؤمنون تتكافأ	.70
236	الحاكم	النظرة سهم	.71
166	البخارى	تسحروا فان	.72
171	البخارى	تحروا ليلة القدر	.73
175	الترمذي	تابعوا بين الحج	.74
209	البخارى	تري المؤمنين	.75
146	الإمام أحمد	ثلاثة أقسم	.76
147	الطبرانى	ثلاثة مهكات	.77
267	النسائي	ثلاثة حق	.78
92	الطبرانى	جاء رجل إلى	.79
126	الإمام مالك	جاء رجل إلى رسول	.80
259,253	أبو داؤد	جاهدوا المشركين	.81
267	البخارى	جاء رجل إلى النبي	.82
41	البخارى	خيركم من تعلم	.83
128	البخارى	خمس من الفطرة	.84
192	الإمام أحمد	خياركم الذين	.85
224	الإمام أحمد	خط لنا رسول الله	.86
181	الطبرانى	خيرماء	.87
160	النسائي	ذاك شهر	.88
126	الإمام أحمد	رجل من بنى	.89
169	ابن ماجة	رب صائم ليس	.90
62	الترمذي	سئل رسول الله اى	.91
84	البخارى	سيد الاستغفار	.92
122	البخارى	سبعة يظلمهم الله	.93
178	مسلم	سئل رسول الله	.94
175	البخارى	سئل رسول الله	.95
218,144	مسلم	صلاة الجماعة	.96
185,175	مسلم	صلاة فى مسجدي	.97
131	مسلم	طهور إناء أحدكم	.98
107,106	البخارى	عليكم بالصدق	.99
117	مسلم	عجبا لأمر	100
86	أبو داؤد	غفرانك	101
55	مسلم	فأخبرنى عن الإيمان	102
113	البخارى	فيصبح الناس	103
156	البخارى	فرض رسول الله	104
255,253	مسلم	فإذا لقيت عدوك	105
160	الإمام أحمد	قد جاءكم شهر	106
41	البخارى	كان القراء	107
41	البخارى	كان - صلى الله عليه وسلم	108
85	البخارى	كان - النبي - صلى الله عليه وسلم	109

235	الترمذى	كان رسول الله	110
158	مسلم	كل عمل ابن آدم	111
171,86	البخارى	كان النبي - صلى الله عليه وسلم	112
102	الإمام أحمد	كان خلقه	113
36	الحاكم	لا تمس القرآن	114
37	الإمام أحمد	لا حسد إلا	115
61	مسلم	لقينى أبو بكر	116
62	البخارى	لا يحبهم إلا مؤمن	117
63	الإمام أحمد	لا إيمان لمن	118
64	البخارى	لا يسرق السارق	119
83	مسلم	لأن أقول سبحان الله	120
113,112	الطبرانى	لا إيمان لمن	121
235	الترمذى	لا تجعلوا بيوتكم	122
267	البخارى	لغزوة فى سبيل الله	123
239	البخارى	لا هجرة بعد الفتح	124
249	البخارى ومسلم وغيرهما	لا هجرة بعد	125
259	البخارى ومسلم	لا هجرة بعد الفتح ولكن	126
284	البخارى	لن يفلح قوم	127
128	النسائى	لا يبلون أحدكم	128
130	البخارى	لا تشربوا فى	129
132	الترمذى	لولا أن الكلاب	130
133	البخارى	لولا أن أشف	131
137	البخارى	لا يسمع صوت	132
72	الإمام أحمد	لا يقعد قوم	133
149	ابن ماجة	لا زكاة فى	134
185,175	البخارى	لا تشد الرحال	135
179	البخارى	لبيك اللهم	136
160	مسلم	لا تقدموا رمضان	137
161	أبو داود	لم يكن يصوم	138
42	أبو داود	من قرأ القرآن وعمل	139
37	الترمذى	من قرأ حرفاً	140
42	أبو داود	من تعلم علماً	141
37	الحاكم	من قرأ القرآن	142
62	أبو داود	من كان يؤمن	143
62	البخارى	مر رسول الله	144
72	الإمام مالك	ما عمل آدمى	145
73	البخارى	مثل الذي يذكر	146
76	البخارى	من ذكرنى	147
236	البخارى	من قال لا إله إلا الله وحده	148
82	مسلم	من قال لا إله إلا الله	149
83	الإمام مالك	من سبح دبر	150
83	الإمام مالك	من قال سبحان الله	151
83	أبو داود	من لزم الإستغفار	152
84	مسلم	من قال حيث يصبح	153
84	ابن ماجة	مامن عبد يقول	154

93	الترمذى	من يأخذ عنى	155
120	مسلم	ما من عبد	156
122	البخارى	من ظلم قيد	157
260	مسلم	من مات ولم	158
267	البخارى	ما أغبرت قد ما	159
270	الترمذى	من لقي الله	160
201,196,189	مسلم	من رأى منكم	161
189	البخارى	مثل القائم فى	162
209	مسلم	من كان له	163
128	الحاكم والبيهقى	من سل	164
129	البخارى	من استجرم	165
67	البخارى	من رغب	166
83	الترمذى	من قال سبحان الله وبحمده	167
77	أبن حبان	ما قعد قوم	168
152	الترمذى	من لا يشكر	169
131	مسلم	من اتخذ كلباً	170
134	مسلم	من توضأ	171
139	مسلم	ما من أمرىء	172
153	البخارى	ما أكل أحد قط	173
177	أبوداؤد	ما من أيام	174
184	الترمذى	ما عمل آدمى	175
185	الترمذى	من استطاع منكم	176
185	الطبرانى	ما بين قبرى	177
186	الدارقطنى	من زار قبرى	178
159	البخارى	من صام رمضان	179
162	ابن خزيمة	من تطوع فيه	180
164,169	البخارى	من لم يدع	181
168	مسلم	من صام رمضان	182
171	البخارى	من قام ليلة القدر	183
174	البخارى	من حج فلم	184
128	مسلم	نهى رسول الله	185
128	الطبرانى	نهى رسول الله	186
126	أبو داؤد	هو الطهور	187
72	الترمذى	وأمركم أن	188
85	البخارى	وكان صلى الله عليه وسلم	189
117	الإمام مالك	ومن يتصبر	190
62	الإمام أحمد	والذي نفسى	191
209	النسائى	والذى نفس محمد	192
235	البخارى	وكلنى رسول الله	193
143	مسلم	والصلوات الخمس	194
73	البخارى	يقول الله تبارك وتعالى	195
41	الترمذى	يقال لصاحب	196
163	البخارى	يامعشر	197

فهرس الأعلام*

الصفحة	اسم العلم	عدد
90	إياس بن معاوية	1.
108	إبراهيم بن أحمد أبو اسحاق الخواص	2.
245	أسماء بنت عميس	3.
65	الحسن بن علي أبو علي الدقاق	4.
69	الحسن بن يسار البصرى	5.
108	الحارث بن أسد المحاسبى	6.
271	الربيع بنت معوذ	7.
108	بشر بن الحارث المعروف بالحافى	8.
71	ثابت بن أسلم الينانى	9.
116	ثوبان بن إبراهيم المصرى	10.
244	جعفر بن أبى طالب	11.
144	حاتم بن علوان المعروف بالأصم	12.
60	حنظلة بن الربيع	13.
256	رافع بن خديج الأنصارى	14.
53	سفيان بن سعيد الثورى	15.
243	سراقة بن مالك الكنانى	16.
256	سمرة بن جندب	17.
216	سعد بن ربيع	18.
91	طلق بن حبيب العنزى	19.
207	طيفور بن عيسى المعروف بأبى يزيد البسطامى	20.
215	طلحة بن عبد الله المكنى بطلحة الفياض	21.
65	عبد الله بن المبارك	22.
90	عبد الله بن عون	23.
245	عبد الله بن عبد الأسد أبو سلمة	24.
245	عبد الله بن جحش	25.

* رتبت فهرس الأعلام حسب حروف الهجاء وجردت الاسم العلم من الكنية واللقب كابن وأبو وأم.

243	عبد الله بن أريقط	.26
216	عبد الرحمن بن عوف	.27
109	عبد الواحد بن زيد	.28
244	عثمان بن مظعون	.29
243	عامر بن فهيرة	.30
245	عامر بن ربيعة	.31
245	ليلي بنت أبي حثمة	.32
65	محمد بن الجنيد البغدادي	.33
61	مالك بن دينار البصري	.34
271	نسيبة بنت كعب أم عطية	.35
91	وهب بن منبه	.36
109	يوسف بن اسباط	.37